النجوم الزاهرة

في

ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

جلد ٧

نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب

مع استدراكات وفهارس جامعة

بسم الله الرحمن الرحیم

النجوم الزاهره فی ملوک مصر والقاهره

کاتب:

جمال‌الدين ابی‌المحاسن يوسف‌بن تغری بردی الاتابکی

نشرت فی الطباعة:

وزاره الثقافه والارشادالقومی

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة المجلد ۷

اشارة

سرشناسه : ابن تغری بردی، یوسف بن تغری بردی، ۸۱۳-۸۷۴ق.

عنوان و نام پدیدآور : النجوم الزاهره فی ملوك مصر والقاهره/ تالیف جمال‌الدین ابی‌المحاسن یوسف‌بن تغری بردی الاتابکی.

وضعیت ویراست : [ویراست ؟].

مشخصات نشر : قاهره: وزاره الثقافه والارشادالقومی، الموسسه المصریه العامه، ۱۳۴۲.

سال چاپ: ۱۳۹۲ ه. ق

نوبت چاپ: اول

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۱۶

مشخصات ظاهری : ۱۶ج. (درسه مجلد).

یادداشت : عربی.

یادداشت : جلد سیزدهم تاجلد شانزدهم توسط فهیم محمد شلتوت، جمال‌الدین شیال و ابراهیم علی طرخان تصحیح‌شده توسط الهیئه‌المصریه‌العامه للتالیف و النشر منتشر گردیده است.

یادداشت : ج.۱، ۲، ۳، ۴، ۷ ، ۸ ، ۱۱ و ۱۲ (چاپ ؟: ۱۳).

یادداشت : ج. ۱۵ (چاپ؟: ۱۳۹۱ق. = ۱۹۷۱م. = ۱۳۵۰).

یادداشت : ج.۱۶ (چاپ؟ = ۱۳۹۲ق. = ۱۹۷۲م. = ۱۳۵۱).

یادداشت : بالای عنوان: تراثنا.

یادداشت : کتابنامه.

عنوان دیگر : تراثنا.

موضوع : مصر -- شاهان و فرمانروایان

موضوع : مصر -- تاریخ -- ۱۹ - ۸۹۷ق.-- سالشمار.

شناسه افزوده : شلتوت، فهیم محمد، مصحح

شناسه افزوده : شیال، جمال‌الدین، مصحح

شناسه افزوده : طرخان، ابراهیم علی، مصحح

رده بندی کنگره : DT۹۵/الف۲ن۳ ۱۳۴۲

رده بندی دیویی : ۹۶۲/۰۲

شماره کتابشناسی ملی : م۷۵-۵۵۴۷

[تتمة ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۸]

اشارة

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و صلّى اللّه على سيّدنا محمد و آله و صحابته و المسلمين الجزء السابع من كتاب النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة

ذكر ولاية الملك المعزّ أيبک التّركمانیّ على مصر

هو السلطان الملك المعزّ عزّ الدين أيبک بن عبد اللّه الصالحیّ النّجمیّ المعروف بالتّركمانیّ، أوّل ملوک الترک بالديار المصرية. و قد ذكرهم بعض الناس فی أبيات مواليًا إلى يومنا هذا، و هم الملوک الذين مسّهم الرّق، غير أولادهم، فقال:

أيبک قطز يعقبو بيبرس يا ذا الدين بعدو قلاوون بعدو كتبغا لاچين

بيبرس برقوق بعدو شيخ ذو التبيين ططربرسباى جقمق صاحب التمكين

قلت: هذا قبل أن يتسلطن الملک الأشرف إينال العلائی، فلمّا ملک إينال قلت أنا:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴

أيبک قطز يعقبو بيبرس ذو الإكمال بعدو قلاوون بعدو كتغا المفضال

لاچين بيبرس برقوق شيخ ذو الإفضال ططر برسباى جقمق ذو العلا إينال

و قد خرجنا عن المقصود، و لنعد إلى ذكر الملک المعزّ أيبک المذكور، فنقول:

أصله من مماليک السلطان الملک الصالح نجم الدين أيّوب، اشتراه فی حياة والده الملک الكامل محمد، و تنقّلت به الأحوال عنده، و لازم أستاذه الملک الصالح فی الشرق حتّى جعله جاشنكيره، و لهذا لمّا أمّره كان عمل رنكه صورة خوانجا.

و استمرّ على ذلک إلى أن قتل المعظّم توران شاه و ملكت شجرة الدّرّ بعده، اتّفق الأمراء على سلطنة الملک المعزّ أيبک هذا و سلطنوه بعد أن بقيت الديار المصريّة بلا سلطان مدّة، و تشوّف إلى السلطنة عدّة أمراء، فحيف من شرّهم؛ و مال الناس إلى أيبک المذكور، و هو من أوسط الأمراء، [و] لم يكن من أعيانهم؛ غير أنّه كان معروفا بالسّداد و ملازمة الصلاة، و لا يشرب الخمر؛ و عنده كرم و سعة صدر و لين جانب. و قالوا أيضا: هذا متى أردنا صرفه أمكننا ذلک لعدم شوكته. و كونه من أوسط الأمراء. فبايعوه و سلطنوه و أجلسوه فی دست الملک فی أواخر شهر ربيع الآخر سنة ثمان و أربعين و ستّمائة. و حملت الغاشية بين يديه، و ركب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵

بشعائر السلطنة، و أوّل من حمل الغاشية بين يديه الأمير حسام الدّين بن أبی علیّ، ثمّ تداولها أكابر الأمراء واحدا بعد واحد. و تمّ أمره فی السلطنة و خطب له على المنابر، و نودی فی القاهرة و مصر بسلطنته، إلى أن كان الخامس من جمادى الأولى بعد سلطنته بخمسة أيّام ثارت المماليک البحريّة الصالحيّة و قالوا: لابدّ لنا من سلطان يكون من بنی أيّوب يجتمع الكلّ على طاعته؛ و كان الذی قام بهذا الأمر الأمير فارس الدين أقطای الجمدار، و الأمير ركن الدين بيبرس البندقداریّ، و الأمير سيف الدين بلبان الرشيدیّ، و الأمير شمس الدين سنقر الرّومیّ، و اتّفقوا على أن يكون الملک المعزّ أيبک هذا أتابكا عليهم، و اختاروا أن يقيموا صبيّا عليهم من بنی أيّوب يكون له اسم السلطنة، و هم يدبّرونه كيفما شاءوا و يأكلون الدنيا به!

كلّ ذلک و الملک المعزّ سامع مطيع. فوقع الاتّفاق على الملک الأشرف مظفّر الدين موسى ابن الملک الناصر يوسف ابن الملک المسعود أقسيس ابن السلطان الملک الكامل محمد ابن السلطان الملک العادل أبی بكر ابن الأمير نجم الدين أيّوب؛ و كان هذا الصبیّ عند عمّاته القطبيّات، و تقدير عمره عشر سنين، فأحضروه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶

و سلطنوه و خطبوا له، و جعلوا الملک المعزّ أيبک التّركمانیّ أتابكه، و تمّ ذلک. فكان التوقيع يخرج و صورته: «رسم بالأمر العالی

المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الأشرفىّ و الملكىّ المعزّىّ». و استمرّ الحال على ذلك مدّة، و المعزّ هو المستولى بالتدبير و يعلّم على التواقيع، و الأشرف المذكور صورة

و بينما هم فى ذلك ورد الخبر عليهم بخروج السلطان الملك الناصر صلاح الدّين يوسف صاحب الشام و حلب، خرج من دمشق إلى المزّة يريد الديار المصريّة ليملكها لمّا بلغه قتل ابن عمّه الملك المعظم توران شاه. فاجتمع الامراء عند الملك المعزّ أيبك و أجمعوا على قتاله و تأهّبوا لذلك، و جهّزوا العساكر و تهيّئوا للخروج من مصر.

و أمّا الملك الناصر فإنّه سار من دمشق نحو الديار المصرية بإشارة الأمير شمس الدين لؤلؤ [الأمينىّ]، فإنّه ألحّ عليه فى ذلك إلحاحا كان فيه سببا لحضور منيّته، و كان لؤلؤ المذكور يستهزئ بالعساكر المصريّة، و يستخفّ بالمماليك، و يقول: آخذها بمائتى قناع، و كانت تأتيه كتب من مصر من الأصاغر فيظنّها من الأعيان، و دخلوا الرّمل و دنوا من البلاد؛ و تقدّم عسكر الشام و معهم الأمير جمال الدين بن يغمور نائب الشام و سيف الدين المشدّ و جماعة؛ و انفرد شمس الدين لؤلؤ، و الأمير ضياء الدين القيمرىّ؛ و خرجت العساكر المصريّة إليهم، و التقوا معهم و تقاتلوا فانهزم المصريّون و نهبت أثقالهم، و وصلت طائفة منهم من البحريّة على وجوههم إلى الصعيد،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷

و كانوا قد أساءوا إلى المصريّين و نهبوهم و ارتكبوا معهم كلّ قبيح، فخافوا منهم فتوجّهوا إلى الصعيد. و خطب فى ذلك النهار بالقاهرة و مصر و القلعة للملك الناصر صلاح الدين يوسف المذكور و فى جميع البلاد. و أيقن كلّ أحد بزوال دولة الملك المعزّ أيبك. و بات فى تلك الليلة جمال الدين بن يغمور بالعبّاسة، و أحمى الحمّام للملك الناصر صلاح الدين يوسف، و هيّأ له الإقامة. كلّ ذلك و الملك الناصر ما عنده خبر بما وقع من القتال و الكسرة، و هو واقف بسناجقه و أصحابه ينتظر ما يرد عليه من أمر جيشه.

و أمّا أمر المصريّين فإنّه لمّا وقعت الهزيمة عليهم ساق الملك المعزّ أيبك و أقطاى الجمدار المعروف ب «أقطيا» فى ثلثمائة فارس طالبين الشام هاربين، فعثروا فى طريقهم بشمس الدين لؤلؤ المقدّم ذكره و الضّياء القيمرىّ، فساق شمس الدين لؤلؤ عليهم فحملوا عليه فكسروه و أسّروه و قتلوا ضياء الدين القيمرىّ، و جىء بشمس الدين لؤلؤ إلى بين يدى الملك المعزّ أيبك، فقال الأمير حسام الدين بن أبى علىّ: لا تقتلوه لنأخذ به الشام، فقال أقطاى الجمدار: هذا الذى يأخذ مصر منّا بمائتى قناع! و جعلنا مخانيث، كيف نتركه! و ضربوا عنقه، و ساقوا على حميّة إلى جهة، فاعترضوا طلب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فوقع المصافّ بينهم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸

فخامر على الملك الناصر جماعة من المماليك العزيزيّة من مماليك أبيه، و جاءوا إلى الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ، و قالوا له: إلى أين تتوجّه؟ هذا السلطان واقف فى طلبه ليس له علم بكسرتهم، فعطفوا على الطّلب، و تقدمتهم العزيزيّة فكسروا سناجق السلطان و صناديقه و نهبوا ماله، و رموه بالنّشّاب، فأخذه نوفل الزّبيدىّ و جماعة من مماليكه و أصحابه و عادوا به إلى الشام، و أسر المصريّون الملك المعظّم [توران شاه] ابن السلطان صلاح الدين بعد أن جرحوه و جرحوا ولده تاج الملوك، و أخذوا الملك الأشرف صاحب حمص، و الملك الزاهر عمّه، و الملك الصالح إسماعيل صاحب الوقائع مع الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و جماعة كثيرة من أعيان الحلبيّين؛ و مات تاج الملوك من جراحته فحمل إلى بيت المقدس و دفن به؛ و ضرب الشريف المرتضى فى وجهه بالسيف ضربة هائلة عرضا و أرادوا قتله، فقال: أنا رجل شريف و ابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فتركوه؛ و تمزّق عساكر دمشق كلّ ممزّق، و مشوا فى الرمل أيّاما.

و أمّا المصريّون فإنّهم لمّا وقعت لهم هذه النّصرة عادوا إلى القاهرة بالأسارى، و سناجق الناصر مقلوبة و طبوله مشقّقة، و معهم الخيول و الأموال و العدد و شقّوا القاهرة، فلمّا وصلت المماليك الصالحيّة النّجميّة إلى تربة أستاذهم الملك الصالح نجم الدين أيّوب ببين القصرين أخذوا الملك الصالح إسماعيل الذى أسروه فى الوقعة،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹

و کان عدوّ أستاذهم الملک الصالح المذکور، و وقفوا به عند التّربة، و قالوا: یا خوند، أین عینک تری عدوّک أسیرا بأیدینا! ثمّ سحبوه و مضوا به إلی الحبس، فحبسوه هو و أولاده أیّاما ثم غیّبوه إلی یومنا هذا، و لم یسمع عنه خبر إلّا ما تحدّث به العوامّ بإتلافه.

و أمّا عساکر الناصر الذین کانوا بالعبّاسة (أعنی الذین کسروا الملک المعزّ أیبک أوّلا) فإنّ المعزّ لمّا تمّ له النصر و هزم الناصر ردّ إلی المذکورین فی عوده إلی القاهرة، و مال علیهم بمن معه قتلا و أسرا حتی بدّد شملهم، و رحل إلی القاهرة بمن معه من الأساری و غیرهم. و لمّا دخل الملک المعزّ أیبک هذا إلی القاهرة و معه الممالیک الصالحیّة مالوا علی المصریّین قتلا و نهبا و نهبوا أموالهم و سبوا حریمهم و فعلوا بهم ما لم یفعله الفرنج بالمسلمین.

قلت: و سبب ذلک أنّه لمّا بلغهم کسرة المعزّ فرحوا و تباشروا بزوال الممالیک من الدیار المصریّة، و أسرعوا أیضا بالخطبة للملک صلاح الدّین یوسف صاحب الشام المقدّم ذکره. و کان وزیر الملک الصالح إسماعیل المقدّم ذکره معتقلا بقلعة الجبل هو و ناصر الدین [إسماعیل] بن یغمور نائب الشام و سیف الدین القیمریّ و الخوارزمیّ صهر الملک الناصر یوسف، فخرجوا من الجبّ و عصوا بقلعة الجبل، فلم یوافقهم سیف الدین القیمریّ بل جاء و قعد علی باب الدار التی فیها أعیان الملک المعزّ أیبک و حماها من النهب، و لم یدع أحدا یقربها؛ و أمّا الباقون فصاحوا:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰

«الملک الناصر یا منصورا!». فلما جاء الترک فتحوا باب القلعة و دخلوها، و أخذوا من کان عصی فیها، و شنقوا وزیر الصالح و ابن یغمور و الخوارزمیّ متقابلین، و شنقوا أیضا مجیر الدین بن حمدان، و کان شابّا حسنا، و کان تعدّی علی بعض الممالیک و أخذ خیله.

و أمّا الملک الناصر یوسف فإنّه سار حتّی وصل إلی غزّة و أقام ینتظر اصحابه، فوصل إلیه منهم من سلم من عسکر الشام و عسکر الموصل و مضوا إلی الشام.

و أمّا العساکر المصریّة فإنّ الملک المعزّ أیبک المذکور لمّا دخل إلی مصر بعد هذه الوقعة عظم أمره و ثبتت قواعد ملکه و رسخت قدمه. ثمّ وقع له فصول مع الملک الناصر یوسف المذکور یطول شرحها. محصول ذلک: أنّه لمّا کانت سنة إحدی و خمسین و ستمائة وقع الاتّفاق بینه و بین الملک الناصر المذکور علی أن یکون للعزّ و خشداشیته الممالیک الصالحیّة البحریّة الدیار المصریّة و غزّة و القدس، و ما بقی بعد ذلک من البلاد الشامیّة تکون للملک الناصر صلاح الدین یوسف. و أفرج الملک المعزّ عن الملک المعظّم توران شاه ابن الملک الناصر صلاح الدین یوسف المذکور و عن أخیه نصرة الدین و عن الملک الأشرف صاحب حمص و غیرهم من الاعتقال، و توجّهوا إلی الشام.

و لمّا فرغ الملک المعزّ من ذلک أخذ ینظر فی أمره مع فارس الدّین أقطای الجمدار فإنّه کان أمره قد زاد فی العظمة و التفّت علیه الممالیک البحریّة، و صار أقطای المذکور

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱

یرکب بالشاویش و غیره من شعار الملک، و حدّثته نفسه بالملک، و کان أصحابه یسمّونه «الملک الجواد» فیما بینهم. کلّ ذلک و المعزّ سامع مطیع، حتّی خطب أقطای بنت الملک المظفّر تقیّ الدین محمود صاحب حماة و کان أخوها الملک المنصور هو یومئذ صاحب حماة بعد موت أبیه. و تحدّث أقطای مع الملک المعزّ أیبک أنّه یرید یسکنها فی قلعة الجبل لکونها من بنات الملوک، و لا یلیق سکناها بالبلد، فاستشعر الملک المعزّ منه بما عزم علیه، و أخذ یدبّر أمره و عمل علی قتله فلم یقدر علی ذلک.

فکاتب الملک المعزّ السلطان صلاح الدین یوسف و استشاره فی الفتک به، فلم یجبه فی ذلک بشیء، مع أنّه کان یؤثر ذلک، لکنّه علم أنّه مقتول علی کلّ حال، فترک الجواب. ثم سیّر فارس الدّین أقطای الجمدار المذکور جماعة لإحضار بنت صاحب حماة إلیه،

فخرجت من حماة و وصلت إلى دمشق بتجمّل عظيم فى عدّة محفّات مغشّاة بالأطلس و غيره من فاخر الثياب و عليها الحلىّ و الجواهر، ثم خرجت بمن معها من دمشق متوجّهة إلى الديار المصريّة.

و أمّا الملک المعزّ فإنّه لمّا أبطأ عليه جواب الملک الناصر صلاح الدين فى أمر أقطاى و تحقّق أن بنت صاحب حماة فى الطريق بقى متحيّرا، إن منعه من سكنى القلعة حصلت المباينة الكلّيّة، و إن سكّنه قويت أسبابه بها و لا يعود يتمكّن من إخراجه، و يترتّب على ذلک استقلال الأمير فارس الدين أقطاى بالملک فعمل على معاجلته؛

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲

فدخل أقطاى عليه على عادته، و قد رتّب له الملک المعزّ جماعة للفتک به، منهم:

الأمير سيف الدين قطز المعزى (أعنى الذى تسلطن بعد ذلک)، فلمّا دخل أقطاى و ثبوا عليه و قتلوه فى دار السلطنة بقلعة الجبل فى سنة اثنتين و خمسين و ستمائة؛ فتحرّک لقتله جماعة من خشداشيته البحريّة، ثم سكن الحال و لم ينتطح فى ذلک شاتان!.

و لمّا وقع ذلک التفت الملک المعزّ إلى خلع الملک الأشرف مظفّر الدين موسى الأيّوبىّ فخلعه و أنزله من قلعة الجبل إلى حيث كان أوّلا عند عمّاته القطبيّات.

و ركب الملک المعزّ بالسناجق السلطانيّة و حملت الأمراء الغاشية بين يديه و استقلّ على الملک بمفرده استقلالا تامّا إلى أن قصدت المماليک العزيزيّة القبض عليه فى سنة ثلاث و خمسين، فشعر بذلک قبل وقوعه فقبض على بعضهم و هرب بعضهم. م وقعت الوحشة ثانيا بين الملک المعزّ هذا و بين الملک الناصر صلاح الدين يوسف، فمشى الشيخ نجم الدين البادرائىّ بينهما حتّى قرّر الصلح بين المعزّ و بين الناصر، على أن تكون الشام جملة للملک الناصر، و ديار مصر للملک المعزّ؛ و حدّ ما بينهما بئر القاضى،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳

و هو فيما بين الورّادة و العريش؛ و استمرّ الحال على ذلک. ثم إنّ الملک المعزّ تزوّج بالملكة شجرة الدّرّ أمّ خليل فى هذه السنة و دخل بها، و كان زواجه بها سببا لقتله على ما تقدّم فى ترجمتها، و على ما يأتى فى هذه الترجمة أيضا.

و لمّا تزوّجها و أقام معها مدّة أراد أن يتزوّج ببنت الملک الرحيم صاحب الموصل، و كانت شجرة الدرّ شديدة الغيرة، فعملت عليه و قتلته فى الحمّام، و أعانها على ذلک جماعة من الخدّام. و قد ذكرنا ذلک كلّه مفصّلا فى ترجمة شجرة الدرّ فيما مضى. و كان قتل الملک المعزّ فى يوم الثلاثاء الثالث و العشرين من شهر ربيع الأوّل سنة خمس و خمسين و ستّمائة. و كان ملكا شجاعا كريما عاقلا سيوسا كثير البذل للاموال، أطلق فى مدّة سلطنته من الأموال و الخيول و غير ذلک ما لا يحصى كثرة حتّى رضى الناس بسلطان مسّه الرّقّ. و أمّا أهل مصر فلم يرضوا بذلک إلى أن مات، و هم يسمعونه ما يكره، حتّى فى وجهه إذا ركب و مرّ بالطرقات، و يقولون: لا نريد إلّا سلطانا رئيسا مولودا على الفطرة. على أنّ الملک المعزّ كان عفيفا طاهر الذّيل بعيدا عن الظلم و العسف كثير المداراة لخشداشيته و الاحتمال لتجنّيهم عليه و شرّ أخلاقهم، و كذلک مع الناس. و خلّف عدّة أولاد منهم الملک المنصور علىّ الذى تسلطن بعده، و ناصر الدين قان.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴

قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى الذيل على مرآة الزمان: «و رأيت له ولدا آخر بالديار المصريّة فى سنة تسع و ثمانين و ستمائة، و هو فى زىّ الفقراء الحريريّة».

انتهى. و كان للمعزّ برّ و معروف و عمائر، من ذلک: المدرسة المعزّيّة على النيل بمصر القديمة و وقف عليها أوقافا. و دهليز المدرسة متّسع طويل مفرط؛ قيل: إنّ بعض الأكابر دخل إلى هذه المدرسة المذكورة فرآها صغيرة بالنسبة إلى دهليزها، فقال:

هذه المدرسة مجاز بلا حقيقة! انتهى. و كان مدرّسها القاضى برهان الدين الخضر ابن الحسن السّنجارىّ إلى أن مات. و كانت مدّة سلطنة الملک المعزّ على مصر سبع سنين. و مات و قد ناهز السّتّين سنة- رحمه اللّه تعالى-.

قلت: و قد تقدّم أنّ الملک المعزّ أیبک هذا هو أوّل من ملک الدیار المصریّة من الأتراک الذین مسّهم الرّق. و قد ذکرنا مبدأ أمره و ما وقع له من الحروب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵

و غیرها علی سبیل الاختصار. و لنذکر هنا أیضا من عاصره من ملوک الأقطار لیعلم الناظر فی هذه الترجمة بأصل جماعة کبیرة من الملوک الآتی ذکرهم فی الحوادث، و أیضا بحدّ مملکة الملک المعزّ یوم ذاک، و حد تحکّمه من البلاد؛ و مع هذا کان له من الممالیک و الحشم و العساکر أضعاف ما لملوک زماننا هذا مع اتّساع ممالکهم. انتهی.

و نذکر أیضا من أمر النار التی کانت بأرض الحجاز فی أیّام سلطنته فی سنة أربع و خمسین و ستمائة، فنقول:

استهلّت سنة أربع و خمسین المذکورة و الخلیفة المستعصم بالله أبو أحمد عبد اللّه العباسیّ ببغداد، و سلطان مصر الملک المعزّ أیبک التّرکمانیّ هذا، و سلطان الشام إلی الفرات الملک الناصر صلاح الدین یوسف الأیوبیّ ما خلا حماة و حمص و الکرک و بلادا أخر نذکر ملوکها فیما یأتی- إن شاء اللّه تعالی- و هم: صاحب حماة الملک المنصور ناصر الدین محمد بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أیّوب. و صاحب الکرک و الشوبک الملک المغیث فتح الدین عمر ابن الملک العادل أبی بکر ابن الملک الکامل محمد ابن الملک العادل أبی بکر بن أیّوب. و صاحب صهیون و برزیه و بلاطنس الأمیر مظفّر الدین عثمان ابن الأمیر ناصر الدین منکورس. و صاحب تلّ باشر و الرّحبة و تدمر الملک الأشرف مظفّر الدین موسی بن إبراهیم بن شیر کوه بن محمد بن شیر کوه بن شادی.

و صاحب الموصل و أعمالها الملک الرحیم بدر الدین لؤلؤ الأتابکیّ. و صاحب میّافارقین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶

و دیار بکر و تلک الأعمال الملک الکامل ناصر الدین محمد ابن الملک المظفّر شهاب الدین غازی بن الملک العادل أبی بکر بن أیوب. و صاحب ماردین الملک السعید إیلغازی الأرتقیّ. و صاحب إربل و أعمالها الصاحب تاج الدین بن صلایا العلویّ من جهة الخلیفة. و النائب فی حصون الإسماعیلیّة الثمانیة بالشام رضیّ الدین أبو المعالی. و صاحب المدینة الشریفة- صلوات اللّه و سلامه علی ساکنها- الأمیر عزّ الدین أبو ملک منیف بن شیحة بن قاسم الحسینیّ. و صاحب مکّة المشرّفة- شرفّها اللّه تعالی- الشریف قتادة الحسینیّ. و صاحب الیمن الملک المظفّر شمس الدین یوسف بن عمر.

و أمّا ملوک الشرق: فسلطان ما وراء النهر و خوارزم السلطان رکن الدین و أخوه عزّ الدین و البلاد بینهما مناصفة، و هما فی طاعة هولاکو ملک التّتار.

و أمّا أمر النار التی ظهرت بالحجاز قال قاضی المدینة سنان الحسینیّ: «لمّا کان لیلة الأربعاء ثالث جمادی الآخرة سنة أربع و خمسین و ستّمائة، ظهر بالمدینة الشریفة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷

دویّ عظیم ثم زلزلة عظیمة رجفت منها المدینة و الحیطان و السّقوف ساعة بعد ساعة إلی یوم الجمعة خامس الشهر المذکور ظهرت نار عظیمة، و قد سالت أودیة منها بالنّار إلی وادی شظا حیث یسیل الماء، و قد سدّت مسیل شظا و ما عاد یسیل.

ثم قال: و اللّه لقد طلعنا جماعة نبصرها فإذا الجبال تسیل نیرانا، و قد سدّت الحرّة طریق الحاجّ العراقیّ، و سارت إلی أن وصلت إلی الحرّة فوقفت بعد ما أشفقنا أن تجیء إلینا؛ و رجعت تسیر فی الشرق، یخرج من وسطها مهود و جبال نیران تأکل الحجارة، کما أخبر اللّه فی کتابه العزیز فقال عزّ من قائل: (إنّها ترمی بشرر کالقصر. کأنّه جمالت صفر). قال: و قد کتبت هذا الکتاب یوم خامس رجب سنة أربع و خمسین و النار فی زیادة ما تغیّرت؛ و قد عادت إلی الحرّة و فی قریظة طریق الحاجّ العراقیّ.

و أمّا أمر النار الکبیرة فهی جبال نیران حمر، و الأمّ الکبیرة النار التی سالت النیران منها من عند قریظة و قد زادت، و ما عاد الناس

يدرون أىّ شىء يتمّ بعد ذلك، و اللّه يجعل العاقبة إلى خير؛ و ما أقدر أصف هذه النار». انتهى كلام القاضى فى كتابه.
و قال غيره بعد ما ساق من أمر النار المذكورة عجائب نحوا ممّا ذكرناه و أعظم إلى أن قال: «و قد سال من هذه النار واد يكون مقداره أربعة فراسخ و عرضه
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸
أربعة أميال و عمقه قامة و نصفا، و هى تجرى على وجه الأرض، و تخرج منها أمهاد و جبال صغار تسير على الأرض، و هو صخر يذوب حتّى يبقى مثل الآنك، فإذا جمد صار أسود، و قبل الجمود لونه أحمر؛ و قد حصل بسبب هذه النار إقلاع عن المعاصى و التقرّب إلى اللّه تعالى بالطاعات؛ و خرج أمير المدينة عن مظالم كثيرة».
ثم قال قطب الدين فى الذّيل: «و من كتاب شمس الدين سنان بن نميلة الحسينىّ قاضى المدينة إلى بعض أصحابه يصف الزّلزلة إلى أن ذكر قصّة النار و حكى منها شيئا إلى أن قال: و أشفقنا منها و خفنا خوفا عظيما، و طلعت إلى الأمير و كلّمته و قلت:
قد أحاط بنا العذاب، ارجع إلى اللّه! فاعتق كلّ مماليكه، و ردّ على جماعة أموالهم، فلمّا فعل هذا قلت له: اهبط الساعة معنا إلى النّبىّ- صلّى اللّه عليه و سلّم- فهبط، و بتنا ليلة السبت و الناس جميعهم و النسوان و أولادهم، و ما بقى أحد لا فى النخيل و لا فى المدينة إلّا عند رسول اللّه- صلّى اللّه عليه و سلّم- و أشفقنا منها و ظهر ضوءها إلى أن أبصرت من مكّة، و من الفلاة جميعها. ثم سال من ذلك نهر من نار و أخذ فى وادى أحيلين و سدّ الطريق ثم طلع إلى بحرة الحاجّ، و هو بحر نار يجرى و فوقه جمر يسير إلى أن قطعت الوادى: وادى الشّظا، و ما عاد يجرى سيل قطّ لأنّها حفرته نحو قامتين. و المدينة قد تاب جميع أهلها و لا بقى يسمع فيها رباب و لا دفّ. ثمّ ذكر أشياء مهولة من هذا الجنس إلى أن قال: و الشمس و القمر من يوم طلعت النار ما يطلعان إلّا كاسفين! قال: و أقامت هذه النار أكثر من شهرين». و فيها يقول بعضهم:
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹
يا كاشف الضّرّ صفحا عن جرائمنا لقد أحاطت بنا يا ربّ بأساء
نشكو إليك خطوبا لا نطيق لها حملا و نحن بها حقّا أحقّاء
زلازلا تخشع الصمّ الصّلاب لها و كيف يقوى على الزّلزال شمّاء
أقام سبعا يرجّ الأرض فانصدعت عن منظر منه عين الشمس عشواء
و القصيدة طويلة جدّا كلّها على هذا المنوال. و لو لا خشية الإطالة لذكرنا أمر هذه النار و ما وقع منها، فرأينا أنّ الشرح يطول، و المقصود هنا بقيّة ترجمة السلطان الملك المعزّ أيبك.
و لمّا مات المعزّ رثاه سراج الدّين الورّاق بقصيدة أوّلها:
نقيم عليه مأتما بعد مأتم و نسفح دمعا دون سفح المقطّم
و لو أنّنا نبكى على قدر فقده لدمنا عليه نتبع الدّمع بالدم
و سل طرفى ينبيك عنّى أنّنى دعوت الكرى من بعده بالمحرّم
و منها فى ذكر ولده الملك المنصور علىّ- رحمه اللّه-:
بنى اللّه بالمنصور ما هدّم الرّدى و إنّ بناء اللّه غير مهدّم
مليك الورى بشرى لمضمر طاعة و بؤسى لطاغ فى زمانك مجرم
فما للذى قدّمت من متأخّر و لا للذى أخّرت من متقدّم
و أيبك صوابه كما هو مكتوب، و هو لفظ تركىّ مركّب من كلمتين. فأى هو القمر، و بك أمير، فمعنى الاسم باللغة العربية أمير قمر، و لا عبرة بالتقديم و التأخير فى اللفظ، و أيبك (بفتح الهمزة و سكون الياء المثناة من تحت و تفخيمهما معا) و بك معروف لا حاجة

إلى التعريف به. انتهى.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰

السنة التی حکم فی محرّمها الملک المعظّم توران شاه ابن الملک الصالح نجم الدين، ثم فی صفر و الربيعين منها الملکة شجرة الدّرّ أمّ خليل الصالحيّة، ثمّ فی باقيها الملک المعزّ أيبک صاحب الترجمة، و معه الملک الأشرف مظفّر الدين موسى، و العمدة فی ذلک على المعزّ هذا، و هی سنة ثمان و أربعين و ستّمائة.

فيها كانت كسرة الفرنج على دمياط و قبض على الفرنسيس كما تقدّم.

و فيها قتل الملک المعظّم توران شاه، و قد مرّ أيضا.

و فيها كانت الوقعة بين الملک الناصر صلاح الدين يوسف و بين الملک المعزّ هذا.

و فيها حجّ طائفة من العراق، و لم يحجّ أحد من الشام و لا مصر فی هذه السنة.

و فيها ثارت الجند ببغداد لقطع أرزاقهم. و كلّ ذلک كان من عمل الوزير ابن العلقمیّ الرافضیّ، فإنّه كان حريصا على زوال دولة بنی العبّاس و نقلها إلى العلويّين، و كان يرسل إلى التّتار فی السرّ و الخليفة المستعصم لا يطّلع على باطن الأمور.

و فيها لمّا فرغوا من حرب دمياط و تفرّق أهلها نقلوا أخشاب بيوتهم و أبوابهم منها و تركوها خاوية على عروشها، ثم بنيت بعد ذلک بليدة بالقرب منها تسمّى المنشيّة.

و كان سور دمياط من أحسن الأسوار.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱

و فيها توفّيت أرغوان الحافظية عتيقة الملک العادل أبی بكر بن أيّوب، سمّيت الحافظيّة لأنّها ربّت الملک الحافظ صاحب [قلعة] جعبر، و كانت امرأة عاقلة صالحة، و كانت مدّة حبس الملک المغيث ابن الملک الصالح نجم الدين أيّوب بدمشق تهيّی له الأطعمة و الأشربة و تبعث له النياب، فحقد عليها الملک الصالح إسماعيل فصادرها و أخذ منها أموالا عظيمة، يقال: إنّه أخذ منها أربعمائة صندوق. و لها تربة و مسجد و وقفت عليهما أوقافا.

و فيها قتل الأمير شمس الدين لؤلؤ بن عبد اللّه مقدّم عسكر حلب، و هو الذی قتلته المماليک الصالحيّة فی الوقعة التی كانت بين الناصر و المعزّ صاحب الترجمة. و كان أميرا شجاعا مقداما زاهدا مدبّرا عظيم الشأن، و كان فيه قوّة و بأس غير أنّه كان مستخفّا بالمماليک، و يقول: كلّ عشرة من المماليک فی مقابلة كرىّ، و لا زال يمعن فی ذلک حتى كانت منيته بأيدی المماليک الصالحيّة كما تقدّم ذكره.

و فيها توفّی ابو الحسن المتطبّب وزير الملک الصالح إسماعيل، و هو الذی كان السبب زوال ملک مخدومه، فإنّه كان سيیء السّيرة كثير الظلم قليل الخير، و كان يتستّر بالإسلام، و كان يرمی فی دينه بعظائم؛ و قيل: إنّه كان أوّلا سامريّا فلم يحسن إسلامه؛ و ظهر له بعد موته من الأموال و الجواهر و التّحف و الذخائر ما لا يوجد فی خزائن الخلفاء، و أقاموا ينقلونه مدّة سنين. و قيمة ما ظهر له غير ما ذهب عند الناس ثلاثة آلاف ألف دينار؛ و وجد له عشرة آلاف مجلّد من الكتب النفيسة و الخطوط المنسوبة. قال الشيخ إسماعيل [بن علیّ] الكورانیّ يوما و قد زاره الوزير

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲

المذكور: لو بقيت على دينک كان أصلح لأنّک تتمسّک بدين فی الجملة؛ و أمّا الآن فأنت مذبذب لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء!.

الذين ذكر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فيها توفّی الإمام أبو محمد إبراهيم بن محمود بن سالم بن الخيّر فی شهر ربيع الاخر، و له خمس و ثمانون سنة. و الحافظ شمس الدين يوسف بن خليل الدّمشقیّ الأدمیّ بحلب فی جمادى الاخرة، و له ثلاث و تسعون سنة. و القاضی أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن الحبّاب التّميمیّ السّعدیّ، و له سبع و ثمانون سنة فی شهر رمضان. و

المحدّث أبو محمد عبد الوهاب ابن رواح، و اسمه ظافر بن علیّ بن فتوح القرشیّ المالکیّ، و له أربع و تسعون سنة.

و أبو المنصور مظفّر بن عبد الملک بن الفویّ المالکیّ. و نائب الملک الناصر الأمیر شمس الدین لؤلؤ قتل فی جماعة فی الوقعة الکائنة بین المصریّین و الشامیّن.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و أربع أصابع. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و إصبعان.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۴۹]

السنة الثانیة من ولایة السلطان الملک المعزّ أیبک الصالحیّ النّجمیّ التّرکمانیّ علی مصر، و هی سنة تسع و أربعین و ستمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳

فیها عاد الملک الناصر صلاح الدین یوسف من غزّة إلی دمشق، و أرسل المعزّ عسکر مصر فنزل إلی غزّة و الساحل، ثم عادوا إلی القاهرة.

و فیها أیضا أخذ الملک المغیث ابن الملک العادل بن الملک الکامل الکرک و الشّوبک، أعطاه إیّاهما الخادم. و لمّا سمع الملک المعزّ بذلک جهّز الأمیر فارس الدین أقطای الجمدار فی ألف فارس إلی غزّة.

و فیها نقلوا تابوت الملک الصالح نجم الدین أیّوب إلی تربته بالقاهرة ببین القصرین، و لبس الأمراء ثیاب العزاء و ناحوا علیه ببین القصرین، و تصدّقت جاریته شجرة الدّرّ فی ذلک الیوم بمال عظیم.

و فیها أخرب الترک دمیاط و حملوا آلاتها إلی مصر و أخربوا الجزیرة (أعنی الروضة) و أخلوها.

و فیها کثر الظلم بالدیار المصریّة و عظم الجور و المصادرات لکلّ أحد حتی أخذوا مال الأوقاف و مال الأیتام علی نیّة القرض، و من أرباب الصنائع کالأطباء و الشهود.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴

و فیها توفّی الفقیه بهاء الدین علیّ بن هبة اللّه بن سلامة بن الجمیزیّ، کان إماما فاضلا عارفا بمذهب الشافعیّ دیّنا، و کان یخالط الملوک. و لمّا حجّ قبل هدیة صاحب الیمن فأعرض عنه الملک الصالح نجم الدین أیّوب لذلک. و کانت وفاته فی ذی الحجة بمصر، و دفن بالقرافة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفی الإمام عبد الظاهر ابن نشوان السّعدیّ المقرئ النحویّ الضریر فی جمادی الأولی. و أبو نصر عبد العزیز ابن یحیی بن الزبیدیّ، و له تسع و ثمانون سنة. و الإمام أبو المظفّر محمد بن مقبل ابن فتیان النّهروانیّ بن المنّیّ فی جمادی الآخرة. و أبو نصر الأعزّ بن فضائل ببغداد فی رجب. و الأمیر الصاحب جمال الدین یحیی بن عیسی المصری ابن مطروح الأدیب. و أبو القاسم عیسی بن أبی الحرم مکّیّ بن حسین العامریّ المصریّ المقرئ فی شوّال. و الإمام أبو محمد عبد الخالق بن الأنجب بن المعمّر النّشتبریّ بماردین فی ذی الحجة. و الإمام العلّامة بهاء الدین أبو الحسن علیّ بن هبة اللّه بن سلامة بن الجمّیزیّ فی ذی الحجّة، و له تسعون سنة و أسبوعان. و الفقیه عبید اللّه بن عاصم خطیب رندة، و له سبع و ثمانون سنة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و ثمانی عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۰]

السنة الثالثة من ولایة الملک المعزّ أیبک التّرکمانیّ علی مصر، و هی سنة خمسین و ستّمائة.

فیها وصلت التّتار إلی الجزیرة و نهبوا دیار بکر و میّافارقین، و جاءوا إلی رأس عین و سروج و غیرها، و قتلوا زیادة علی عشرة آلاف إنسان، و صادفوا قافلة خرجت من حرّان تقصد بغداد، فأخذوا منها أموالا عظیمة: منها ستّمائة حمل سکّر مصریّ و ستّمائة ألف دینار، قاله أبو المظفّر فی مرآة الزمان، قال: و قتلوا الشیوخ و العجائز و ساقوا من النساء و الصّبیان ما أرادوا، ثم رجعوا إلی خلاط. و قطع أهل الشرق الفرات و خاض الناس فی القتلی من دنیسر إلی الفرات. قال بعض التّجار:

عددت علی جسر بین حرّان و رأس عین فی مکان واحد ثلثمائة و ثمانین قتیلا من المسلمین؛ ثم قتل ملک التّتار کشلوخان.

و فیها حجّ بالناس من بغداد بعد أن کان بطل الحجّ منذ عشر سنین من سنة مات الخلیفة المستنصر.

و فیها قدم الشیخ نجم الدین البادرانیّ رسولا من الخلیفة و أصلح بین المعزّ أیبک صاحب الترجمة و بین الناصر یوسف، و قد تقدّم ذلک، و کان کلّ واحد من الطائفتین قد سئم و ضرس من الحرب، و سکنت الفتنة بین الملوک و استراح الناس.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶

و فیها توفّی العلّامة رضیّ الدین أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حیدر بن علیّ القرشیّ العدویّ العمریّ الصاغانیّ الأصل الهندیّ اللاهوریّ المولد البغدادیّ الوفاة المحدّث الفقیه الحنفیّ اللغویّ الإمام صاحب التصانیف، ولد بمنیة لاهور فی عاشر صفر سنة سبع و سبعین و خمسمائة و نشأ بغزنة، و دخل بغداد فسمع الکثیر فی عدّة بلاد و رحل. و کان إلیه المنتهی فی علم العربیة و اللغة، و صنّف کتاب «مجمع البحرین» فی اللغة، اثنا عشر مجلّدا، و کتاب «العباب الزاخر» فی اللّغة أیضا عشرون مجلدا، و أشیاء غیر ذلک. قال الحافظ الدّمیاطی: و کان شیخا صدوقا صالحا صموتا عن فضول الکلام إماما فی اللّغة و الفقه و الحدیث؛ قرأت علیه یوم الأربعاء و توفّی لیلة الجمعة تاسع عشر شعبان، و حضرت دفنه بداره بالحریم الطاهریّ ببغداد. ثم ترجمه الدمیاطی ترجمة طویلة و أثنی علی علمه و فضله و دینه.

و فیها توفّی الشیخ شمس الدین محمد بن سعد [بن عبد اللّه بن سعد بن مفلح بن هبة اللّه] الکاتب المقدسیّ نشأ بقاسیون علی الخیر و الصلاح و قرأ النحو و العربیّة و سمع الحدیث الکثیر، و برع فی الأدب. و کان دیّنا حسن الخط و کتب للملک الصالح إسماعیل و للملک الناصر داود. و من شعره:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷

لنا بقدوم طلعتک الهناء و للأعداء و یحهم الفناء

قدمت فکنت شبه الغیث وافی بلادا قد أحلّ بها الظّماء

قلت: و یعجبنی فی هذا المعنی قول القائل و لم أدر لمن هو:

قدومک أشهی من زلال علی ظما و أحسن من نیل المنی فی المآرب

حکی الغیث وافی الأرض من بعد جدبها و أطلع فیها النبت من کلّ جانب

و فیها توفّی الأمیر الصاحب جمال الدین أبو الحسین یحیی بن عیسی بن إبراهیم ابن الحسین بن علیّ بن حمزة بن إبراهیم بن الحسین بن مطروح. کان أصله من صعید مصر، و ولد به و نشأ هناک، ثم قدم القاهرة و اشتغل و برع فی الأدب و الکتابة و اتّصل بخدمة الملک الصالح نجم الدین أیّوب. قال أبو المظفّر: کان فاضلا کیسا شاعرا. و من شعره لمّا فتح الناصر داود برج داود بالقدس، قال:

المسجد الأقصی له عادة سارت فصارت مثلا سائرا

إذا غدا للکفر مستوطنا أن یبعث اللّه له ناصرا

فناصر طهّره أوّلا و ناصر طهّره آخرا

قال: و توفی فی شعبان و دفن بساریة بالقرافة و کانت له أخبار عظیمة، و کان قد دخل بین الخوارزمیّة و الصالح أیّوب، و استنابه أیّوب بالشام و لبس ثیاب الجند و ما کانت تلیق به. ثمّ غضب علیه الصالح و أعرض عنه إلی أن مات، فأقام خاملا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸

إلی أن مات. و قد کان جوادا ذا مروءة متعصّبا سمحا حلیما حسن الظنّ بالفقراء عارفا فاضلا. انتهی کلام أبی المظفّر. قلت: و دیوان شعره مشهور. و من شعره القصیدة المشهورة:

هی رامة فخذوا یمین الوادی و ذروا السیوف تقرّ فی الأغماد

و حذار من لحظات أعین عینها فلکم صرعن بها من الاساد

من کان منکم واثقا بفؤاده فهناک ما أنا واثق بفؤادی

یا صاحبیّ ولی بجرعاء الحمی قلب أسیر ماله من فادی

سلبته منّی یوم بانوا مقلّة مکحولة أجفانها بسواد

و بحیّ من أنا فی هواه میّت عین علی العشّاق بالمرصاد

و أغنّ مسکیّ اللّمی معسوله لو لا الرقیب بلغت منه مرادی

کیف السبیل إلی وصال محجّب ما بین بیض ظبا و سمر صعاد

فی بیت شعر نازل من شعره فالحسن منه عاکف فی بادی

حرسوا مهفهف قدّه بمثقّف فتشابه المیّاس بالمیّاد

قالت لنا ألف العذار بخدّه فی میم مبسمه شفاء الصادی

و هی أطول من ذلک اختصرتها خوف الإطالة. و یعجبنی قصیدة الجزّار فی مدح ابن مطروح هذا. أذکر غزلها:

هو ذا الرّبع ولی نفس مشوقه فاحبس الرکب عسی أقضی حقوقه

فقبیح بی فی شرع الهوی بعد ذاک البرّ أن أرضی عقوقه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹

لست أنسی فیه لیلات مضت مع من أهوی و ساعات أنیقة

و لئن أضحی مجازا بعدهم فغرامی فیه ما زال حقیقة

یا صدیقی و الکریم الحرّ فی مثل هذا الوقت لا ینسی صدیقه

ضع یدا منک علی قلبی عسی أن تهدّی بین جنبیّ خفوقه

فاض دمعی مذ رأی ربع الهوی و لکم فاض و قد شام بروقه

نفد اللؤلؤ من أدمعه فغدا ینثر فی التّرب عقیقه

قف [معی] و استوقف الرکب فإن لم یقف فاترکه یمضی و طریقه

فهی أرض قلّما یلحقها آمل و الرّکب لم أعدم لحوقه

طالما استجلیت فی أرجائها من یتیه البدر إذ یدعی شقیقه

یفضح الورد احمرارا خدّه و تودّ الخمر لو تشبه ریقه

فبه الحسن خلیق لم یزل و المعالی بابن مطروح خلیقه

و له بیتان ضمّنهما بیت المتنبّی الذی هو أوّل قصیدته، و هو:

تذکّرت ما بین العذیب و بارق مجرّ عوالینا و مجری السوابق

فقال ابن مطروح مضمّنا:

إذا ما سقانی ریقه و هو باسم تذکّرت ما بین العذیب و بارق

و يذكرنى من قدّه و مدامعى مجرّ عوالينا و مجرى السوابق
الـذين ذكر الـذهبىّ وفـاتهم فى هـذه السـنة، قـال: و فيهـا توفّى أبو البركات هبـة اللّه ابن محمـد بن الحسـين [المعروف بآ] بن الواعظ المقدسىّ ثم الإسكندرانىّ عن إحدى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰
و ثمانين سـنة. و أبو القاسم يحيى بن أبى السـعود [نصـر] بن قميرة التاجر فى جمادى الأولى، و له خمس و ثمانون سـنة. و العلّامـة أبو الفضائل الحسن بن محمـد بن الحسن العـدوى العمرىّ الصّـِغانىّ النحوىّ اللغوىّ. و الأديب شـمس الـدين محمد بن سـعد بن عبد اللّه المقدسىّ الكاتب فى شوّال. و المسند رشيد الدين أحمد بن المفرّج بن علىّ [ابن عبد العزيز] بن مسلمة العدل فى ذى القعدة.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۱]

السنة الرابعة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة إحدى و خمسين و ستمائة.
فيها كانت الوقفة الجمعة.
و فيها عظم بمصـر أمر الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار و رشّح للسـلطنة، و كان من حزبه من خشداشـيته بيبرس البندقدارىّ، و بلبان الرّشيدىّ، و سنقر الرّومىّ، و سنقر الأشقر. و صار الملك المعزّ فى خوف. و قد تقدّم ذكر هذه الحكاية فى ترجمة المعزّ.
و فيها كان الغلاء بمكّة المشرّفة، و أبيع فيها الشّربة الماء بدرهم، و الشاة بأربعين درهما.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱
و فيهـا توفّى الشـيخ الإمام سـعد الـدين محمـد بن المؤيّـِد [ابن عبـد اللّه بن علىّ] بن حمّويه ابن عمّ شـيخ الشـيوخ صـدر الـدين. مات بخراسان، و كان زاهـدا عابـدا ديّنا متكلّما فى الحقيقـة، و له مجاهـدات و رياضات، و قـدم الشام و حـجّ و سـكن بدمشق، ثمّ عاد إلى الشـرق بعـد أن افتقر بالشـام، و اجتمع بملـك التّتـار فـأحسن به الظنّ و أعطـاه مالا كثيرا، و أسـلم على يـده خلق كثير من التّتار، و بنى هناك خانقاه و تربة إلى جانبها، و أقام يتعبّد، و كان له قبول عظيم هناك- رحمه اللّه تعالى-.
الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو البقاء صالـح بن شـجاع بن محمـد بن سـيّدهم المـدلجىّ الخيّاط فى المحرّم. و سـبط السّـِلفىّ أبو القاسم عبد الرحمن بن أبى الحرم مكّىّ بن عبد الرحمن الطّرابلسـىّ الإسـكندرانىّ فى شوّال عن إحدى و ثمانين سنة. و أبو محمد عبد القادر بن حسين [ابن محمد بن جميل] البندنيجىّ البوّاب آخر من روى عن عبد الحق اليوسفىّ.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ثمانى أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۲]

السنة الخامسة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر؛ و هى سنة اثنتين و خمسين و ستمائة.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲
فيهـا وصـلت الأخبار من مكّـة بأنّ نارا ظهرت فى أرض عـدن فى بعض جبالها، بحيث يطير شـررها إلى البحر فى الليل، و يصـعد منها دخـان عظيم فى النهـار، فما شـكّوا أنّها النار التى ذكر النّبىّ صـلّى اللّه عليه و سـلّم أنّها تظهر فى آخر الزمان. فتاب الناس و أقلعوا عمّا كانوا عليه من المظالم و الفساد، و شرعوا فى أفعال الخير و الصدقات.
قلت: و قد تقدّم ذكر هذه النار بأوسع من هذا فى ترجمة الملك المعزّ هذا.
و فيها وصـلت الأخبار من الغرب باستيلاء إنسان على إفريقيّـة و ادّعى أنّه خليفة، و تلقّب بالمستنصـر، و خطب له فى تلك النواحى، و

أظهر العدل و بنى برجا و أجلس الوزير و القاضى و المحتسب بين يديه يحكمون بين الناس، و أحبّته الرعيّة و تمّ أمره.

و فيها توفّى الإمام عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهىّ. كان إماما فاضلا فى فنون، و صحب الفخر الرازىّ ابن خطيب الرّىّ، و أقام عند الملك الناصر داود سنين كثيرة بدمشق و الكرك، و كان متواضعا كبير القدر كثير الإحسان. مات بدمشق و دفن بقاسيون فى تربة المعظّم عيسى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد اللّه [ابن أبى القاسم الخضر بن محمد بن علىّ] بن تيميّة الحرّانىّ الحنبلىّ جدّ الشيخ تقىّ الدين ابن تيميّة. ولد فى حدود سنة تسعين و خمسمائة و تفقّه فى صغره على عمّه الخطيب فخر الدين؛ و سمع الكثير و رحل البلاد و برع فى الحديث و الفقه و غيره، و درّس و أفتى و انتفع به الطلبة، و مات يوم الفطر بحرّان.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى سديد [الدين] أبو محمد مكّى [بن أبى الغنائم] ابن المسلم [بن مكّى] بن علّان القيسى فى صفر، و له تسع و ثمانون سنة. و الرشيد إسماعيل بن أحمد بن الحسين العراقىّ الحنبلىّ عن نيّف و ثمانين سنة فى جمادى الأولى. و المفتى كمال الدين أبو سالم محمد بن طلحة النّصيبىّ بحلب عن سبعين سنة. و أبو البقاء محمد بن على بن بقاء [بن] السبّاك. و العلّامة مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد اللّه بن أبى القاسم ابن تيميّة بحرّان يوم الفطر عن اثنتين و ستين سنة. و أبو الغيث فرج [بن عبد اللّه] الحبشىّ فتى أبى جعفر القرطبى فى شوّال. و الإمام شمس الدين عبد الحميد بن عيسى الخسرو شاهىّ بدمشق. و أبو العزائم عيسى بن سلامة بن سالم الخيّاط بحرّان فى أواخر السنة، و له مائة و سنة. و الفارس أقطاى مقدّم البحريّة، قتله المعزّ بمصر.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۳]

السنة السادسة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة ثلاث و خمسين و ستمائة.

فيها عزمت المماليك العزيزيّة على القبض على الملك المعزّ و كاتبوا الملك الناصر فلم يوافقهم أيدغدىّ العزيزىّ، و استشعر الملك المعزّ منهم بذلك و علم الخبر، و علموا هم أيضا فهربوا على حميّة، و كبيرهم آقوش البرنلى، و لم يهرب أيدغدى و أقام بمخيّمه، فجاء الملك المعزّ راكبا إلى قرب خيمته فخرج إليه أيدغدى فأمر المعزّ بحمله، و قبض أيضا على الأمير الأتابكى و نهبت خيام العزيزيّة و كانوا بالعبّاسة، و الأعيان الذين هربوا: هم بلبان الرّشيدىّ، و عزّ الدين أزدمر، و بيبرس البندقدارىّ، و سنقر الأشقر، و سيف الدين قلاوون الألفى، و بدر الدين بيسرى، و سنقر الرّومى، و بلبان المستنصرىّ.

و فيها عاد الملك الناصر داود من الأنبار إلى دمشق بعد أن حبسه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بقلعة حمص ثلاث سنين و بعث به إلى بغداد، ثم عاد إلى دمشق و أقام بها، ثم عاد فى سنة ثلاث و خمسين إلى العراق، و حجّ و أقام بالحلّة، و كان قد جرى بين الحجّ العراقىّ و أصحاب أمير مكّة فتنة، فأصلح بينهم.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المفتى ضياء الدين صقر بن يحيى بن سالم الحلبىّ فى صفر عن نيّف و تسعين سنة. و المحدّث

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵

شهاب الدين أبو العرب إسماعيل بن حامد الأنصارى القوصىّ فى شهر ربيع الأوّل عن ثمانين سنة. و النور محمد بن أبى بكر بن أحمد بن خلف البلخىّ ثم الدّمشقىّ، فى شهر ربيع الآخر، و قد رأى السّلفىّ.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و اثنتا عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۴]

السنة السابعة من ولاية الملك المعزّ أيبك الصالحىّ النّجمىّ التّركمانىّ على مصر، و هى سنة أربع و خمسين و ستمائة.

فيها فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف مدرسته التى أنشأها بدمشق بباب الفراديس.

و فيها غرقت بغداد الغرق العظيم الذى لم يعهد مثله بحيث انتقل الخليفة، و دخل الماء إلى دار الوزير و غرقت خزائن الخليفة، و جرى شيء لم يجر مثله، و كان ذلك فى شهر ربيع الآخر و جمادى الأولى.

و فيها توفّى الشيخ الزاهد العابد الورع المجاهد عماد الدين عبد اللّه [بن أبى المجد الحسن بن الحسين بن علىّ الأنصارىّ] ابن النحّاس، خدم فى مبادئ أمره الملوك، و ولى الوزارة لبعضهم، ثم انقطع فى آخر عمره بقاسيون بزاويته، فأقام بها ثلاثين سنة صائما قائما مشغولا بالله تعالى و يقضى حوائج الناس بنفسه و ماله، و دفن بقاسيون، و كان له مشهد هائل.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶

و فيها كان ظهور النار العظيمة بالمدينة الشريفة و هى غير التى ذكرناها فى السنة الماضية، و هذه النار التى تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك المعزّ هذا.

و فيها احترق مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فى شهر رمضان، و هذا غير النار التى ظهرت بنواحى المدينة، فإن هذا الحريق له سبب، ابتدأ من زاوية الحرم النبوىّ [الغربية من الشمال]، فعلقت فى آلات الحرم ثم دبّت فى السّقوف، فما كان إلّا ساعة حتّى احترقت سقوف المسجد أجمع، و وقع بعض أساطينه، و كان ذلك قبل أن ينام الناس، و احترق أيضا سقف الحجرة، و أصبح الناس فى يوم الجمعة فعزلوا موضعا للصلاة. و نظم فى حريق المسجد غير واحد من الشعراء، فقال معين الدين بن تولو المغربىّ:

قل للرّوافض بالمدينة مالكم يقتادكم للذّمّ كلّ سفيه

ما أصبح الحرم الشريف محرّقا إلّا لسبّكم الصحابة فيه

و قال غيره:

لم يحترق حرم النبى لحادث يخشى عليه و لا دهاه العار

لكنها أيدى الرّوافض لامست ذاك الجناب فطهّرته النار

قال: و عدّ ما وقع من تلك النار الخارجة و حريق المسجد من جملة الآيات.

و قال أبو شامة: فى ليلة السادس عشر من جمادى الآخرة خسف القمر أوّل الليل، و كان شديد الحمرة ثم انجلى، و كسفت الشمس فى غده، احمرّت وقت طلوعها

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷

و [قريب] غروبها، و اتّضح بذلك ما صوّره الإمام الشافعىّ من اجتماع الخسوف و الكسوف، و استبعده أهل النّجامة.

و فيها تواترت الأخبار بوصول هولاكو إلى أذربيجان قاصدا بلاد الشام، فتصالح العسكر المصرىّ و الشامىّ على قتاله و تهيّأ كلّ منهم للقاء التّتار.

و فيها توفّى الأمير مجاهد الدين إبراهيم بن أونبا [بن عبد اللّه] الصّوابى نائب دمشق، وليها بعد حسام الدّين بن أبى علىّ، و كان فى أوّل أمره أمير جاندار الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و كان أميرا كبيرا عاقلا فاضلا شاعرا. و من شعره- رحمه اللّه تعالى-:

أشبهك الغصن فى خصال القدّ و اللّين و التثنّى

لکن [تجنّیک] ما حکاه الغصن یجنی و أنت تجنی

و فیها توفّی الإمام العلّامة عبد العظیم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد اللّه بن محمد بن جعفر بن الحسن زکیّ الدین أبو محمد البغدادیّ ثم المصریّ المعروف بابن أبی الإصبع. کان أحد الشعراء المجیدین، و هو صاحب التصانیف المفیدة فی الأدب و غیره. و مولده فی سنة خمس و قیل سنة تسع و ثمانین و خمسمائة بمصر و توفّی بها.

و من شعره فی نوع «التصدیر» و سمّاه الأوائل «ردّ العجز علی الصدر» علی خلاف وقع فی ذلک:

اصبر علی خلق من تصاحبه و اصحب صبورا علی أذی خلقک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸

و ذکر أیضا فی نوع «المدح فی معرض الذم» أبیاتا یعارض بها القاضی السعید ابن سناء الملک فی قوّاد. فقال هو فیمن ادّعی الفقه و الکرم:

إنّ فلانا أکرم الناس لا یمنع ذا الحاجة من فلسه

و هو فقیه ذو اجتهاد و قد نصّ علی التقلید فی درسه

فیحسن البحث علی وجهه و یوجب الدّخل علی نفسه

و أمّا قول ابن سناء الملک فی قوّاد:

لی صاحب أفدیه من صاحب حلو التأتّی حسن الاحتیال

لو شاء من رقّة ألفاظه ألّف [ما] بین الهدی و الضلال

یکفیک منه أنّه ربّما قاد إلی المهجور طیف الخیال

قلت: و یعجبنی قول من قال فی هذا المعنی- أعنی فی قوّاد-:

إذا کان الذی تهواه غصنا و أقسم لا یرقّ لمن یهیم

فدونک و النّسیم له رسولا فإنّ الغصن یعطفه النسیم

و أحسن من هذا قول من قال:

لی صاحب ما زلت أشکر فعله قد عمّنی بلطائف الإحسان

لو لم یکن مثل النسیم لطافة ما کان یعطف لی غصون البان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹

و فیها توفّی الشیخ الإمام الفقیه الواعظ المؤرّخ العلّامة شمس الدین أبو المظفّر یوسف بن قزأوغلی بن عبد اللّه البغدادیّ ثم الدّمشقیّ الحنفیّ سبط الحافظ أبی الفرج ابن الجوزیّ. کان والده حسام الدین قزأوغلی من ممالیک الوزیر عون الدین یحیی ابن هبیرة، و کان عنده بمنزلة الولد، ربّاه و أعتقه و أدّبه. و مولد الشیخ شمس الدین هذا فی سنة اثنتین و ثمانین و خمسمائة ببغداد، و بها نشأ تحت کنف جدّه لأمّه الحافظ أبی الفرج ابن الجوزیّ إلی أن مات فی سنة سبع و تسعین و خمسمائة، و اشتغل و برع فی عدّة علوم، و وعظ ببغداد و غیرها، و قدم دمشق و استوطنها، و نالته السعادة و الوجاهة عند الملوک، لا سیّما الملک المعظّم عیسی، فإنّه کان عنده بالمنزلة العظمی؛ و رحل البلاد و سمع الحدیث و جلس للوعظ فی الأقطار، و کان له لسان حلو فی الوعظ و التّذکار، و لکلامه موقع فی القلوب، و علیه قابلیّة من الخاص و العام؛ و له مصنّفات مفیدة: تاریخه المسمّی «مرآة الزمان» و هو من أجلّ الکتب فی معناها. و نقلت منه فی هذا الکتاب معظم حوادثه. و کانت وفاته فی ذی الحجّة. رحمه اللّه تعالی.

و قد استوعبنا ترجمته فی تاریخنا «المنهل الصافی و المستوفی بعد الوافی» بأوسع من هذا إذ هو کتاب تراجم و لیس للإطناب فی ذکره هنا محلّ، کون أنّنا شرطنا فی هذا الکتاب ألّا نطنب إلّا فی تراجم ملوک مصر الذین تألیف هذا الکتاب بصددهم، و ما عداهم

يكون على سبيل الاختصار فى ضمن الحوادث المتعلقة بالمترجم من ملوك مصر. انتهى.
و فيها توفّى الأمير سيف الدين أبو الحسن يوسف بن أبى الفوارس بن موسك القيمرىّ واقف المارستان بجبل الصالحيّة، كان أكبر الأمراء فى آخر عمره و أعظمهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۰

مكانة، و جميع أمراء الأكراد القيمريّة و غيرهم كانوا يتأدّبون و يقفون فى خدمته إلى أن مات فى شعبان، و هو أجلّ الأمراء مرتبة.
الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العماد أبو بكر عبد اللّه بن أبى المجد الحسن بن الحسين الأنصارىّ ابن النحّاس الأصمّ فى المحرّم، و له اثنتان و ثمانون سنة. و الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد [بن عبد الرحمن] بن وثيق الإشبيلىّ المقرئ بالإسكندريّة، و له سبع و ثمانون سنة، توفّى فى شهر ربيع الآخر.
و القاضى أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد السلام بن المقدسيّة السّفاقسىّ، آخر من حضر على السّلفىّ فى جمادى الأولى. و المفتى شمس الدين عبد الرحمن بن نوح المقدسىّ. و الواعظ شمس الدين يوسف بن قزأوغلى سبط ابن الجوزىّ فى ذى الحجّة.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ستّ عشرة إصبعا.
مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۱

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۵]

ذكر سلطنة الملك المنصور علىّ بن أيبك التّركمانى على مصر

السلطان الملك المنصور نور الدين علىّ ابن السلطان الملك المعزّ عزّ الدين أيبك التّركمانىّ الصالحىّ النجمىّ، ملك الديار المصريّة بعد قتل أبيه المعزّ أيبك فى يوم الخميس خامس عشرين شهر ربيع الأوّل سنة خمس و خمسين و ستمائة، و تمّ أمره و خطب له من الغد فى يوم الجمعة سادس عشرينه على منابر مصر و أعمالها. و المنصور هذا هو الثانى من ملوك مصر من الترك بالديار المصريّة.
و تسلطن المنصور هذا و عمره خمس عشرة سنة، و ركب فى يوم الخميس ثانى شهر ربيع الآخر بشعار السلطنة من القلعة إلى قبة النصر فى موكب هائل، ثم عاد و دخل القاهرة من باب النصر، و ترجّل الأمراء و مشوا بين يديه ما خلا الأتابك علم الدين سنجر الحلبىّ، ثم صعد المنصور إلى القلعة و جلس بدار السلطنة و مدّ السّماط للأمراء فأكلوا، و وزر له وزير أبيه شرف الدين الفائزىّ و انفضّ الموكب.
و فى يوم الجمعة ثالث شهر ربيع الآخر خطب للملك المنصور و بعده لأتابكه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۲

علم الدين سنجر الحلبىّ المذكور. و فوّض القضاء بالقاهرة و أعمالها إلى القاضى بدر الدين السّنجارىّ، و عزل تاج الدين ابن بنت الأعزّ و أبقى عليه قضاء مصر القديمة و أعمالها.
و فى عاشر شهر ربيع الآخر قبض الأمير قطز و سنجر [الغتمى] و بهادر و غيرهم من الأمراء المعزّيّة على الأتابك سنجر الحلبىّ، و أنزلوه إلى الجبّ بالقلعة، و كان القبض عليه لأمور: أحدها أنّه كان طمع فى السلطنة بعد قتل الملك المعزّ أيبك لمّا طلبته شجرة الدّرّ و عرضت عليه الملك، و الثانى أنه بلغهم أنه ندم على ترك الملك و هو فى عزم الوثوب؛ فعاجلوه و قبضوا عليه. و لمّا قبض عليه اضطربت خشداشيته من المماليك الصالحيّة النّجميّة و خاف كلّ أحد على نفسه، فهرب أكثرهم إلى جهة الشام، فخرج فى إثرهم

جماعة من الأمراء المعزّيّة و غيرهم، و تقنطر بالأمير عزّ الدين أيبك الحلبىّ الكبير فرسه، و كذلك الأمير خاصّ ترك الصغير فهلكا خارج القاهرة و أدخلا ميتين، و كانوا ركبوا فى جماعة من المماليك الصالحيّة فى قصد الشام أيضا. و اتّبع العسكر المهزومين إلى الشام، فقبض على أكثرهم و حملوا إلى القلعة و اعتقلوا بها. و قبض أيضا على الوزير شرف الدين الفائزى. و فوّض أمر الوزارة إلى القاضى بدر الدين يوسف السّنجارىّ مضافا إلى القضاء، و أخذ موجود الفائزى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۳

و كان له مال كثير. ثم قبض على بهاء الدين علىّ [بن محمد بن سليم] بن حنّا وزير شجرة الدّرّ، و أخذ خطّه بستّين ألف دينار. ثم خلع الملك المنصور على الأمير أقطاى المستعرب باستقراره أتابكا عوضا عن سنجر الحلبىّ. ثم فى شهر رجب رفعت يد القاضى بدر الدين السّنجارىّ من الوزارة و أضيف إليه قضاء مصر القديمة، فكمل له قضاء الإقليم بكماله، و ولى القاضى تاج الدين ابن بنت الأعزّ الوزارة.

ثم فى شعبان كثرت الأراجيف بين الناس بأنّ الأمراء و الأجناد اتّفقوا على إزالة حكم مماليك الملك المعزّ من الدولة، و أنّ الملك المنصور تغيّر على الأمير سيف الدين قطز المعزّى، و اجتمع الأمراء فى بيت الأمير بهاء الدين بغدى مقدّم الحلقة، و تكلّموا إلى أن صلح الأمر بين الملك المنصور و بين مملوک أبيه الأمير قطز. و خلع عليه و طيّب قلبه؛ ثم وقع الكلام أيضا من المعزّيّة و غيرهم. فلمّا كان رابع شهر رمضان ركب الأمير بغدى و بدر الدين بلغان و انضاف إليهما جماعة و وقفوا بآله الحرب، فخرج إليهم حاشية السلطان فقاتلوهم و هزموهم و قبضوا على بغدى بعد أن جرح و على بلغان و حملا إلى القلعة؛ و دخلت المعزّية إلى القاهرة، فقبضوا على الأمير عزّ الدين أيبك الأسمر و أرزن الرّومىّ و سابق الدين بوزنا الصّيرفىّ و غيرهم من المماليك الأشرفيّة و نهبت دورهم، فاضطربت القاهرة حتّى نودى بالأمان لمن دخل فى الطاعة و سكن الناس، و ركب السلطان الملك المنصور فى خامس

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۴

شهر رمضان و شقّ القاهرة و فى خدمته الأمير قطز و باقى مماليك أبيه، ثم نزل أيضا فى عيد الفطر و صلّى بالمصلّى. و ركب و عاد إلى القلعة و مدّ السّماط.

ثم ورد كتاب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام و حلب على الملك المنصور بمفارقة البحريّة و الصالحيّة له (أعنى الأمراء و المماليک الذين خرجوا من القاهرة بعد القبض على علم الدين سنجر الحلبىّ المقدّم ذكره). فلمّا وقف المصريّون على الكتاب ظنّوا أن ذلک خديعة من الملك الناصر فآحترزوا لأنفسهم.

ثم جهّز الملك المنصور عسكرا من المماليک و الأمراء و مقدّمهم الدّمياطىّ إلى الشام، فتوجّهوا و نزلوا بالعبّاسة؛ فوردت الأخبار على السلطان الملك المنصور بأنّ عساكر الملك الناصر وصلت إلى نابلس لقتال البحريّة الذين قدموا عليه من مصر ثم فارقوه، و كان البحرية نازلين بغزّة، ثم وردت الأخبار بأنّ البحريّة، و كان مقدّم البحريّة بلبان الرّشيدىّ و بيبرس البندقدارىّ، خرجوا من غزّة و كبسوا عسكر الملك الناصر و قتلوا منهم جماعة كثيرة ليلا. ثم ورد الخبر ثانيا بأنّ عسكر الملك الناصر كسروا البحريّة و أنّ البحريّة انحازوا إلى ناحية زغر من الغور. ثم ورد الخبر أيضا بمجىء البحريّة إلى جهة القاهرة طائعين للسلطنة، فقدم منهم الأمير عزّ الدين أيبک الأفرم و معه جماعة، فتلقّوا بالإكرام، و أفرج عن أملاک الأفرم و أرزاقه و نزل بداره بمصر. ثم بلغ السلطان أنّ البحرية (أعنى الذى بقى منهم) رحلوا من زغر طالبين بعض الجهات، فاتّضح من أمرهم أنّهم خرجوا من دمشق على حميّة و أنّهم قصدوا القدس الشريف، و مقطع القدس يوم ذاک سيف الدين كبک من جهة الملك الناصر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۵

يوسف صاحب الشام و حلب، فطلبوا منه البحريّة أن يكون معهم فامتنع فاعتقلوه، و خطبوا بالقدس للملک المغيث بن العادل بن الكامل بن العادل بن أيّوب.

ثم جاءوا إلی غزّة و قبضوا علی والیها (أعنی نائبها) و أخذوا حواصل الملک الناصر من غزّة و القدس و غیرهما. ثم إنّهم أطمعوا الملک المغیث صاحب الکرک فی ملک مصر، و قالوا له: هذا ملک أبیک و جدّک و عمّک، ثم عزموا علی قصد الدیار المصریّة، فجاء الخبر إلی مصر بذلک فخرج إلیهم العسکر المصریّ، و اجتمعوا بالصالحیّة و أقاموا بها، فلمّا کان سحر لیلة السبت منتصف ذی القعدة وصلت البحریّة بمن معهم من عسکر الملک المغیث، و وقعت الحرب بین الفریقین و اشتدّ القتال بینهم و جرح جماعة، و المصریّون مع ذلک یزدادون کثرة و طلعت الشمس، فرأت البحریّة کثرة المصریّین فانهزموا و أسر منهم بلبان الرّشیدیّ و به جراحات و هو من کبار القوم، و هرب بیبرس البندقداریّ و بدر الصّوابی إلی الکرک، و بعض البحریّة دخل فی العسکر المصریّ، و دخل العسکر المصریّ القاهرة، و زیّن البلد لهذا النصر و فرح الملک المنصور و الأمیر قطز بذلک.

و أمّا البحریّة فإنّهم توجّهوا إلی الملک المغیث صاحب الکرک و حسّنوا له أن یرکب و یجیء معهم لأخذ مصر فأصغی لهم و تجهّز و خرج بعساکره من الکرک فی أوّل سنة ستّ و خمسین و ستّمائة، و سار حتّی قدم غزّة، و أمر البحریّة راجع إلی بیبرس البندقداریّ. فلمّا بلغ ذلک المصریّین خرج الأمیر سیف الدین قطز بعساکر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۶

مصر و نزل بالعبّاسة، فلمّا تکامل عسکره سار منه قاصدا الشامیّین، و خرج الملک المغیث من غزّة إلی الرمل فالتقی بالعسکر المصریّ و تقاتلا قتالا شدیدا فی یوم الثلاثاء الحادی و العشرین من شهر ربیع الآخر، فانکسر الملک المغیث بمن معه من البحریّة، و قبض علی جماعة کثیرة من الممالیک البحریة الصالحیّة، و هم: الأمیر عزّ الدین أیبک الرّومی و عزّ الدین أیبک الحمویّ و رکن الدین الصّیرفیّ و ابن أطلس خان الخوارزمیّ و جماعة کثیرة، فأحضروا بین یدی الأمیر سیف الدین قطز و الأمیر الغتمیّ و الأمیر بهادر المعزّیّة فأمروا بضرب أعناقهم فضربت، و حملت رءوسهم إلی القاهرة و علّقت بباب زویلة، ثم أنزلت من یومها لمّا أنکر قتلهم علی المعزّیة بعض أمراء مصر و استشنع ذلک.

و أمّا الملک المغیث فإنّه هرب هو و الطواشی بدر الصّوابیّ و بیبرس البندقداریّ و من معهم، و وصلوا إلی الکرک فی أسوأ حال بعد أن نهب ما کان معهم من الثّقل و الخیام و السلاح و غیر ذلک و أقاموا بالکرک؛ و بینما هم فی ذلک أرسل الملک الناصر صلاح الدین یوسف صاحب الشام جیشا مقدّمه الأمیر مجیر الدین إبراهیم [بن أبی بکر] بن أبی زکری و الأمیر نور الدین علیّ بن الشجاع الأکتع فی طلب البحریّة، و خرجت البحریّة لمّا بلغهم ذلک إلی غزّة، و التقوا مع العسکر الشامیّ و تقاتلوا فانکسر العسکر الشامیّ، و قبض علی مجیر الدین و نور الدین و حملوها البحریّة إلی الکرک، و قوی أمر البحریّة بهذه الکسرة و اشتدّوا.

و أمّا الملک الناصر لمّا بلغه کسر عسکره تجهّز و خرج بنفسه لقتال البحریّة، و ضرب دهلیزه قبلی دمشق، فلمّا بلغ البحریّة ذلک توجّهوا نحو دمشق و ضربوا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۷

أطراف عساکر الملک الناصر، و خفّ بیبرس البندقداریّ حتّی إنّه أتی فی بعض الأیام و قطع أطناب خیمة الملک الناصر المضروبة، و ذلک قبل خروج الناصر من دمشق. و بینما الناس فی ذلک ورد الخبر بأخذ التّتار لبغداد و قتل هولاکو الخلیفة المستعصم بالله و إخراب بغداد.

قلت: نذکر سبب أخذ هولاکو لبغداد ثم نعود إلی أمر المصریّین و الشامیّین و البحریّة.

فأمّا أمر هولاکو فإنّه هولاکو: و قیل: هولاو [و قیل هلاوون] بن تولی خان ابن چنکز خان المغلیّ، ولی الملک بعد موت أبیه تولی قان، و اتّسعت ممالکه و عظم أمره و کثرت جیوشه من المغل و التّتار، و لا زال أمره فی زیادة حتی ملک مدینة ألموت و قتل متولّیها شمس الشموس و أخذ بلاده، ثم أخذ الروم و أبقی بها رکن الدین کیقباد بن غیاث الدین کیخسرو صورة بلا معنی و الحکم و التصرّف لغیره؛ و کان وزیر الخلیفة المستعصم بالله مؤیّد الدّین بن العلقمیّ ببغداد، و کان رافضیّا خبیثا حریصا علی زوال الدولة

العباسیّة و نقل الخلافة إلی العلویّین، یدبّر ذلک فی الباطن و یظهر للخلیفة المستعصم خلاف ذلک، و لا زال یثیر الفتن بین أهل السّنّة و الرافضة حتّی تجالدوا بالسیوف، و قتل جماعة من الرافضة و نهبوا، فاشتکی أهل باب البصرة إلی الأمیر مجاهد الدین الدّوادار و للأمیر أبی بکر ابن الخلیفة فتقدّما إلی الجند بنهب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۸

الکرخ فرکبوا من وقتهم و هجموا علی الرافضة بالکرخ و قتلوا منهم جماعة و ارتکبوا معهم العظائم فحنق الوزیر ابن العلقمی و نوی الشرّ فی الباطن و أمر أهل الکرخ الرافضة بالصّبر و الکفّ عن القتال، و قال لهم: أنا أکفیکم فیهم و کان الخلیفة المستنصر بالله قد استکثر من الجند قبل موته حتّی بلغ عدد عسکره مائة ألف، و کان الوزیر ابن العلقمیّ مع ذلک یصانع التّتار فی الباطن و یکاتبهم و یهادیهم، فلمّا استخلف المستعصم بعد موت أبیه المستنصر، و کان المستعصم خلیّا من الرأی و التدبیر، فأشار علیه ابن العلقمیّ المذکور بقطع أرزاق أکثر الجند، و أنّه بمصانعة التتار و إکرامهم یحصل بذلک المقصود، و لا حاجة لکثرة الجند ففعل الخلیفة ذلک! قلت: و کلمة الشیخ مطاعة!

ثم إنّ الوزیر بعد ذلک کاتب التّتار و أطمعهم فی البلاد سرّا، و أرسل إلیهم غلامه و أخاه و سهّل علیهم فتح العراق و أخذ بغداد، و طلب منهم أن یکون نائبهم بالبلاد فوعدوه بذلک، و تأهّبوا لقصد بغداد و کاتبوا لؤلؤا صاحب الموصل فی تهیئة الإقامات و السلاح، فکاتب لؤلؤ الخلیفة سرّا و حذّره، ثم هیّأ لهم الآلات و الإقامات.

و کان الوزیر ابن العلقمیّ المذکور لیس لأحد معه کلام فی تدبیر أمر الخلیفة، فصار لا یوصّل مکاتبات لؤلؤ و لا غیره للخلیفة، و عمّی عنه الأخبار و النصائح، فکان یقرؤها هو و یجیب عنها بما یختار، فنتج أمر التّتار بذلک غایة النّتاج و أخذ أمر الخلیفة و المسلمین فی إدبار! و کان تاج الدین بن صلایا نائب الخلیفة بإربل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۴۹

حذّر الخلیفة و حرّک عزمه، و الخلیفة لا یتحرّک و لا یستیقظ! فلمّا تحقّق الخلیفة حرکة التّتار نحوه سیّر إلیهم شرف الدین بن محیی الدین ابن الجوزی رسولا یعدهم بأموال عظیمة، ثم سیّر مائة رجل إلی الدّربند یکونون فیه یطالعون الخلیفة بالأخبار، فمضوا فلم یطلع لهم خبر، لأنّ الأکراد الذین کانوا هناک دلّوا التّتار علیهم، فهجموا علیهم و قتلوهم أجمعین.

ثم رکب هولاکو بن تولی خان بن چنکز خان فی جیوشه من المغل و التّتار و قصدوا العراق، و کان علی مقدّمته الأمیر بایجونوین، و فی جیشه خلق من أهل الکرخ الرافضة و من عسکر برکة خان ابن عمّ هولاکو، و مدد من صاحب الموصل مع ولده الملک الصالح رکن الدین إسماعیل، فوصلوا قرب بغداد و اقتتلوا من جهة البرّ الغربیّ عن دجلة، فخرج عسکر بغداد و علیهم رکن الدین الدّوادار، فالتقوا علی نحو مرحلتین من بغداد، فانکسر البغدادیّون و أخذتهم السیوف، و غرق بعضهم فی الماء و هرب الباقون. ثم ساق بایجونوین مقدّمة هولاکو فنزل القریة مقابل دار الخلافة و بینه و بینها دجلة لا غیر. و قصد هولاکو بغداد من البرّ الشرقیّ، و ضرب سورا و خندقا علی عسکره و أحاط ببغداد، فأشار الوزیر ابن العلقمیّ علی الخلیفة المستعصم بالله بمصانعتهم. و قال له: أخرج إلیهم أنا فی تقریر الصلح فخرج إلیهم، و اجتمع بهولاکو و توثّق لنفسه و ردّ إلی الخلیفة، و قال: إنّ الملک قد رغب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۰

فی أن یزوّج بنته بآبنک الأمیر أبی بکر، و یبقیک علی منصب الخلافة کما أبقی صاحب الروم فی سلطنته، و لا یطلب إلّا أن تکون الطاعة له کما کان أجدادک مع السلاطین السّلجوقیّة، و ینصرف هو عنک بجیوشه! فتجیبه یا مولانا أمیر المؤمنین لهذا، فإنّ فیه حقن دماء المسلمین، و یمکن أن تفعل بعد ذلک ما ترید! و الرأی أن تخرج إلیه؛ فسمع له الخلیفة و خرج إلیه فی جمع من الأعیان من أقاربه و حواشیه و غیرهم.

فلمّا توجّه إلی هولاکو لم یجتمع به هولاکو و أنزل فی خیمة؛ ثم رکب الوزیر و عاد إلی بغداد بإذن هولاکو، و استدعی الفقهاء و

الأعیان و الأماثل لیحضروا عقد بنت هولاکو علی ابن الخلیفة، فخرجوا من بغداد إلی هولاکو، فأمر هولاکو بضرب أعناقهم! ثم مدّ الجسر و دخل بایجونوین بمن معه إلی بغداد و بذلوا السیف فیها و استمرّ القتل و النهب و السّبی فی بغداد بضعة و ثلاثین یوما، فلم ینج منهم إلّا من اختفی. ثمّ أمر هولاکو بعدّ القتلی فبلغوا ألف ألف و ثمانمائة ألف و کسرا.

و قال الذهبیّ- رحمه اللّه- فی تاریخ الإسلام: و الأصحّ أنّهم بلغوا ثمانمائة ألف.

ثم نودی بعد ذلک بالأمان، فظهر من کان اختفی و هم قلیل من کثیر.

و أمّا الوزیر ابن العلقمیّ فلم یتمّ له ما أراد، و ما اعتقد أنّ التّتار یبذلون السیف مطلقا فی أهل السّنّة و الرافضة معا، و راح مع الطائفتین أیضا أمم لا یحصون کثرة، و ذاق ابن العلقمیّ الهوان و الذّلّ من التّتار! و لم تطل أیامه بعد ذلک کما سیأتی ذکره. ثم ضرب هولاکو عنق مقدّم جیشه بایجونوین لأنّه بلغه عنه من الوزیر ابن العلقمیّ أنّه کاتب الخلیفة المستعصم لمّا کان بالجانب الغربیّ.

و أمّا الخلیفة فیأتی ذکره فی الحوادث علی عادة هذا الکتاب فی محلّه غیر أنّنا نذکره هنا علی سبیل الاستطراد. و لمّا تمّ أمر هولاکو طلب الخلیفة و قتله خنقا. و قیل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۱

غمّ فی بساط، و قیل جعله هو و ولده فی عدلین و أمر برفسهما حتّی ماتا. ثم قتل الأمیر مجاهد الدین الدّوادار، و الخادم إقبال الشّرابی صاحب الرّباط بحرم مکّة، و الأستادار محیی الدین ابن الجوزیّ و ولداه و سائر الأمراء الأکابر و الحجّاب و الأعیان، و انقضت الخلافة من بغداد و زالت أیامهم من تلک البلاد، و خربت بغداد الخراب العظیم، و أحرقت کتب العلم التی کانت بها من سائر العلوم و الفنون التی ما کانت فی الدنیا؛ قیل: إنّهم بنوا بها جسرا من الطین و الماء عوضا عن الآجرّ، و قیل غیر ذلک. و کانت کسرة الخلیفة یوم عاشوراء من سنة ستّ و خمسین و ستّمائة المذکورة، و نزل هولاکو بظاهر بغداد فی عاشر المحرّم، و بقی السیف یعمل فیها أربعة و ثلاثین یوما و آخر جمعة خطب الخطیب ببغداد، کانت الخطبة: الحمد للّه الذی هدم بالموت مشیّد الأعمار، و حکم بالفناء علی أهل هذه الدار، إلی أن قال:

اللهمّ أجرنا فی مصیبتنا التی لم یصب الإسلام و أهله بمثلها، و إنّا للّه و إنّا إلیه راجعون! ثم عمل الشعراء و العلماء قصائد فی مراثی بغداد و أهلها، و عمل الشیخ تقی الدین إسماعیل [بن إبراهیم] بن أبی الیسر [شاکر بن عبد اللّه التّنوخیّ] قصیدته المشهورة، و هی:

لسائل الدّمع عن بغداد أخبار فما وقوفک و الأحباب قد ساروا

یا زائرین إلی الزّوراء لا تفدوا فما بذاک الحمی و الدار دیّار

تاج الخلافة و الرّبع الذی شرفت به المعالم قد عفّاه إقفار

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۲

أضحی لعطف البلی فی ربعه أثر و للدّموع علی الآثار آثار

یا نار قلبی من نار لحرب وغی شبّت علیه و وافی الرّبع إعصار

علا الصلیب علی أعلی منابرها و قام بالأمر من یحویه زنّار

و منها:

و کم بدور علی البدریّة انخسفت و لم یعد لبدور منه إبدار

و کم ذخائر أضحت و هی شائعة من النّهاب و قد حازته کفّار

و کم حدود أقیمت من سیوفهم علی الرّقاب و حطّت فیه أوزار

نادیت و السّبی مهتوک یجرّهم إلی السّفاح من الأعداء دعّار

و منها:

و هم يساقون للموت الذى شهدوا النار يا ربّ ... و لا العار

يا للرّجال لأحداث تحدّثنا بما غدا فيه إعذار و إنذار

من بعد أسر بنى العبّاس كلّهم فلا أنار لوجه الصّبح إسفار

ما راق لى قطّ شىء بعده بينهم إلّا أحاديث أرويها و آثار

لم يبق للدّين و الدنيا و قد ذهبوا شوق لمجد و قد بانوا و قد باروا

إنّ القيامة فى بغداد قد وجدت و حدّها حين للإقبال إدبار

آل النّبىّ و أهل العلم قد سبيوا فمن ترى بعدهم تحويه أمصار.

ما كنت آمل أن أبقى و قد ذهبوا لكن أبى دون ما أختار أقدار

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۵۲

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۳

و هى أطول من ذلك. و جملة القصيدة ستة و ستون بيتا. و قال غيره فى فقد الخلافة من بغداد بيتا مفردا و أجاد:

خلت المنابر و الأسرّة منهم فعليهم حتّى الممات سلام

انتهى ذكر بغداد هنا، و لا بدّ من ذكر شىء منها أيضا فى الحوادث.

و أمّا أمر البحريّة فإنّه لمّا دخلت سنة سبع و خمسين و ستمائة رحل الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام بعساكر فى أثر البحريّة، فاندفعوا البحريّة أمامه إلى الكرك، فسار الناصر حتى نزل بركة زيزاء ليحاصر الكرك، و صحبته الملك المنصور صاحب حماة؛ فأرسل الملك المغيث عمر بن العادل بن الكامل صاحب الكرك رسله إلى الملك الناصر يطلب الصلح، و كان مع رسله الدار القطبيّة ابنة الملك المفضّل قطب الدّين بن العادل، و هى من عمّات الناصر و المغيث يتضرّعون إلى الناصر و يطلبون الصلح و رضاه على ابن عمه المغيث، فشرط عليه الناصر أن يقبض على من عنده من البحريّة، فأجاب إلى ذلك و قبض عليهم و جهّزهم إلى الملك الناصر على الجمال، و هو نازل ببركة زيزاء. فحملهم الملك الناصر إلى حلب و اعتقلهم بقلعتها ما خلا الأمير بيبرس البندقدارىّ، فإنّه لمّا أحسّ بما وقع عليه الصلح هرب من الكرك فى جماعة من البحريّة و أتى إلى الملك الناصر صلاح الدين المذكور داخلا تحت طاعته، فأكرمه الملك الناصر و أكرم رفقته إكراما زائدا؛ و عاد الناصر إلى دمشق و فى خدمته الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ و غيره من البحريّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۴

و أمّا المصريّون فإنّه لمّا بلغ الملك المنصور عليّا و الأمير قطز المعزّىّ ما وقع للبحريّة فرحا فرحا زائدا، و زيّنت مصر أيّاما لذلك؛ وصفا الوقت للأمير قطز.

و بينما هو فى ذلك ورد الخبر عليه بنزول هولاكو على مدينة آمد من ديار بكر، و أنّه فى قصد البلاد الشاميّة، و أنّ هولاكو بعث رسله إلى الملك السعيد نجم الدين إيلغازى صاحب ماردين يستدعيه إلى طاعته و حضرته، فسيّر إليه الملك السعيد ولده الملك المظفّر قرا أرسلان و قاضى القضاة مهذّب الدين محمد [بن مجلّى] و الأمير سابق الدين بلبان و على أيديهم هديّة، و حمّلهم رسالة تتضمّن الاعتذار عن الحضور بمرض منعه الحركة، و وافق وصولهم إلى هولاكو أخذه لقلعة اليمانيّة و إنزاله من بها من حريم صاحب ميّافارقين و أولاده و أقاربه، و هم: ولده الملك الناصر صلاح الدين يوسف جفتاى، و الملك السعيد عمر و ابن أخيه الملك الأشرف أحمد و تاج الدين على ابن الملك العادل، فأدّوا الرسالة؛ فقال هولاكو: ليس مرضه بصحيح، و إنّما هو يتمارض مخافة الملك الناصر صاحب الشام، فإن انتصرت عليه اعتذر لى بزيادة المرض، و إن انتصر علىّ كانت له اليد البيضاء عنده، ثم قال: و لو كان للملك الناصر قوّة يدفعنى لم يمكّنى من دخول هذه البلاد؛ و قد بلغنى أنّه بعث حريمه إلى مصر؛ ثم أمر بردّ القاضى وحده فردّ القاضى و

أخبر الملک السعید بالجواب.

و أمّا هولاکو فإنّه لا زال یأخذ بلدا بعد أخرى إلى أن استولى على حلب و الشام، و اضمحلّ أمر الملک الناصر صلاح الدین یوسف صاحب الشام بعد أمور و وقائع وقعت له، و انفلّ عنه أصحابه. فلمّا وقع ذلک فارقه الأمیر بیبرس البندقداریّ و قدم إلى مصر و معه جماعة من البحریّة طائعا للملک المنصور هذا فأکرمه قطز

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۵

و أکرم رفقته و صاروا الجمیع من عساکر مصر على العادة أوّلا. یأتی تفصیل ذلک فی ترجمة الملک المظفّر قطز. إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا استفحل أمر قطز بدیار مصر و صار هو المشار إلیه فیها لصغر السلطان الملک المنصور علیّ، و لکثرة حواشی قطز المذکور، ثم تحقّق قطز مجیء التّتار إلى البلاد الشامیّة، و علم أنّه لا بدّ من خروجه من الدیار المصریّة بالعساکر للذّبّ عن المسلمین، فرأى أنّه لا یقع له ذلک، فإنّ الآراء مغلولة لصغر السلطان و لاختلاف الکلمة، فجمع قطز کمال الدّین بن العدیم الحنفیّ و غیره من الأعیان و الأمراء بالدیار المصریّة، و عرّفهم أنّ الملک المنصور هذا صبّی لا یحسن التدبیر فی مثل هذا الوقت الصّعب، و لا بدّ أن یقوم بأمر الملک رجل شهم یطیعه کلّ أحد، و ینتصب للجهاد فی التّتار، فأجابه الجمیع: لیس لها غیرک! و کان قطز قبل ذلک قد قبض على الملک المنصور علیّ هذا و عوّقه بالدور السلطانیّة، فخلع الملک المنصور فی الحال من الملک و بویع الأمیر قطز و لقّب بالملک المظفّر سیف الدین قطز، و اعتقل الملک المنصور و والدته بالدور السلطانیّة من قلعة الجبل، و حلّف قطز الناس لنفسه و تمّ أمره، و ذلک فی یوم السبت سابع عشر ذی القعدة سنة سبع و خمسین و ستمائة. و کانت مدّة الملک المنصور فی السلطنة بالدیار المصریّة سنتین و سبعة أشهر و اثنین و عشرین یوما، و بقی معتقلا سنین کثیرة إلى أن تولّى الملک الظاهر رکن الدین بیبرس البندقداریّ، فنفاه هو و والدته و أخاه ناصر الدین قاقان إلى بلاد الأشکرى فی ذی القعدة سنة ثمان و خمسین و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۶

قلت: و الملک المظفر قطز هذا هو أوّل مملوک خلع ابن أستاذه من الملک و تسلطن عوضه، و لم یقع ذلک قبله من أحد من الملوک. و تمّت هذه السّنّة السیّئة فی حاصد إلى یوم القیامة. و بهذه الواقعة فسدت أحوال مصر.

السنة الأولى من ولایة الملک المنصور علیّ ابن الملک المعزّ أیبک الترکمانیّ على مصر، و هی سنة خمس و خمسین و ستمائة، على أنّ والده الملک المعزّ حکم فیها نحوا من ثلاثة أشهر.

فیها أرسل الملک الناصر یوسف صاحب الشام ولده الملک العزیز بهدیّة إلى هولاکو ملک التّتار و طاغیتهم.

و فیها قتلت الملکة شجرة الدرّ الملک المعزّ أیبک، ثم قتلت هی أیضا. و قد تقدّم ذکر ذلک کلّ واحد على حدته فی ترجمته من هذا الکتاب، فلا حاجة إلى الإعادة.

و فیها توفّی الأمیر عزّ الدین أیبک بن عبد اللّه الحلبیّ الکبیر، کان من أعیان الممالیک الصالحیّة النجمیّة، و ممّن یضاهی الملک المعزّ أیبک الترکمانیّ فی موکبه، و کانت له المکانة العظمى فی الدولة، کان الأمراء یعترفون له بالتقدّم علیهم، و کان له عدّة ممالیک نجباء صاروا من بعده أمراء، منهم: رکن الدین إیاجی الحاجب، و بدر الدین بیلیک الجاشنکیر، و صارم الدین أزبک الحلبیّ و غیرهم. و لما قتل الملک

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۷

المعزّ أیبک الترکمانیّ حدّثته نفسه بالسلطنة، فلمّا قبض قطز على الأمیر سنجر الحلبی، رکب أیبک هذا و معه الأمراء الصالحیّة فتقنطر به فرسه فهلک خارج القاهرة و أدخل إلیها میتا؛ و کذلک وقع للامیر خاصّ ترک. و قد تقدّم ذکر ذلک فی ترجمة الملک المنصور.

و فیها توفّی الشیخ الإمام العلّامة نجم الدین أبو محمد عبد اللّه بن محمد بن الحسن ابن عبد اللّه البغدادیّ البادرائیّ، ولد فی سنة أربع و تسعین و خمسمائة، و سمع الکثیر و تفقّه و برع و أفتى و درّس، و ترسّل عن الخلیفة إلى ملوک الشام و مصر غیر مرّة إلى هذه

السنة، ولى قضاء القضاة ببغداد. و مات فى سلخ ذى القعدة.

و فيها توفّى الشيخ الأديب أبو الحسن علىّ بن محمد بن الرضا الموسوىّ الحسينىّ الشريف المعروف بابن دفتر خوان. ولد سنة تسع و ثمانين بحماة، و كان فاضلا و له تصانيف و شعر جيّد، من ذلك قوله:

إذا لمت قلبى قال عيناك أبصرت و إن لمت عينى قالت الذنب للقلب

فعينى و قلبى قد تشاركن فى دمى فيا ربّ كن عونى على العين و القلب

و فيها توفّيت الصاحبيّة غازيّة خاتون بنت الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر ابن أيّوب، والدة الملك المنصور صاحب حماة. كانت صالحة ديّنة دبّرت ملك ولدها المنصور بعد وفاة زوجها الملك المظفّر أحسن تدبير، و هى والدة الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن علىّ أيضا. و كانت وفاتها فى أواخر ذى القعدة أو فى ذى الحجّة من السنة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۸

و فيها توفّى الشيخ الإمام العالم العلّامة المقرئ أبو عبد اللّه محمد بن أبى القاسم [قاسم] بن فيّره بن خلف الرّعينىّ الشاطبىّ الأصل المصرىّ المولد و الدار الضّرير راوى القصيدة المشهورة فى القراءات التى لم يسبق إلى مثلها التى سمّاها «حرز الأمانى و وجه التهانى». و مولده فى حادى عشر ذى الحجّة سنة ست أو سبع و سبعين و خمسمائة بمصر، و توفّى بها فى حادى عشر شوّال و دفن من يومه بسفح المقطّم، و لم يخلف بعده مثله. و كان الشيخ كثيرا ما ينشد هذا اللّغز و هو «نعش الموتى» و اللّغز المذكور للخطيب أبى زكريّا يحيى بن سلامة الحصكفىّ، و هو:

أتعرف شيئا فى السماء نظيره إذا سار صاح الناس حين يسير

فتلقاه مركوبا و تلقاه راكبا و كلّ أمير يعتليه أسير

يحضّ على التّقوى و تكره قربه و تنفر منه النفس و هو نذير

و فيها توفّى الوزير الصاحب شرف الدين هبة اللّه بن صاعد الفائزىّ، كان أوّلا نصرانيّا يلقّب بالأسعد، و هو منسوب بالفائزىّ إلى الملك الفائز إبراهيم ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، ثم أسلم و تنقّل فى الخدم حتّى ولى الوزارة. و كان عنده رياسة و مكارم و عقل و حسن تدبير، و خدم عدّة ملوک و كان محفوظا عندهم، و هو الذى هجاه الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح، و قيل بهاء الدين زهير بقوله:

لعن اللّه صاعدا و أباه فصاعدا

و بنيه فنازلا واحدا ثم واحدا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۵۹

و فيها توفّى أبو الحسن المغربىّ المورقىّ الشيخ نور الدين، كان من أقارب المورقى الملك المشهور ببلاد الغرب، مات بدمشق و دفن بقاسيون، و كان فاضلا أديبا شاعرا. و من شعره من أبيات:

القضب راقصة و الطير صادحة و الستر مرتفع و الماء منحدر

و قد تجلّت من اللذات أوجهها لكنّها بظلال الدّوح تستتر

فكلّ واد به موسى يفجّره و كلّ روض على حافاته الخضر

قلت: و هذا يشبه قول من قال فى مليح حليق:

مرّت الموسى على عارضه فكأنّ الماء بالآس غمر

مجمع البحرين أضحى خدّه إذ تلاقى فيه موسى و الخضر

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المحدّث أبو محمد عبد الرحمن بن أبى الفهم اليلدانىّ فى شهر ربيع

الأوّل، و له سبع و ثمانون سنة.

و الإمام شرف الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن محمد بن أبى الفضل السّلمىّ المرسىّ فى نصف شهر ربيع الأوّل، و له ست و ثمانون سنة. و الإمام نجم الدين أبو محمد عبد اللّه بن أبى الوفاء البادرانىّ الشافعىّ فى ذى القعدة ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۶]

السنة الثانية من ولاية الملك المنصور علىّ ابن الملك المعزّ أيبك على مصر، و هى سنة ست و خمسين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۰

فيها استولى الطاغية هولاكو على بغداد، و قتل الخليفة المستعصم بالله و معظم أهل بغداد؛ و قد تقدّم ذلك.

و فيها كان الوباء العظيم بدمشق و غيرها.

و فيها توفّى الأديب البارع شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبى الوفا الربعىّ الموصلىّ المعروف بابن الحلاوى الشاعر المشهور، كان من أحسن الناس صورة و ألطفهم أخلاقا مع الفضيلة التامة، و رحل البلاد و مدح الخلفاء و الملوك و خدم الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤا صاحب الموصل و لبس زىّ الجند. و شعره فى نهاية الرّقّة و الجزالة، و هو صاحب القصيدة التى أوّلها:

حكاه من الغصن الرّطيب و ريقه و ما الخمر إلّا و جنتاه و ريقه

هلال و لكن أفق قلبى محلّه غزال و لكن سفح عينى عقيقه

و أسمر يحكى الأسمر اللّدن قدّه غدا راشقا قلب المحبّ رشيقه

على خدّه جمر من الحسن مضرم يشبّ و لكن فى فؤادى حريقه

أقرّ له من كلّ حسن جليله و وافقه من كلّ معنى دقيقه

بديع التّثنّى راح قلبى أسيره على أنّ دمعى فى الغرام طليقه

على سالفيه للعذار جريرة و فى شفتيه للسّلاف عتيقه

يهدّد منه الطّرف من ليس خصمه و يسكر منه الرّيق من لا يذوقه

على مثله يستحسن الصّبّ هتكه و فى حبّه يجفو الصديق صديقه

من التّرك لا يصبيه وجد إلى الحمى و لا ذكر بانات الغوير تشوقه

و لا حلّ فى حىّ تلوح قبابه و لا سار فى ركب يساق و سوقه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۱

و لا بات صبّا بالفريق و أهله و لكن إلى خاقان يعزى فريقه

له مبسم ينسى المدام بريقه و يخجل نوّار الأقاحى بريقه

تداويت من حرّ الغرام ببرده فأضرم من ذاك الحريق رحيقه

إذا خفق البرق اليمانىّ موهنا تذكّرته فاعتاد قلبى خفوقه

حكى وجهه بدر السماء فلو بدا مع البدر قال الناس هذا شقيقه

رآنى خيالا حين وافى خياله فأطرق من فرط الحياء طروقه

فأشبهت منه الخصر سقما فقد غدا يحمّلنى كالخصر ما لا أطيقه

فما بال قلبى كلّ حبّ يهيجه و حتّام طرفى كلّ حسن يروقه

فهذا لیوم البین لم تطف ناره و هذا لبعد الدار ما جفّ موقد

و للّه قلبی ما أشدّ عفافه و إن کان طرفی مستمرّا فسوقه

فما فاز إلّا من یبیت صبوحه شراب ثنایاه و منها غبوقه

و فیها توفّی الأمیر بکتوت بن عبد اللّه سیف الدین العزیزیّ أستادار الملک الناصر صلاح الدین یوسف صاحب الشام، کان من أکابر الأمراء فی الدولة الناصریّة، و کان حسن السّیرة ملیح الشکل متجمّلا، کان موکبه یضاهی مواکب الملوک.

و فیها توفّی الملک الناصر أبو المظفّر و قیل أبو المفاخر داود صاحب الکرک ابن الملک المعظّم عیسی صاحب الشام ابن الملک العادل أبی بکر صاحب مصر ابن الأمیر نجم الدین أیّوب. مولده فی جمادی الآخرة سنة ثلاث و ستمائة؛ و وقع له أمور و حوادث و محن تکرّر ذکرها فی عدّة تراجم من هذا الکتاب. و کان تغلّب علی الشام بعد موت عمّه الملک الکامل محمد، و قدم مصر بعد ذلک غیر مرّة و توجّه إلی الشّرق، و وقع له أمور یطول شرحها إلی أن مات فی جمادی الأولی. و کان ملکا شجاعا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۲

مقداما فاضلا أدیبا شاعرا، و قد تقدّم من شعره عدّة أبیات یستعطف بها الملک الصالح نجم الدین أیّوب فی ترجمة الملک الصالح المذکور. و من شعره أیضا:

لئن عاینت عینای أعلام جلّق و بان من القصر المشید قبابه

تیقّنت أنّ البین قد بان و النّوی نأی شحطها و العیش عاد شبابه

و فیها توفّی العلّامة المفتن أبو الفضل و قیل أبو العلاء بهاء الدین زهیر بن محمد ابن علی بن یحیی بن الحسن بن جعفر بن المنصور بن عاصم الأزدی المکّیّ القوصیّ المنشأ المصریّ الدار، الکاتب الشاعر المشهور المعروف بالبهاء زهیر صاحب الدیوان المشهور. مولده بوادی نخلة بقرب مکّة فی خامس ذی الحجّة سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة؛ و ربّی بصعید مصر بقوص، و قرأ الأدب و سمع الحدیث و برع فی النّظم و النّثر و الترسّل، و له الشعر الرائق الفائق، و کان رئیسا فاضلا حسن الأخلاق، اتّصل بخدمه الملک الصالح نجم الدین أیّوب فی حیاة أبیه الملک الکامل، و دام فی خدمته إلی أن توفّی. و قد تقدّم من ذکره فی ترجمة الملک الصالح نبذة جیّدة. و کانت وفاة البهاء زهیر هذا فی یوم الأحد قبل المغرب رابع ذی القعدة و قیل خامسه. و من شعره- رحمه اللّه-:

و لمّا جفانی من أحبّ و خاننی حفظت له الودّ الذی کان ضیّعا

و لو شئت قابلت الصدود بمثله و لکنی أبقیت للصلح موضعا

و قد کان ما قد کان بینی و بینه أکیدا و لکنّی رعیت و ما رعی

سعی بیننا الواشی ففرّق بیننا لک الذنب یا من خانی لا لمن سعی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۳

و من شعره أیضا قصیدته التی أوّلها:

رویدک قد أفنیت یا بین أدمعی و حسبک قد أحرقت یا شوق أضلعی

إلی کم أقاسی لوعة بعد لوعة و حتّی متی یا بین أنت معی معی

و قالوا علمنا ما جری منک بعدنا فلا تظلمونی ما جری غیر أدمعی

و فیها توفّی الإمام الحافظ الحجّة أبو محمد زکیّ الدین عبد العظیم بن عبد القویّ ابن عبد اللّه بن سلامة بن سعد بن سعید المنذریّ الدّمشقیّ الأصل المصریّ المولد و الدار و الوفاة. ولد سنة إحدی و ثمانین و خمسمائة، و سمع الکثیر و رحل و کتب و صنّف و خرّج و أملی و حدّث بالکثیر، و تخرّج به جماعة، و هو أحد الحفّاظ المشهورین.

و فیها توفّی الخلیفة أمیر المؤمنین المستعصم بالله أبو أحمد عبد اللّه ابن الخلیفة المستنصر بالله منصور ابن الخلیفة الظاهر بأمر اللّه

محمد ابن الخليفة الناصر لدين اللّه أبى العباس أحمد ابن الخليفة المستضىء بالله أبى محمد الحسن ابن الخليفة المستنجد بالله أبى المظفّر يوسف ابن الخليفة المقتفى بالله أبى عبد اللّه محمد ابن الخليفة المستظهر بالله أبى العبّاس أحمد ابن الخليفة المقتدى بالله أبى القاسم عبد اللّه ابن الأمير محمد الذّخيرة، و هو غير خليفة، ابن الخليفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخليفة القادر بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير إسحاق، و إسحاق غير خليفة، ابن الخليفة المقتدر بالله أبى الفضل جعفر ابن الخليفة المعتضد بالله أبى العباس أحمد ابن الأمير طلحة الموفّق، و طلحة غير خليفة أيضا، ابن الخليفة المتوكّل على اللّه أبى الفضل جعفر ابن الخليفة المعتصم بالله محمد ابن الخليفة الرشيد بالله هارون ابن الخليفة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۴

المهدىّ بالله محمد ابن الخليفة أبى جعفر عبد اللّه المنصور بن محمد بن علىّ بن عبد اللّه ابن العبّاس بن عبد المطلب الهاشمىّ البغدادىّ، آخر خلفاء بنى العباس ببغداد، و بموته انقرضت الخلافة من بغداد. ولى الخلافة بعد وفاة والده المستنصر بالله فى العشرين من جمادى الأولى سنة أربعين و ستمائة، و مات قتيلا بيد هولاكو طاغية التّتار فى هذه السنة. و قد تقدّم كيفية قتله فى ترجمة الملك المنصور علىّ هذا، و كانت مدّة خلافته خمس عشرة سنة و ثمانية أشهر و أيّاما. و تقدير عمره سبع و أربعون سنة. و كان قليل المعرفة بتدبير الملك نازل الهمة مهملا للأمور المهمّة محبّا لجمع الأموال يقدم على فعل ما يستقبح، أهمل أمر هولاكو حتّى كان فى ذلک هلاکه.

و شغرت الخلافة بعده سنين، و بقيت الدّنيا بلا خليفة حتّى أقام الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ بعض بنى العبّاس فى الخلافة. على ما يأتى ذكر ذلک فى ترجمة الظاهر بيبرس البندقدارىّ إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفّى الأمير الأديب الشاعر سيف الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن قزل المعروف بالمشدّ الشاعر المشهور. مولده بمصر فى شوّال سنة اثنتين و ستمائة، و تولّى شدّ الدواوين بمصر مدّة سنين، و كان من أكابر الأمراء الفضلاء و هو قريب الأمير جمال الدين بن يغمور، و له ديوان شعر مشهور بأيدى الناس، و توفّى بدمشق فى يوم عاشوراء. و رثاه بعض الفضلاء، فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۵

عاشور يوم قد تعاظم ذنبه إذ حلّ فيه كلّ خطب مشكل

لم يكفه قتل الحسين و ما جرى حتّى تعدّى بالمصاب على علي

و من شعره- رحمه اللّه- بيت مفرد كلّ كلمة منه قلب نفسها و هو:

ليل أضاء هلاله أنّى يضىء بكوكب

و من شعره أيضا، قوله:

و شادن أو ردنى جبّه لهيب حرّ الشوق و الفرقه

أصبحت حرّانا إلى ريقه فليت لى من قلبه الرّقّه

و له أيضا مضمّنا مقتبسا:

وافى إلىّ و كأس الراج فى يده فخلت من لطفه أنّ النسيم سرى

لا تدرک الراح معنى من شمائله و الشمس لا ينبغى أن تدرک القمرا

و له فى خود عمياء:

علقتها نجلاء مثل المها فخان فيها الزمن الغادر

أذهب عينيها فإنسانها فى ظلمة لا يهتدى حائر

تجرح قلبى و هى مكفوفة و هكذا قد يفعل الباتر

و نرجس اللحظ غدا ذابلا وا حسرتا لو أنّه ناظر

و له فى لاعب شطرنج:

لعبت بالشّطرنج مع شادن رشاقة الأغصان من قدّه

أحلّ عقد البند من خصره و ألثم الشامات من خدّه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۶

و فيها توفّى الشيخ الإمام الأديب الرّبانىّ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن يوسف ابن يحيى بن منصور بن المعمّر بن عبد السلام الصّرصرىّ الضّرير الشاعر المشهور.

كان من العلماء الفضلاء الزّهّاد العبّاد، و كان له اليد الطّولى فى النظم، و شعره فى غاية الجودة، و مدح النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم بقصائد لا تدخل تحت الحصر كثرة؛ قيل: إنّ مدائحه فى النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم تقارب عشرين مجلّدا. و من شعره من المدائح النبويّة قوله:

زار و هنّا و نحن بالزّوراء فى مقام خلا من الرّقباء

من حبيب القلوب طيف خيال فجلا نوره دجى الظّلماء

يا لها زورة على غير وعد بتّ منها فى ليلة سرّاء

نعمت عيشتى و طابت حياتى فى دجاها يا طلعة الغرّاء

و منها:

يا هلال السرور يا قمر الأذ س و نجم الهدى و شمس البهاء

يا ربيع القلوب يا قرّة العى ن و باب الإحسان و النّعماء

و منها:

سيّد حبّه فخار و تشرى ف و عزّ باق لأهل الصّفاء

أحمد المصطفى السّراج المنير ال خير خاتم الأنبياء

و من شعره فى عدد الخلفاء بنى العبّاس إلى المستعصم آخر خلفاء بنى العبّاس ببغداد، قال

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۷

لكرب بنى العبّاس سفّاحهم جلا و جرّ لمنصور و مهدىّ الولا

و هاد و هارون الرشيد تلاهما أمين و مأمون و معتصم الملا

و واثقهم من بعده متوكّل و منتصر و المستعين بنو العلا

و طاب بمعتزّ جنى مهتد كما بمعتضد عيش لمعتمد حلا

قلت: لعله ما قال إلا:

...كما بمعتضد عيش لمعتضد حلا

لأن المعتمد عمّ المعتضد و تولى المعتضد الخلافة بعده. انتهى.

و مكتفيا فاعدد و مقتدرا و قد تلا قاهرا راض لمتّقى تلا

و مستكفيا ثم المطيع و طائعا و قادرهم و القائم أعدد محصّلا

و بالمقتدى مستظهر ساد مثلما بمسترشد و الراشد المقتفى علا

بمستنجد و المستضىء و ناصر و ظاهر و المستنصر اجل مقفّلا

و مستعصم لا زال بالنصر قاهرا لأعدائه ما حنّت العیس فی الفلا

قال الـذهبیّ: «حکی لنا شیخنا ابن الـدّباهیّ – و کان خال أمّه (یعنی الصّرصـریّ)- قال: بلغنا أنّه دخل علیه التّتار و کان ضـریرا، فطعن بعکّازه بطن واحد فقتله، ثم قتل شهیدا بید التّتار». انتهی.

قلت: کلّ ذلک فی واقعة هولاکو المقدّم ذکرها.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السـنة، قال: و فیها توفّی الأمیر سـیف الدین المشدّ الشاعر صاحب الدیوان، و اسمه علیّ بن عمر بن قزل فی المحرّم، و الشیخ یحیی ابن یوسف بن یحیی الصّرصریّ الزاهد صاحب «الدیوان»، استشهد ببغداد

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۸

فی صـفر فی أمم لا یحصون: منهم المسـتعصم بالله أبو أحمـد عبـد اللّه بن المستنصـر، و له سـبع و أربعون سـنة، و کانت خلافته سـتّ عشـرة سنة. و منهم أستاداره محیی الدین یوسف بن الشیخ أبی الفرج بن الجوزیّ. و مدرّس المستنصریّة الإمام أبو المناقب محمود بن أحمـد بن محمود الزّنجانیّ الشافعیّ، و له ثلاث و ثمانون سـنة. و المحـدّث شـمس الـدین علیّ بن المظفّر بن القاسم النّشبیّ فی شـهر ربیع الأوّل. و أبو عمرو عثمان ابن علیّ القرشیّ بن خطیب القرافة فی شهر ربیع الآخر، و له أربع و ثمانون سنة.

و أبو العزّ عبد العزیز بن محمد بن أحمد بن محمد بن صدیق المؤدّب الحرّانیّ بدمشق.

و الملک الناصر أبو المظفّر داود بن الملک المعظّم بن العادل فی جمادی الأولی، و له ثلاث و خمسون سنة. و المحدّث نجیب الدین نصر اللّه [بن المظفّر بن عقیل بن حمزة أبو الفتح] بن أبی العزّ الشّیبانیّ بن شقیشقة فی جمادی الآخرة، و قد جاوز السبعین.

و أبو الفضل عبـد العزیز بن عبـد الوهاب بن بنان الکفر طابیّ فی شوّال، و له تسع و سـبعون سـنة. و الأدیب شـرف الـدین الحسـین بن إبراهیم الإربلیّ اللغویّ فی ذی القعـدة، و له ثمان و ثمانون سـنة. و الحافظ زکیّ الـدین عبـد العظیم ابن عبـد القویّ المنـذریّ فی ذی القعـدة، و له ستّ و سـبعون سـنة. و البهاء زهیر بن محمـد ابن علیّ المهلّبی الکاتب الشاعر. و العارف أبو الحسن علیّ بن عبـد اللّه بن عبد الجبّار

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۶۹

الشّاذلیّ الضّـریر [بصـحراء] عیـذاب فی ذی القعـدة. و أبو العبّاس القرطبی أحمد بن عمر بن إبراهیم العدل بالإسـکندریّة، و له ثمان و سبعون سنة. و خطیب مردا أبو عبد اللّه محمد بن إسماعیل بن أحمد الحنبلیّ فی ذی الحجّة. و الحافظ صدر الدین أبو علی الحسن بن محمـد بن محمـد بن محمد البکریّ بالقاهرة فی ذی الحجّة، و له اثنتان و ثمانون سـنة. و الشـیخ أبو عبد اللّه الفاسـیّ محمد بن حسـن شیخ الإقراء بحلب فی شهر ربیع الآخر.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و تسع عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و خمس أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۷]

اشارة

السنة الثالثة من ولایة الملک المنصور علیّ ابن الملک المعزّ أیبک علی مصر، و هی سنة سبع و خمسین و ستمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۰

فیها خلع الملک المنصور علیّ المذکور بمملوک ابیه الملک المظفّر قطز المعزّیّ.

و قد تقدّم ذلک.

و فيها دخل هولاكو ديار بكر قاصدا حلب. يأتى ذكر ذلك كلّه فى ترجمة الملك المظفّر قطز إن شاء اللّه تعالى.

و فيها توفى الملك الرحيم أبو الفضائل بـدر الـدين لؤلؤ بن عبد اللّه الأتابكىّ صاحب الموصل، كان من أجلّ الملوك. و طالت أيّامه بالموصل لأنّه أقام بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عزّ الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آق سنقر التّركىّ، فلمّا توفّى نور الدين قام بتدبير ولده الملك القاهر عزّ الدين مسعود، فلما توفّى الملك القاهر سنة أربع عشرة و ستمائة أقام صبّيين من ولده هما ابنا بنت مظفّر الدين صاحب إربل [ثم إنّه أخنى على أولاد أستاذه فقتلهم غيلة] واحدا بعد واحد، ثم بعد ذلك استبدّ بمملكة الموصل و أعمالها سبعا و أربعين سنة. و كان كثير التجمّل بالرّسل و الوافدين عليه، و كان له همّة عالية و معرفة تامّة، و كان شديد البحث عن أخبار رعاياه ما يخفى عنه من أحوالهم إلّا ما قلّ، و كان يغرم على القصّاد و الجواسيس فى كلّ سنة مالا عظيما، و كان إذا عدم من بلاده ما قيمته مائة درهم هان عليه أن يبذل عشرة آلاف دينار ليبلغ غرضه فى عوده، و لا يذهب مال رعيّته.

قلت: للّه درّ هذا الملك! ما أحوج الناس إلى ملك مثل هذا يملك الدنيا بأسرها.

و كانت وفاته بالموصل و هو فى عشر التسعين سنة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۱

و فيها توفّى الأديب الفاضل أبو عبد اللّه بهاء الدين محمد بن مكّى بن محمد بن الحسن القرشىّ الدمشقىّ العدل المعروف بابن الدّجاجيّة، كان فاضلا شاعرا مطبوعا. و من شعره قوله:

كم تكتم الوجد يا معنّى منّا و ما يختفى اللّهيب

سل عرب الواديين عمّن بانوا فما بيننا غريب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال و فيها توفّى أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد الأنصارىّ الإشبيلىّ بن السّرّاج مسند الغرب ببجاية فى صفر، و له سبع و تسعون سنة، و كانت الرّحلة إليه من الأقطار. و صدر الدين أسعد بن عثمان [بن أسعد] بن المنجّى، و دفن بمدرسته الصّدريّة فى شهر رمضان، و المقرئ شمس الدين أبو الفتح محمد [بن علىّ] بن موسى الأنصارىّ بدمشق فى المحرّم. و الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فى شعبان.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و ست و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۲

ذكر سلطنة الملك المظفّر قطز على مصر

السلطان الملك المظفّر سيف الدين قطز بن عبد اللّه المعزّى الثالث من ملوك الترك بالديار المصريّة. و قطز (بضم القاف و الطاء المهملة و سكون الزاى)، و هو لفظ مغلىّ. تسلطن بعد خلع ابن أستاذه الملك المنصور علىّ ابن الملك المعزّ أيبك فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة سبع و خمسين و ستمائة، و ذلك بعد أن عظمت الأراجيف بتحريك التّتار نحو البلاد الشاميّة و قطعهم الفرات و هجمهم بالغارات على البلاد الحلبيّة، و كان وصل إليه بسبب ذلك الصاحب كمال الدّين عمر بن العديم رسولا من الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب و الشام يطلب منه النّجدة على قتال التّتار، فأنزله قطز بالكبش و جمع القضاة و الفقهاء و الأعيان لمشاورتهم فيما يعتمد عليه فى أمر التّتار و أن يؤخذ من الناس ما يستعان به على جهادهم، فحضروا فى دار السّلطنة بقلعة الجبل، و حضر الشيخ عزّ الدين ابن عبد السلام و القاضى بدر الدين السّنجارىّ قاضى الديار المصرية و غيرهما من العلماء، و جلس الملك المنصور علىّ فى دست السلطنة، و أفاضوا فى الحديث، فكان الاعتماد على ما يقوله ابن عبد السّلام، و خلاصة ما قال: إنّه إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، و جاز لكم أن تاخذوا من الرعيّة ما تستعينون به

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۳

على جهادكم، بشرط ألّا يبقى فى بيت المال شىء، و تبيعوا مالكم من الحوائص المذهبة و الآلات النفيسة، و يقتصر كلّ الجند على مركوبه و سلاحه و يتساووا هم و العامّة. و أمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال و الآلات الفاخرة فلا، و انفضّ المجلس على ذلك، و لم يتكلّم السلطان بكلمة فى المجلس لعدم معرفته بالأمور و لصغر سنّه؛ فلهج الناس بخلع المنصور و سلطنة قطز حتّى يقوم بهذا الأمر المهمّ، و اتّفق ذلك بعد أيّام، و قبض قطز هذا على الملك المنصور علىّ، و احتجّ لكمال الدّين بن العديم و غيره بأنّه صبىّ لا يحسن تدبير الملك، و فى مثل هذا الوقت الصّعب لا بدّ أن يقوم بأمر الملك رجل شهم يطيعه الناس و ينتصب للجهاد. و كان الأميران: علم الدين سنجر [الغتمىّ المعظّمىّ] و سيف الدين بهادر حين جرى هذا الأمر غائبين فى الصيد، فاغتنم قطز لغيبتهما الفرصة، فلمّا حضرا قبض عليهما و اعتقلهما، و تسلطن. و ركب بشعار الملك، و جلس على كرسىّ السلطنة و تمّ أمره. و لمّا وقع ذلك تقدّم قطز إلى برهان الدين الخضر أن يتوجّه فى جواب رسالة الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام صحبة الصاحب كمال الدين ابن العديم، و يعد الملك الناصر بالنّجدة و إنفاذ العساكر إليه؛ فتوجّها و وصلا إلى دمشق و أدّيا الرسالة؛ و لم يزل البرهان بدمشق إلى أن رحل الملك الناصر من دمشق إلى جهة الديار المصريّة جافلا من التّتار.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۴

و كان الناصر لمّا تحقّق بحركة التّتار رحل إلى برزة شمالى دمشق، و نزل بها بعساكره و اجتمع إليه أمم عظيمة من العرب و العجم و التّركمان و الأتراك و المطوّعة؛ فلم يعجب الناصر حاله لما رأى من تخاذل عسكره، و علم انّه إذا لاقى التّتار لم يثبت عسكره لهم لكثرتهم و لقوّتهم، فإنّ هولاكو فى خلق لا يحصيهم إلّا اللّه تعالى من المغل و الكرج و العجم و غيرهم، و لم يكن من حين قدومهم على بلاد المسلمين من سنة ستّ عشرة و ستمائة إلى هذه السنة يلقاهم عسكر إلّا فلّوه سوى وقائع كانت بينهم و بين جلال الدين بن خوارزم شاه، انتصف جلال الدين فى بعضها، ثمّ كبسوه على باب آمد و بدّدوا جمعه، و أعقب ذلك موت جلال الدين بالقرب من ميّافارقين.

و أمّا أمر هلاكو فإنّه فى جمادى الأولى من هذه السنّة نزل حرّان و استولى عليها و ملك بلاد الجزيرة، ثمّ سيّر ولده أشموط بن هولاكو إلى الشام و أمره بقطع الفرات و أخذ البلاد الشاميّة، و سيّره فى جمع كثيف من التّتار فوصل أشموط إلى نهر الجوز و تلّ باشر، و وصل الخبر إلى حلب من البيرة بذلك. و كان نائب السلطان صلاح الدين يوسف بحلب ابنه الملك المعظّم توران شاه، فجفل الناس بين يدى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۵

التّتار إلى جهة دمشق و عظم الخطب، و اجتمع الناس من كلّ فجّ عند الملك الناصر بدمشق، و احترز الملك المعظّم توران شاه ابن الملك الناصر بحلب غاية الاحتراز. و كذلك جميع نوّاب البلاد الحلبيّة؛ و صارت حلب فى غاية الحصانة بأسوارها المحكمة البناء و كثرة الآلات. فلمّا كان العشر الأخير من ذى الحجّة [سنة سبع و خمسين و ستمائة] قصد التّتار حلب و نزلوا على قرية يقال لها سلمية و امتدوا إلى حيلان و الحارى، و سيّروا جماعة من عسكرهم أشرفوا على المدينة. فخرج عسكر حلب و معهم خلق عظيم من العوام و السّوقة، و أشرفوا على التّتار و هم نازلون على هذه الأماكن، و قد ركبوا جميعهم لانتظار المسلمين، فلمّا تحقّق المسلمون كثرتهم كرّوا راجعين إلى المدينة؛ فرسم الملك المعظّم بعد ذلك ألّا يخرج أحد من المدينة.

و لمّا كان غد هذا اليوم رحلت التّتار من منازلهم طالبين مدينة حلب، و اجتمع عسكر المسلمين بالنّواشير و ميدان الحصا و أخذوا فى المشورة فيما يعتمدونه، فأشار عليهم الملك المعظّم أنّهم لا يخرجون أصلا لكثرة التّتار و لقوّتهم و ضعف المسلمين على لقائهم، فلم يوافقه جماعة من العسكر و أبوا إلّا الخروج إلى ظاهر البلد لئلّا يطمع العدوّ فيهم؛ فخرج العسكر إلى ظاهر حلب و خرج معهم العوامّ و السّوقة و اجتمعوا الجميع بجبل بانقوسا؛ و وصل جمع التّتار إلى أسفل الجبل فنزل إليهم جماعة من العسكر ليقاتلوهم؛ فلما رآهم التّتار

اندفعوا بین أیدیهم مکرا منهم و خدیعة،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۶

فتبعهم عسکر حلب ساعة من النهار؛ ثم کرّ التّتار علیهم فولّوا منهزمین إلی جهة البلد و التّتار فی أثرهم. فلما حاذوا جبل بانقوسا و علیه بقیّة عسکر المسلمین و العوامّ اندفعوا کلّهم نحو البلد و التّتار فی أعقابهم، فقتلوا من المسلمین جمعا کثیرا من الجند و العوامّ.

و ممّن استشهد فی ذلک الیوم الأمیر علم الدین زریق العزیزیّ- رحمه اللّه- و کان من أعیان الأمراء. و نازل التّتار المدینة فی ذلک الیوم إلی آخره، ثم رحلوا طالبین أعزاز فتسلّموها بالأمان.

ثم عادوا إلی حلب فی ثانی صفر من سنة ثمان و خمسین و ستمائة و حاصروها حتّی استولوا علیها فی تاسع صفر بالأمان، فلمّا ملکوها غدروا بأهل حلب و قتلوا و نهبوا و سبوا و فعلوا تلک الأفعال القبیحة علی عادة فعلهم. و بلغ الملک الناصر یوسف أخذ حلب فی منتصف صفر، فخرج الناصر من الشام بأمرائه نحو القبلة. و کان رسل التّتار بقریة حرستا فأدخلوا دمشق لیلة الاثنین سابع عشر صفر. و قرئ بعد صلاة الظهر فرمان (أعنی مرسوما) جاء من عند ملک التّتار یتضمّن الأمان لأهل دمشق و ما حولها، و شرع الأکابر فی تدبیر أمرهم. ثم وصلت التّتار إلی دمشق فی سابع عشر شهر ربیع الأوّل، فلقیهم أعیان البلد أحسن ملتقی و قرئ ما معهم من الفرمان المتضمّن الأمان، و وصلت عساکرهم من جهة الغوطة مارّین من وراء الضّیاع إلی جهة الکسوة و أهلکوا فی ممرّهم جماعة کانوا قد تجمّعوا و تحزّبوا.

و فی السادس و العشرین منه جاء منشور من هولاکو للقاضی کمال الدین عمر بن بندار

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۷

التّفایسیّ بتفویض قضاء القضاة إلیه بمدائن الشام إلی الموصل و میّافارقین و غیر ذلک، و کان القاضی قبله صدر الدین أحمد بن سنیّ الدولة. و توجّه الملک الناصر نحو الدیار المصریّة و نزل العریش ثم قطیا بعد أن تفرّق عسکره عنه و توجّه معظم عسکره إلی مصر قبله مع الأثقال. فلمّا وصل الناصر إلی قطیا عاد منها إلی جهة الشام لشیء بلغه عن الملک المظفّر صاحب مصر، و نزل بوادی موسی ثم نزل برکة زیزاء، فکبسه التّتار بها و هو فی خواصّه و قلیل من ممالیکه، فاستأمن الناصر من التّتار و توجّه إلیهم، فلمّا وصل إلیهم احتفظوا به و بقی معهم فی ذلّ و هوان إلی أن قتل علی ما یأتی ذکره فی محله إن شاء اللّه تعالی.

و أمّا التّتار فإنّه بلغت غارتهم إلی غزّة و بلد الخلیل - علیه السلام- فقتلوا الرجال و سبوا النساء و الصّبیان و استاقوا من الأسری و الأبقار و الأغنام و المواشی شیئا کثیرا. کلّ ذلک و السلطان الملک المظفّر قطز سلطان مصر یتهیّأ للقاء التّتار.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۸

فلمّا اجتمعت العساکر الإسلامیّة بالدیار المصریّة ألقی اللّه تعالی فی قلب الملک المظفّر قطز الخروج لقتالهم بعد أن کانت القلوب قد أیست من النّصرة علی التّتار، و أجمعوا علی حفظ مصر لا غیر لکثرة عددهم و استیلائهم علی معظم بلاد المسلمین، و أنّهم ما قصدوا إقلیما إلّا فتحوه و لا عسکرا إلّا هزموه، و لم یبق خارج عن حکمهم فی الجانب الشرقیّ إلّا الدیار المصریّة و الحجاز و الیمن، و هرب جماعة من المغاربة الذین کانوا بمصر إلی الغرب، و هرب جماعة من الناس إلی الیمن و الحجاز، و الباقون بقوا فی وجل عظیم و خوف شدید یتوقّعون دخول العدوّ و أخذ البلاد؛ و صمّم الملک المظفّر- رحمه اللّه- علی لقاء التّتار، و خرج من مصر فی الجحافل الشامیّة و المصریّة فی شهر رمضان، و صحبته الملک المنصور صاحب حماة؛ و کان الأتابک فارس الدین أقطای المستعرب، الأمور کلّها مفوّضة إلیه؛ و سیّر الملک المظفّر قطز إلی صاحب حماة، و هو بالصالحیّة، یقول: له لا تحتفل فی مدّ سماط، بل کلّ واحد من أصحابک یفطر علی قطعة لحم فی صولقه. و سافر الملک المظفّر بالعساکر من الصالحیّة و وصل غزّة و القلوب وجلة.

و أما کتبغانوین مقدّم التّتار علی عسکر هولاکو لمّا بلغه خروج الملک المظفّر قطز کان بالبقاع؛ فاستدعی الملک الأشرف [موسی ابن المنصور صاحب حمص] و قاضی القضاة محیی الدین و استشارهم فی ذلک، فمنهم من أشار بعدم الملتقی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۷۹

و الاندفاع بین یدی الملک المظفّر إلی حیث یجیئه مدد من هولاکو لیقوی علی ملتقی العسکر المصریّ، و منهم من أشار بغیر ذلک و تفرّقت الآراء، فاقتضی رأی کتبغانوین الملتقی، و توجّه من فوره لما أراد اللّه تعالی من إعزاز الإسلام و أهله، و إذلال الشّرک و حزبه، بعد أن جمع کتبغانوین من فی الشام من التّتار و غیرهم، و قصد محاربة المسلمین، و صحبته الملک السعید [حسن] ابن الملک العزیز عثمان. ثم رحل الملک المظفّر قطز بعساکره من غزّة و نزل الغور بعین جالوت، و فیه جموع التّتار فی یوم الجمعة خامس عشرین شهر رمضان، و وقع المصافّ بینهم فی الیوم المذکور، و تقاتلا قتالا شدیدا لم یر مثله حتّی قتل من الطائفتین جماعة کثیرة و انکسرت میسرة المسلمین کسرة شنیعة، فحمل الملک المظفّر- رحمه اللّه- بنفسه فی طائفة من عساکره و أردف المیسرة حتّی تحایوا و تراجعوا، و اقتحم الملک المظفّر القتال و باشر ذلک بنفسه و أبلی فی ذلک الیوم بلاء حسنا، و عظم الحرب و ثبت کلّ من الفریقین مع کثرة التتار. و المظفّر مع ذلک یشجّع أصحابه و یحسّن إلیهم الموت، و هو یکرّ بهم کرّة بعد کرّة حتّی نصر اللّه الإسلام و أعزّه، و انکسرت التّتار و ولّوا الأدبار علی أقبح وجه بعد أن قتل معظم أعیانهم و أصیب مقدّم العساکر التّتاریّة کتبغانوین، فإنّه أیضا لمّا عظم الخطب باشر القتال بنفسه فأخزاه اللّه تعالی و قتل شرّ قتلة. و کان الذی حمل علیه و قتله الأمیر جمال الدین آقوش الشّمسیّ- رحمه اللّه تعالی- و ولّوا التّتار الأدبار لا- یلوون علی شیء، و اعتصم منهم طائفة بالتلّ المجاور لمکان الوقعة، فأحدقت بهم العساکر و صابروهم علی القتال حتّی أفنوهم قتلا، و نجا من نجا. و تبعهم الأمیر رکن الدین بیبرس البندقداریّ فی جماعة من الشّجعان إلی أطراف البلاد؛

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۰

و استوفی أهل البلاد و الضّیاع من التّتار آثارهم، و قتلوا منهم مقتلة عظیمة حتّی إنّه لم یسلم منهم إلّا القلیل جدّا.

و فی حال الفراغ من المصافّ حضر الملک السعید [حسن] ابن الملک العزیز عثمان ابن الملک العادل بین یدی السلطان الملک المظفّر قطز؛ و کان التّتار لمّا ملکوا قلعة البیرة وجدوه فیها معتقلا فأطلقوه و أعطوه بایاس و قلعة الصّبیبة فانضمّ علی التّتار و بقی منهم، و قاتل یوم المصافّ المسلمین قتالا شدیدا، فلما أیّد اللّه المسلمین بنصره و حضر الملوک عند الملک المظفّر فحضر الملک السعید هذا من جملتهم علی رغم أنفه، فلم یقبل المظفّر عذره، و أمر بضرب عنقه فضربت فی الحال. ثم کتب الملک المظفّر کتابا إلی أهل دمشق یخبرهم فیه بالفتح و کسر العدوّ المخذول و یعدهم بوصوله إلیهم و نشر العدل فیهم، فسرّ عوامّ دمشق و أهلها بذلک سرورا زائدا، و قتلوا فخر الدین محمد بن یوسف بن محمد الکنجیّ فی جامع دمشق، و کان المذکور من أهل العلم، لکنّه کان فیه شرّ، و کان رافضیّا خبیثا و انضم علی التّتار. و قتلوا أیضا بدمشق من أعوان التّتار ابن الماسکینی، و ابن النّفیل و غیرهما. و کان النّصاری بدمشق قد شمخوا و تجرّءوا علی المسلمین و استطالوا بتردّد التّتار إلی کنائسهم.

و ذهب بعضهم إلی هولاکو و جاءوا من عنده بفرمان یتضمّن الوصیّة بهم و الاعتناء بأمرهم، و دخلوا بالفرمان من باب توما و صلبانهم مرتفعة، و هم ینادون بارتفاع دینهم و اتّضاع دین المسلمین، و یرشّون الخمر علی الناس و فی أبواب المساجد، فحصل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۱

عند المسلمین من ذلک همّ عظیم. فلمّا هرب نوّاب التّتار حین بلغتهم الکسرة أصبح الناس و توجّهوا إلی دور النّصاری ینهبونها و یأخذون ما استطاعوا منها، و أخربوا کنیسة الیعاقبة و أحرقوا کنیسة مریم حتّی بقیت کوما، و قتلوا منهم جماعة و اختفی الباقون. و کانت النصاری فی تلک الأیام ألزموا المسلمین بالقیام فی دکاکینهم للصّلیب، و من لم یقم أخرقوا به و أهانوه، و شقّوا السّوق علی هذا الوجه إلی عند القنطرة آخر سویقة کنیسة مریم؛ فقام بعضهم علی الدّکّان الوسطی من الصف الغربیّ بین القناطر و خطب و فضّل دین النّصاری و وضع من دین الإسلام، و کان ذلک فی ثانی عشرین شهر رمضان. ثم من الغد طلع المسلمون مع قضاتهم و شهودهم إلی قلعة دمشق و بها التّتار فأهانوهم التتار، و رفعوا قسّیس النّصاری علیهم، ثم أخرجوهم بالضرب؛ فصار ذلک کلّه فی قلوب

المسلمين. انتهى.

ثمّ إنّ أهل دمشق هموا أيضا بنهب اليهود فنهبوا منهم يسيرا، ثم كفّوا عنهم.

ثمّ وصل الملک المظفّر قطز إلى دمشق مؤيّدا منصورا فانجبرت بذلک قلوب الرّعايا و تضاعف شكرهم للّه تعالى. و التقاه أهل دمشق بعد أن عفّوا آثار النصارى و خرّبوا كنائسهم جزاء لما كانوا سلفوه من ضرب النواقيس على رءوس المسلمين، و دخولهم بالخمر إلى الجامع. و فى هذا المعنى يقول بعض شعراء دمشق:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۲

هلک الكفر فى الشآم جميعا و استجدّ الإسلام بعد دحوضه

بالمليک المظفّر الملک الأر وع سيف الإسلام عند نهوضه

ملک [جاءنا] بعزم و حزم فآعتززنا بسمره و بيضه

أوجب اللّه شكر ذاک علينا دائما مثل واجبات فروضه

و فى نصرة الملک المظفّر هذا يقول الشيخ شهاب الدين أبو شامة:

غلب التّتار على البلاد فجاءهم من مصر تركى يجود بنفسه

بالشام أهلكهم و بدّد شملهم و لكلّ شىء آفة من جنسه

ثم قدم الخبر على السلطان بدمشق فى شوّال بأنّ المنهزمين من رجال التّتار و نسائهم لحقهم الطّلب من الأمير ركن الدين بيبرس البندقدارىّ، فإنّ بيبرس كان تقدّم قبل السلطان إلى دمشق يتتبع آثار التّتار إلى قرب حلب، فلمّا قرب منهم بيبرس سيّبوا ما كان فى أيديهم من أسارى المسلمين، و رموا أولادهم فتخطّفهم النّاس، و قاسوا من البلاء ما يستحقّونه.

و كان الملک المظّفر قطز قد وعد الأمير بيبرس بحلب و أعمالها، فلمّا انتصر على التّتار انثنى عزمه عن إعطائه حلب، و ولّاها لعلاء الدّين [علىّ ابن بدر الدين لؤلؤ] صاحب الموصل، فكان ذلک سبب الوحشة بين بيبرس و بين الملک المظفّر قطز.

على ما يأتى ذكره.

و لمّا قدم الملک المظفّر إلى دمشق أحسن إلى الناس و أجراهم على عوائدهم و قواعدهم إلى آخر أيّام الملک الناصر صلاح الدين يوسف. و سيّر الملک الأشرف صاحب حمص يطلب منه أمانا على نفسه و بلاده، و كان الأشرف أيضا ممّن انضاف

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۳

إلى التّتار فأمّنه و أعطاه بلاده و أقرّه عليها؛ فحضر الأشرف إلى خدمة الملک المظفّر ثم عاد إلى بلده. ثم توجّه الملک المظفّر صاحب حماة إلى حماة على ما كان عليه، و كان حضر مع الملک المظفّر قطز من مصر.

قلت: و الملک المظفّر قطز هو أوّل من ملک البلاد الشاميّة و استناب بها من ملوک الترک.

ثمّ إنّ الملک المظفّر قطز رتّب أمور الشام و استناب بدمشق الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ الكبير. ثم خرج المظفّر من دمشق عائدا إلى مصر إلى أن وصل إلى القصير، و بقى بينه و بين الصالحيّة مرحلة واحدة، و رحلت العساكر إلى جهة الصالحيّة و ضرب الدهليز السلطانىّ بها و بقى المظفّر مع بعض خواصّه و أمرائه؛ و كان جماعة قد اتّفقوا مع الأمير بيبرس البندقدارىّ على قتل الملک المظفّر: منهم الأمير سيف الدين أنص من مماليک [نجم الدين] الرومى الصالحى، و علم الدين صنغلى، و [سيف الدين بلبان] الهارونىّ و غيرهم؛ كلّ ذلک لكمين كان فى نفس بيبرس، لأجل نيابة حلب. و اتّفق عند القصير بعد توجّه العساكر إلى الصالحيّة أن ثارت أرنب فساق الملک المظفّر قطز عليها، و ساق هؤلاء المتّفقون على قتله معه، فلمّا أبعدوا و لم يبق معه غيرهم، تقدّم إليه الأمير بيبرس البندقدارىّ و شفع عنده

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۴

شفاعة فى إنسان فأجابه، فأهوى بيبرس ليقبّل يده فقبض عليها؛ و حمل أنص عليه، و قد أشغل بيبرس يده، و ضربه بالسيف، ثمّ حمل الباقون عليه و رموه عن فرسه، و رشقوه بالنّشّاب فقتلوه، ثم حملوا على العسكر و هم شاهرون سيوفهم حتّى وصلوا إلى الدّهليز السلطانىّ بالصالحيّة؛ فنزلوا و دخلوا و الأتابك على باب الدّهليز فأخبروه بما فعلوا؛ فقال: من قتله منكم؟ فقال بيبرس: أنا، فقال: يا خوند، اجلس على مرتبة السلطان! يأتى بقية ذلك فى أوّل ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ المذكور. إن شاء اللّه تعالى.

و لمّا وقع ذلك و بلغ الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ الكبير نائب دمشق عزّ عليه قتل الملك المظفّر، ثم دعا الناس لنفسه و استحلفهم و تلقّب بالملك المجاهد.

على ما يأتى ذكره أيضا. أمّا الملك المظفّر قطز فإنّه دفن موضع قتله- رحمه اللّه تعالى- و كثر أسف الناس و حزنهم عليه. قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبىّ فى تاريخه- رحمه اللّه تعالى- بعد ما سمّاه و نعته قال:

و كان المظفّر أكبر مماليك الملك المعزّ أيبك التّركمانىّ، و كان بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير، يرجع إلى دين و إسلام و خير، و له اليد البيضاء فى جهاد التّتار، فعوّض اللّه شبابه بالجنّة و رضى عنه. و حكى الشيخ شمس الدين الجزرىّ فى تاريخه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۵

عن أبيه، قال: كان قطز فى رقّ ابن الزعيم بدمشق فى القصّاعين، فضربه أستاذه فبكى و لم يأكل شيئا يومه، ثم ركب أستاذه للخدمه و أمر الفرّاش أن يترضّاه و يطعمه، قال: فحدّثنى الحاجّ علىّ الفراش قال: فجئته و قلت: ما هذا البكاء من لطشة؟ فقال: إنّما بكائى من لعنة أبى و جدّى و هم خير منه، فقلت: من أبوك؟ واحد كافر! فقال: و اللّه ما أنا إلّا مسلم ابن مسلم، أنا محمود بن ممدود ابن أخت خوارزم شاه من أولاد الملوك، فسكّته و ترضّيته. و تنقّلت به الأحوال إلى أن تملّك مصر، و لمّا تملك أحسن إلى الحاج علىّ الفراش المذكور، و أعطاه خمسمائة دينار و عمل له راتبا. قال الذهبىّ أيضا: و لمّا تسلطن لم يبلغ ريقه و لا تهنّى بالسلطنة حتى امتلأت الشامات المباركة بالتّتار؛ ثم ساق الذهبىّ أمره مع التّتار بنحو ما حكيناه.

و قال الشيخ قطب الدين: حكى عن الملك المظفّر قطز أنّه قتل جواده يوم القتال مع التّتار، و لم يصادف المظفّر أحد من الأوشاقية فبقى راجلا، فرآه بعض الأمراء الشجعان فترجّل له و قدّم له حصانه، فامتنع المظفّر من ركوبه و قال:

ما كنت لأمنع المسلمين الانتفاع بك فى هذا الوقت! ثم تلاحقت الأوشاقيّة إليه.

و قال ابن الجزرىّ فى تاريخه: حدّثنى أبى قال حدّثنى أبو بكر بن الدّريهم الإسعردىّ و الزكىّ إبراهيم أستاذ الفارس أقطاى قالا: كنّا عند سيف الدين قطز لمّا تسلطن أستاذه الملك المعزّ أيبك التركمانىّ، فأمرنا قطز بالقعود، ثم أمر المنجّم فضرب الرّمل،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۶

ثم قال له قطز: اضرب لمن يملك بعد أستاذى الملك المعزّ أيبك، و من يكسر التّتار، فضرب و بقى زمانا يحسب، فقال: يطلع معى خمس حروف بلا نقط. فقال له قطز: لم لا تقول محمود بن ممدود، فقال: يا خوند لا ينفع غير هذا الاسم، فقال:

أنا هو، أنا محمود بن ممدود، و أنا أكسر التّتار و آخذ بثأر خالى خوارزم شاه، فتعجّبنا من كلامه، و قلنا: إن شاء اللّه يكون هذا يا خوند، فقال: اكتموا ذلك، و أعطى المنجّم ثلثمائة درهم.

قلت: و نقل الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى تاريخه الذى ذيلّه على مرآة الزمان، فقال فى أمر المنجّم غير هذه الصورة. و سنذكرها فى سياق كلام قطب الدين المذكور. قال (أعنى قطب الدين): كان المظفّر أخصّ مماليك الملك المعزّ و أقربهم إليه و أوثقهم عنده. و هو الذى قتل الأمير فارس الدين أقطاى الجمدار.

قال: و كان الملك المظفّر بطلا شجاعا مقداما حازما حسن التدبير لم يكن يوصف بكرم و لا شحّ بل كان متوسّطا فى ذلك، و ذكر حكايته لمّا أن قتل جواده يوم الوقعة بنحو ممّا حكيناه، لكنّه زاد بأن قال: فلام المظفّر بعض خواصّه على عدم ركوبه، و قال: يا خوند- لو صادفك، و العياذ بالله تعالى- بعض المغل و أنت راجل كنت رحت و راح الإسلام! فقال: أما أنا فكنت رحت إلى الجنّة- إن شاء

اللّه تعالى- و أما الإسلام فما كان اللّه ليضيعه؛ فقد مات الملك الصالح نجم الدين أيّوب، و قتل بعده ابنه الملك المعظّم توران شاه، و قتل الأمير فخر الدين ابن الشيخ مقدّم العساكر يوم ذاك، و نصر اللّه الإسلام بعد اليأس من نصره! (يعنى عن نوبة أخذ الفرنج دمياط). ثم قال قطب الدين، بعد ما ساق توجّهه إلى دمشق و إصلاح أمرها إلى أن قال: و قتل الملك المظفّر قطز مظلوما بالقرب من القضير و هى المنزلة التى بقرب الصالحية، و بقى ملقى بالعراء فدفنه بعض من كان فى خدمته

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۷

بالقصير، و كان قبره يقصد للزيارة دائما. قال: و اجتزت به فى شهر رمضان سنة تسع و خمسين و ستمائة، و ترحّمت عليه و زرته. و كان كثير الترحّم عليه و الدعاء على من قتله. فلمّا بلغ بيبرس ذلك أمر بنبشه و نقله إلى غير ذلك المكان و عفّى أثره، و لم يعفّ خبره- رحمه اللّه تعالى و جزاه عن الإسلام خيرا- قال: و لم يخلّف ولدا ذكرا، و كان قتله يوم السبت سادس عشر ذى القعدة سنة ثمان و خمسين و ستمائة.

قلت: فعلى هذا تكون مدّة سلطنة الملك المظفّر قطز سنة إلّا يومنا واحدا، فإنّه تسلطن فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة من سنة سبع و خمسين و ستمائة، و قتل فيما نقله الشيخ قطب الدين فى يوم السبت سادس عشر ذى القعدة من سنة ثمان و خمسين و ستمائة: انتهى. قال: حكى لى المولى علاء الدين بن غانم فى غرّة شوّال سنة إحدى و تسعين و ستّمائة ببعلبک، قال: حدّثنى المولى تاج الدين أحمد ابن الأثير- تغمده اللّه برحمته- ما معناه: أنّ الملک الناصر صلاح الدين يوسف- رحمه اللّه- لمّا كان على برزة فى أواخر سنة سبع و خمسين وصله قصّاد من الديار المصريّة بكتب يخبرونه فيها أنّ قطز تسلطن و ملك الديار المصريّة و قبض على ابن أستاذه، قال المولى تاج الدين- رحمه اللّه-: فطلبنى السلطان الملك الناصر قرأت عليه الكتب، و قال لى: خذ هذه الكتب و رح إلى الأمير ناصر الدين القيمرىّ، و الأمير جمال الدين بن يغمور أوقف كلّا منهما عليها، قال: فأخذتها

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۸

و خرجت فلما بعدت عن الدّهليز لقينى حسام الدين البركة خانى و سلّم علىّ، و قال:

جاءكم بريدىّ أو قصّاد من الديار المصريّة؟ فورّيت و قلت: ما عندى علم بشىء من هذا، قال: قطز تسلطن و تملّك الديار المصريّة و يكسر التّتار؛ قال تاج الدين:

فبقيت متعجّبا من حديثه، و قلت له: إيش هذا القول، و من أين لک هذا؟

قال: و اللّه هذا قطز خشداشى، كنت أنا و إيّاه عند الهيجاوى من أمراء مصر و نحن صبيان، و كان عليه قمل كثير، فكنت أسرّح رأسه على أنّنى كلّما أخذت منه قملة أخذت منه فلسا أو صفعته، ثم قلت فى غضون ذلک: و اللّه ما أشتهى إلا أنّ اللّه يرزقنى إمرة خمسين فارسا، فقال لى: طيّب قلبک، أنا أعطيک إمرة خمسين فارسا، فصفعته و قلت: أنت تعطينى إمرة خمسين! قال: نعم فصفّعته، فقال لى: و أ لک علّة! إيش يلزم لک إلّا إمرة خمسين فارسا؟ أنا و اللّه أعطيک، قلت: ويلک! كيف تعطينى؟ قال: أنا أملک الديار المصريّة، و أكسر التّتار و أعطيک الذى طلبت، قلت: ويلک أنت مجنون! أنت بقملک تملک الديار المصرية؟ قال: نعم، رأيت النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم فى المنام و قال لى: أنت تملک الديار المصريّة و تكسر التّتار، و قول النّبىّ صلّى اللّه عليه و سلّم حقّ لا شکّ فيه، قال: فسكتّ و كنت أعرف منه الصدق فى حديثه و عدم الكذب. قال تاج الدين:

فلمّا قال لى هذا، قلت له: قد وردت الأخبار بأنّه تسلطن، قال لى: و اللّه و هو يكسر التّتار. قال تاج الدين: فرأيت حسام الدين البركة خانى- الحاكى ذلک- بالديار المصريّة بعد كسر التّتار فسلّم علىّ، و قال: يا مولاى تاج الدين،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۸۹

تذكر ما قلت لک فى الوقت الفلانىّ؟ قلت: نعم، قال: و اللّه حالما عاد الملک الناصر من قطيا دخلت الديار المصريّة أعطانى إمرة خمسين فارسا كما قال، لا زائد على ذلک. قال: و حكى لى عزّ الدين محمد بن أبى الهيجاء ما معناه: أنّ سيف الدين بلغاق حدّثه أنّ

الأمیر بدر الدین بکتوت الأتابکیّ، حکی لی قال: کنت أنا و الملک المظفّر قطز و الملک الظاهر بیبرس- رحمهما اللّه تعالی- فی حال الصّبا کثیرا ما نکون مجتمعین فی رکوبنا و غیر ذلک، فاتّفق أن رأینا منجّما فی بعض الطریق بالدیار المصریّة، فقال له الملک المظفّر قطز: أبصر نجمی، فضرب بالرّمل و حسب و قال: أنت تملک هذه البلاد و تکسر التّتار، فشرعنا نهزأ به. ثم قال له الملک الظاهر بیبرس: أبصر نجمی، فقال: و أنت أیضا تملک الدیار المصریّة و غیرها، فتزاید استهزاؤنا به، ثم قالا لی، لا بدّ أن تبصر نجمک، فقلت له: أبصر لی نجمی، فحسب و قال: أنت تخلص لک إمرة مائة فارس، یعطیک هذا، و أشار إلی الملک الظاهر، فاتّفق أن وقع الأمر کما قال، و لم یخرم منه شیء. و هذا من عجیب الاتّفاق. انتهت ترجمة الملک المظفّر قطز. و یأتی ذکر حوادثه علی عادة هذا الکتاب إن شاء اللّه تعالی.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۸]

اشارة

السنة التی حکم فیها الملک المظفّر قطز علی الدیار المصریّة، و هی سنة ثمان و خمسین و ستمائة علی أنّه حکم من سنة سبع شهرین و قتل قبل انقضاء السنة أیضا بشهرین.

فیها کانت کائنة التّتار مع الملک المظفّر قطز و غیره، حسب ما تقدّم ذکره من أنّهم ملکوا حلب و الشام ثم رحلوا عنها.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۰

و فیها غلت الأسعار بالبلاد الشامیّة.

و فیها توفّی الملک السعید نجم الدین إیلغازی ابن الملک المنصور ناصر الدین أبی المظفّر أرتق بن أرسلان بن نجم الدین إیلغازی ابن ألبی بن تمرتاش بن إیلغازی ابن أرتق، السلطان أبو الفتح صاحب ماردین. کان ملکا جلیلا کبیر القدر شجاعا جوادا حازما ممدّحا. مات فی ذی الحجّة، و ملک ماردین بعده ابنه الملک المظفّر رحمه اللّه.

و فیها توفّی الملک المعظّم فخر الدین أبو المفاخر توران شاه ابن السلطان صلاح الدین یوسف بن أیّوب، کان قد کبرت سنّه و صار کبیر البیت الأیّوبیّ، و کانت نفسه لا تحدّثه بالوثوب علی الأمر، فلذلک عاش عیشا رغدا و طال عمره. و کان الملک الناصر صلاح الدین یوسف صاحب الشام یعظّمه و یحترمه و یثق به. و هو غیر الملک المعظم توران شاه ابن الملک الصالح نجم الدین أیوب. و قد تقدّم قتل هذاک فی کائنة دمیاط، و عدّ أیضا من ملوک مصر. و توران شاه هذا هو ابن عم الملک الکامل محمد جدّ توران شاه هذاک. و هو أیضا غیر توران شاه ابن الملک الکامل محمد المعروف بأقسیس. انتهی. و مولد توران شاه هذا بالقاهرة فی سنة سبع و سبعین و خمسمائة و مات فی شهر ربیع الأوّل من هذه السنة بحلب.

و فیها قتل الأمیر کتبغانوین مقدّم عساکر التّتار الذی قتل فی الوقعة التی کانت بینه و بین المظفّر قطز بعین جالوت المقدّم ذکرها. کان کتبغانوین عظیما عند

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۱

التّتار یعتمدون علی رأیه و شجاعته و تدبیره، و کان بطلا شجاعا مقداما خبیرا بالحروب و افتتاح الحصون و الاستیلاء علی الممالک، و هو الذی فتح معظم بلاد العجم و العراق.

و کان هولاکو ملک التتار یثق به و لا یخالفه فیما یشیر إلیه و یتبرّک برأیه. یحکی عنه عجائب فی حروبه، و کانت مقتلته فی یوم الجمعة خامس عشرین شهر رمضان فی المصافّ علی عین جالوت.

قلت: إلی سقر و بئس المصیر، و لقد استراح الإسلام منه، فإنّه شرّ عصابة علی الإسلام و أهله. و للّه الحمد علی هلاکه.

و فیها توفّی الملک المظفّر أبو المعالی ناصر الدین محمد ابن الملک المظفّر غازی بن أبی بکر محمد العادل بن أیّوب صاحب میّافارقین و تلک البلاد. ملکها فی سنة خمس و أربعین و ستمائة عقیب وفاة والده، [و] دام فی الملک سنین إلی أن جفل من التّتار بعد أن کان یداریهم سنین، و قدم علی الملک الناصر صلاح الدین یوسف بدمشق و استنجده علی التّتار فوعده الناصر بالنّجدة، و آخر الأمر أنّه رجع إلی بلاده، و حصره التّتار بها نحو سنتین حتّی استشهد بأیدیهم- رحمه اللّه تعالی و عفا عنه-.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی و استشهد بحلب خلائق لا یحصون؛ منهم، إبراهیم بن خلیل الأدمیّ. و الرئیس أبو طالب عبد الرحمن ابن عبد الرحیم بن عبد الرحمن بن العجمیّ، تحت عذاب التّتار. و بدمشق عبد اللّه ابن برکات بن إبراهیم [المعروف بابن] الخشوعیّ فی صفر. و العماد عبد الحمید بن عبد الهادی المقدسیّ فی شهر ربیع الأوّل عن خمس و ثمانین سنة. و الملک المعظّم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۲

توران شاه ابن السلطان صلاح الدین فی شهر ربیع الأوّل، و له إحدی و ثمانون سنة.

و الشمس محمد بن عبد الهادی أخو العماد بقریة ساویة [من عمل نابلس] شهیدا. و قاضی القضاة صدر الدین أحمد ابن شمس الدین أبی البرکات یحیی بن هبة اللّه بن سنیّ الدولة ببعلبک، و قد قارب السبعین فی جمادی الآخرة. و أبو الکرم لاحق بن عبد المنعم الأرتاحیّ بالقاهرة، و له خمس و ثمانون سنة. و الحافظ المفید محبّ الدین عبد اللّه بن أحمد المقدسیّ. و الفقیه الکبیر أبو عبد اللّه محمد بن أبی الحسین [أحمد] بن عبد اللّه الیونینیّ فی رمضان، و له سبع و ثمانون سنة فی المحرّم. و الحافظ البلیغ أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن أبی بکر القضاعیّ البلنسیّ الکاتب المعروف بالأبّار بتونس مقتولا. و الملک الکامل الشهید ناصر الدین محمد ابن المظفّر شهاب الدین غازی بن العادل. و الملک المظفّر الشهید سیف الدین قطز فی ذی القعدة، فتکوا به فی الرمل. و صاحب الصّبیبة الملک السعید حسن بن العزیز عثمان بن العادل، قتل صبرا یوم عین جالوت بأمر الملک المظفّر. و فی آخرها صاحب ماردین الملک السعید نجم الدین إیلغازی بن أرتق. و الملک کتبغانوین رأس التّتار یوم عین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۳

جالوت، قتله آقوش الشّمسیّ. و حسام الدین محمد بن أبی علیّ الهذبانیّ نائب السلطنة بمصر. و الأمیر مجیر الدین إبراهیم [بن أبی بکر] بن أبی زکری بنابلس شهیدا بعد أن قتل جماعة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و إحدی عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۴

ذکر سلطنة الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ علی مصر

السلطان الملک القاهر ثم الظاهر رکن الدین أبو الفتوح بیبرس بن عبد اللّه البندقداریّ الصالحیّ النّجمیّ الأیّوبیّ التّرکیّ، سلطان الدیار المصریّة و البلاد الشامیّة و الأقطار الحجازیّة، و هو الرابع من ملوک الترک. مولده فی حدود العشرین و ستمائة بصحراء القبجاق تخمینا و القبجاق قبیلة عظیمة فی التّرک، و هو (بکسر القاف و سکون الباء ثانیة الحروف و فتح الجیم ثم ألف و قاف ساکنة)، و بیبرس (بکسر الباء الموحدة ثانیة الحروف و سکون الیاء المثناة من تحتها ثم فتح الباء الموحدة و سکون الراء و السین المهملتین) و معناه باللغة الترکیة: أمیر فهد. انتهی.

قلت: أخذ بیبرس المذکور من بلاده و أبیع بدمشق للعماد الصائغ. ثم اشتراه الأمیر علاء الدین أیدکین الصالحی البندقداریّ و به سمّی البندقداریّ.

قلت: و العجیب أن علاء الـدین أیـدکین البندقداریّ المذکور عاش حتّی صار من جملة أمراء الظاهر بیبرس هذا. علی ما سیأتی ذکره مفصّلا- إن شاء اللّه تعالی- حکی شیخ الشیوخ شرف الدین عبد العزیز الأنصاریّ الحمویّ قال:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۵

کان الأمیر علاء الدین البندقداریّ الصالحیّ لمّا قبض علیه و أحضر إلی حماة و اعتقل بجامع قلعتها اتّفق حضور رکن الدین بیبرس مع تاجر، و کان الملک المنصور (یعنی صاحب حماة) إذ ذاک صبیا و کان إذا أراد شـراء رقیق تبصـره الصاحبـة والـدته، فأحضـر بیبرس هـذا مع آخر فرأتهما من وراء السّتر فأمرت بشـراء خشداشه، و قالت: هذا الأسـمر لا یکون بینک و بینه معاملة فإنّ فی عینیه شـرّا لائحا فردّتهمـا جمیعا؛ فطلب البندقـداریّ الغلامین یعنی بیبرس و رفیقه فاشتراهما و هو معتقل، ثم أفرج عنه فسار إلی مصـر؛ و آل أمر رکن الدین إلی ما آل.

و قال الذهبیّ: اشتراه الأمیر علاء الدین البندقداریّ الصالحیّ فطلع بطلا شـجاعا نجیبا لا ینبغی [أن] یکون إلّا عند ملک، فأخذه الملک الصالـح منه. و قیل: بقی بیبرس المـذکور فی ملک البندقـداریّ حتی صادره أسـتاذه الملک الصالـح نجم الدین أیوب، و أخذ بیبرس هذا فیما أخذه منه فی المصادرة فی شهر شوّال سنة أربع و أربعین و ستمائة.

قلت: و هذا القول هو المشهور.

و لمّا اشتراه الملک الصالـح أعتقه و جعله من جملـة ممالیکه، و قـدّمه علی طائفـة الجمداریّـة لما رأی من فطنته و ذکائه؛ و حضـر مع أستاذه الملک الصالح واقعة دمیاط.

و قال الشـیخ عزّ الـدین عمر بن علیّ بن إبراهیم بن شـدّاد: أخبرنی الأمیر بـدر الـدین بیسـری الشّمسـیّ أنّ مولد الملک الظاهر بأرض القبجاق سنة خمس و عشرین و ستمائة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۶

تقریبـا. و سـبب انتقـاله من وطنه إلی البلاد أنّ التّتار لمّا أزمعوا علی قصـد بلادهم سـنة تسع و ثلاثین و سـتمائة، و بلغهم ذلک، کاتبوا أنس خـان ملـک أولاـق أن یعبروا بحر صوداق إلیه لیجیرهم من التّتـار، فأجـابهم إلی ذلک و أنزلهم وادیا بین جبلین، و کان عبورهم إلیه فی سـنة أربعین و ستمائة؛ فلما اطمأنّ بهم المقام غدر بهم و شنّ الغارة علیهم، فقتل منهم و سبی. قال بیسری: و کنت أنا و الملک الظاهر فیمن أسـر؛ قال: و کان عمره إذ ذاک أربع عشـرة سـنة تقدیرا، فبیع فیمن بیع و حمل إلی سـیواس ثمّ افترقنا و اجتمعنا فی حلب فی خان ابن قلیـج ثم افترقنا؛ فاتّفق أن حمل إلی القاهرة فبیع علی الأمیر علاء الـدین أیـدکین البندقـداریّ و بقی فی یده إلی أن انتقل عنه بالقبض علیه فی جملة ما استرجعه الملک الصالح نجم الدین أیّوب منه، و ذلک فی شوّال سنة أربع و أربعین و ستمائة.

قلت: و هذا القول مطابق لقولنا الذی ذکرناه. قال: ثم قدّمه الملک الصالح علی طائفة الجمداریّة. انتهی.

و قـال غیره: و لمّـا مات الملک الصالـح نجم الـدین أیّوب و ملک بعـده ابنه الملک المعظّم توران شاه و قتل و أجمعوا علی الأمیر عزّ الدین أیبک التّرکمانیّ و ولّوه الأتابکیّة،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۷

ثم استـقلّ بالملک و قتل الأمیر فارس الـدین أقطای الجمـدار، رکـب الملک الظاهر بیبرس هذا و البحریّة و قصدوا قلعة الجبل؛ فلمّا لم ینـالوا مقصودهم خرجوا من القـاهرة مجاهرین بالعـداوة للملک المعزّ أیبک التّرکمانی و مهاجرین إلی الملک الناصـر صـلاح الـدین یوسف [ابن الملـک العزیز محمـد بن الظاهر غازی ابن السلطان صـلاح الـدین یوسف بن أیّوب] صاحب الشام. و هم: الملک الظاهر بیبرس هذا، و سـیف الدین بلبان الرّشـیدیّ، و عزّ الدین أزدمر السّـیفیّ، و شـمس الدین سـنقر الرّومی، و شمس الدین سنقر الأشقر، و بـدر الـدین بیسـری الشّمسـیّ، و سیف الدین قلاوون الألفی، و سـیف الدین بلبان المستعرب و غیرهم؛ فلمّا شارفوا دمشق سـیّر إلیهم الملک الناصـر طیّب قلوبهم، فبعثوا فخر الدین إیاز المقرئ یستحلفه لهم فخلف الناصـر لهم و دخلوا دمشق فی العشـر الأخیر من شهر

رمضان سنة اثنتين و خمسين و ستمائة، فأكرمهم الملك الناصر صلاح الدين و أطلق للملك الظاهر بيبرس ثلاثين ألف درهم، و ثلاثة قطر بغال و ثلاثة قطر جمال و ملبوسا، و فرّق فى بقيّة الجماعة الأموال و الخلع على قدر مراتبهم. و كتب الملك المعزّ أيبك إلى الملك الناصر يحذّره منهم و يغريه بهم، فلم يصغ إليه الناصر، و دام على إحسانه إليهم. و كان عيّن الناصر لبيبرس إقطاعا بحلب، فطلب الملك الظاهر بيبرس من الملك الناصر أن يعوّضه عمّا كان له بحلب من الإقطاع بجينين و زرعين فأجابه الملك الناصر إلى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۸

ذلك؛ فتوجّه بيبرس إليها و عاد، فاستشعر بيبرس من الملك الناصر بالغدر فتوجّه بمن معه و من تبعه من خشداشيته إلى الكرك، و اجتمعوا بصاحب الكرك الملك المغيث عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد، فجهّز الملك المغيث عسكره مع بيبرس المذكور، و عدّة من كان جهّزه معه ستّمائة فارس، و خرج من عسكر مصر جماعة لملتقاه؛ فأراد بيبرس كبسهم فوجدهم على أهبة، ثم واقع المصريّين فانكسر و لم ينج منهم إلّا القليل، فالذى نجا من الأعيان: بيبرس و بيليك الخازندار، و أسر بلبان الرّشيدى. و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه فى ترجمة المعزّ مجملا، و لكن نذكره هنا مفصّلا.

و عاد بيبرس هذا إلى الكرك و أقام بها، فتواترت عليه كتب المصريّين يحرّضونه على قصد الديار المصريّة، و جاءه جماعة كثيرة من عسكر الملك الناصر. فأخذ بيبرس يطمع الملك المغيث صاحب الكرك فى ملك مصر، و لا زال به حتّى ركب معه بعسكره و نزل غزّة، و ندب الملك المعزّ أيبك عسكرا لقتالهم، و قدّم على العسكر المصرىّ مملوكه الأمير قطز و الأمير أقطاى المستعرب، و ساروا و هرب من عسكر مصر إلى بيبرس و المغيث الأمير عزّ الدين أيبك الرومىّ، و الأمير بلبان الكافورىّ و الأمير سنقر شاه العزيزى، و الأمير أيبك الخواشى، و الأمير بدر الدين برخان، و الأمير بغدى، و أيبك الحموىّ، و جمال الدين هارون القيمرىّ و الجميع أمراء، و اجتمعوا الجميع مع بيبرس و الملك المغيث بغزّة، فقويت شوكتهما بهؤلاء، و ساروا الجميع إلى الصالحيّة،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۹۹

و لقوا عسكر مصر يوم الثلاثاء رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ست و خمسين، فاستظهر عسكر بيبرس و المغيث أوّلا، ثم عادت الكسرة عليهم لثبات قطز المعزّىّ، و هرب الملك المغيث و لحقه بيبرس، و أسر من عسكر بيبرس عزّ الدين أيبك الرومىّ، و ركن الدين منكورس الصّيرفىّ، و بلبان الكافورىّ و عزّ الدين أيبك الحموىّ، و بدر الدين بلغان الأشرفى، و جمال الدين هارون القيمرىّ، و سنقر شاه العزيزىّ، و بهاء الدين أيدغدى الإسكندرانىّ، و بدر الدين برخان، و بغدى، و بيليك الخازندار الظاهرىّ فضربت [أعناق] الجميع صبرا، ما خلا الخازندار [فإنّ جمال الدين] الجوكندارى شفع فيه، و خيّروه بين المقام و الذّهاب فاختار الذّهاب إلى أستاذه، فأطلق و توجّه إلى أستاذه، و لمّا أن وصل الملك المغيث إلى الكرك حصل بينه و بين ركن الدين بيبرس هذا وحشة؛ و أراد المغيث القبض عليه بعد أمور صدرت، فأحسّ بيبرس بذلك و هرب و عاد إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، بعد أن استحلفه على أن يعطيه خبز مائة فارس من جملتها قصبة نابلس، و جينين و زرعين فأجاب إلى نابلس لا غير. و كان قدومه على الناصر فى شهر رجب سنة سبع و خمسين و ستّمائة، و معه الجماعة الذين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۰

حلف لهم الملك الناصر أيضا و هم: بيسرى الشّمسىّ و أيتمش السّعدىّ و طيبرس الوزيرىّ و آقوش الرومىّ الدّوادار، و كشتغدى الشّمسىّ و لاجين الدّرفيل، و أيدغمش الحلبىّ و كشتغدىّ الشرقى و أيبك السيخى و بيبرس خاص ترک الصغير، و بلبان المهرانىّ، و سنجر الباشقردى و سنجر الهمامىّ، و أرسلان الناصرىّ و يكنى الخوارزمىّ، و سيف الدين طمان [الشّقيرى]، و أيبك العلائىّ، و لاچين الشّقيرىّ، و بلبان الأقسيسىّ، و علم الدين سلطان الإلدكزىّ، فأكرمهم الملك الناصر، و وفّى لهم بما حلف، و داموا على ذلك حتّى قبض الأمير قطز على ابن أستاذه الملك المنصور علىّ، و تسلطن و تلقّب بالملك المظفّر قطز، شرع بيبرس يحرّض الملك الناصر على التوجّه إلى الديار المصريّة ليملكها، فلم يجبه، فكلّمه بيبرس فى أن يقدّمه على أربعة آلاف فارس، أو يقدّم عليهم غيره، و

یتوجّه بها إلی شطّ الفرات یمنع التّتار من العبور إلی الشام، فلم یمکّنه ابن عمّه الملک الصالح إسماعیل لباطن کان له مع التّتار، قاتله اللّه! فاستمرّ بیبرس عند الناصر إلی سنة ثمان و خمسین فارقه بمن معه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۱

و قصد الشّهرزوریّة و تزوّج منهم؛ ثم أرسل إلی الملک المظّفر قطز من استحلفه له، فحلف قطز. و دخل بیبرس إلی القاهرة فی یوم السبت الثانی و العشرین من شهر ربیع الأوّل سنة ثمان و خمسین، فرکب الملک المظفّر قطز للقائه و أنزله فی دار الوزارة و أقطعه قصبة قلیوب، فلم تطل مدّته بالقاهرة و تهیّأ الملک المظفّر قطز لقتال التّتار، و سیّر بیبرس هذا فی عسکر أمامه کالجالیش لیتجسّس أخبار التّتار؛ فکان أوّل ما وقعت عینه علیهم ناوشهم بالقتال، فلما انقضت الوقعة بعین جالوت تبعهم بیبرس هذا، یقتل من وجده منهم، إلی حمص؛ ثم عاد فوافی الملک المظفّر قطز بدمشق، و کان وعده بنیابة حلب، فأعطاها قطز لصاحب الموصل، فحقد علیه بیبرس فی الباطن، و اتّفق علی قتله مع جماعة لمّا عاد الملک المظّفر إلی نحو الدیار المصریّة. و الذین اتّفقوا معه: بلبان الرّشیدیّ، و بهادر المعزّی، و بکتوت الجوکندار المعزیّ، و بیدغان الرّکنیّ، و بلبان الهارونیّ، و أنص الأصبهانیّ، و اتّفقوا الجمیع مع بیبرس علی قتل الملک المظفّر قطز؛ و ساروا معه نحو الدیار المصریّة إلی أن وصل الملک المظفّر قطز إلی القصیر، و بقی بینه و بین الصالحیّة مرحلة، و رحل العسکر طالبا الصالحیّة، و ضرب دهلیز السلطان بها، و اتّفق عند القصیر أن ثارت أرنب فساق المظفّر قطز، و ساق هؤلاء المتّفقون علی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۲

قتله معه، فلمّا أبعدوا و لم یبق مع المظفّر غیرهم، تقدّم إلیه رکن الدین بیبرس و شفع عنده فی إنسان فأجابه المظفّر، فأهوی بیبرس لیقبّل یده فقبض علیها، و حمل أنص علیه و قد أشغل بیبرس یده و ضربه أنص بالسیف، و حمل الباقون علیه و رموه عن فرسه و رشقوه بالنّشّاب إلی أن مات، ثم حملوا علی العسکر و هم شاهرون سیوفهم حتّی وصلوا إلی الدّهلیز السلطانیّ، فنزلوا و دخلوه و الأتابک علی باب الدهلیز فأخبروه بما فعلوا، فقال فارس الدین الأتابک: من قتله منکم؟

فقال بیبرس: أنا؛ فقال: یاخوند، اجلس فی مرتبة السلطنة فجلس؛ و استدعیت العساکر للحلف، و کان القاضی برهان الدین قد وصل إلی العسکر متلقّیا للملک المظفّر قطز، فاستدعی و حلّف العسکر للملک الظاهر بیبرس، و تمّ أمره فی السلطنة و أطاعته العساکر؛ ثم رکب و ساق فی جماعة من أصحابه حتّی وصل إلی قلعة الجبل فدخلها من غیر ممانع، و استقرّ ملکه. و کانت البلد قد زیّنت للملک المظفّر فاستمرّت الزینة، و کان الذی رکب معه من الصالحیّة إلی القلعة و هم خواصّه من خشداشیته، و هم: فارس الدین الأتابک، و بیسری، و قلاوون الألفیّ، و بیلیک الخازندار، و بلبان الرشیدیّ؛ ثم فی یوم الأحد سابع عشر ذی القعدة و هو صبیحة قتل المظفّر قطز؛ و هو أوّل یوم من سلطنة الظاهر بیبرس جلس بالإیوان من قلعة الجبل.

قلت: و لم یذکر أحد من المؤرّخین لبسه خلعة السلطنة الخلیفتی، و لعلّه اکتفی بالمبایعة و الحلف. انتهی.

و لمّا جلس الظاهر بالإیوان رسم أن یکتب إلی الأقطار بسلطنته؛ فأوّل من بدأ به الملک الأشرف صاحب حمص، ثم الملک المنصور صاحب حماة؛ ثم الأمیر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۳

مظفّر الدین صاحب صهیون ثم إلی الإسماعیلیّة، ثم إلی [الملک السعید المظفّر علاء الدین علیّ بن لؤلؤ] صاحب الموصل الذی صار نائب السلطنة بحلب، ثم إلی من فی بلاد الشام یعرّفهم بما جری ثم أفرج عمّن بالحبوس من أصحاب الجرائم؛ و اقرّ الصاحب زین الدین یعقوب بن الزّبیر علی الوزارة، و تقدّم بالإفراج عن الأجناد المحبوسین و الإنعام علیهم، و زیادة من رأی استحقاقه من الأمراء و خلع علیهم، و سیّر الأمیر جمال الدین آقوش المحمّدی بتواقیع للامیر سنجر الحلبی نائب دمشق، فتوجّه إلیه فوجده قد تسلطن بدمشق و دعا لنفسه، و حلّف الأمراء، و تلقّب بالملک المجاهد؛ فعظم ذلک علی الملک الظاهر بیبرس و أخذ فی إصلاح أمره معه و

الإحسان إلى خشداشيته البحريّة الصالحيّة؛ و أمّر أعيانهم. ثم إنّه أخرج الملك المنصور نور الدين عليّا ابن الملك المعزّ أيبك التّركمانيّ و أمّه و أخاه ناصر الدين قاقان من مصر إلى بلاد الأشكرى، و كانوا معتقلين بقلعة الجبل.

و كان بيبرس لمّا تسلطن لقّب نفسه الملك القاهر، فقال الوزير زين الدين يعقوب بن الزّبير، و كان فاضلا فى الأدب و الترسّل و علم التاريخ، فأشار بتغيير هذا اللّقب، و قال: ما لقّب به أحد فأفلح: لقّب به القاهر بن المعتضد، فلم تطل مدّته

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۴

و خلع من الخلافة و سمل، و لقّب به القاهر ابن صاحب الموصل فسمّ، فأبطل بيبرس اللّقب الأوّل، و تلقّب بالملك الظاهر.

و أمّا أمر دمشق ففى العشر الأخير من ذى القعدة أمر الأمير علم الدين سنجر الحلبيّ الذى تسلطن بدمشق بتجديد عمارة [قلعة] دمشق، و زفّت بالمغانى و الطبول و البوقات، و فرحت أهل دمشق بذلك، و حضر كبراء الدولة و خلع على الصّناع و النقباء، و عمل الناس فى البناء حتّى النساء؛ و كان يوم الشروع فى تجديدها يوما مشهودا، ثم فى اليوم الأوّل من العشر الأوّل من ذى الحجّة دعا الأمير علم الدين سنجر الحلبى الناس بدمشق إلى الحلف له بالسلطنة فأجابوه، و حضر الجند و الأكابر و حلفو له و لقّب بالملك المجاهد، و خطب له على المنابر، و ضربت السّكّة باسمه؛ و كاتب الملك المنصور صاحب حماة ليحلف له فامتنع، و قال: أنا مع من يملك الديار المصريّة كائنا من كان.

و لمّا صحّ عند التّتار قتل الملك المظفّر قطز- رحمه اللّه تعالى- و كان النائب ابن صاحب الموصل أساء السيرة فى الجند و الرعيّة، فاجتمع رأى الأمراء و الجند بحلب على قبضه و إخراجه من حلب، و تحالفوا على ذلك، و عيّنوا للقيام بالأمر الأمير حسام الدين الجوكنداريّ العزيزيّ، فبينا هم على ذلك وردت عليهم بطاقة نائب البيرة يخبر أنّ التّتار قاربوا البيرة لمحاصرتها، و استصرخ بهم لينجدوه بعسكر، و كان التّتار قد هدموا أبراج البيرة و أسوارها، و هى مكشوفة من جميع

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۵

جهاتها، فجرّد الملك السعيد ابن صاحب الموصل الذى هو نائب حلب عسكره إليها، و قدّم عليهم الأمير سابق الدين أمير مجلس الناصريّ، فحضر الأمراء عنده، و قالوا له: هذا العسكر الذى جرّدته لا يمكنه ردّ العدوّ، و نخاف أن يحصل النّشوب بيننا و بين العدوّ، و عسكرنا قليل فيصل العدوّ إلى حلب، و يكون ذلك سببا لخروجنا منها فلم يقبل منهم، فخرجوا من عنده و هم غضبانون، و سار العسكر المذكور إلى البيرة فى قلّة. فلّما وصلوا إلى عمق البيرة صادفوا التتار بجموعهم، فاقتتلوا قتالا شديدا و قصد سابق الدين البيرة، فتبعه التّتار و قتلوا من أصحابه جماعة كثيرة، و ما سلم منهم إلّا القليل؛ و ورد هذا الخبر لحلب فجفل أهل حلب إلى جهة القبلة و لم يبق بها إلّا القليل، و ندم الملك السعيد نائب حلب على مخالفة الأمراء، و قوى بذلك غضبهم عليه و قاطعوه، و وقعت بطاقة نائب البيرة، فيها: أنّ التّتار توجّهوا إلى ناحية منبج، فخرج نائب حلب و ضرب دهليزه بباب إله شرقيّ حلب، و بعد يومين وصل الأمير عزّ الدين أزدمر الدّاودار العزيزىّ، و كان قطز قد جعله نائبا باللّاذقيّة و جبلة، فقصده خشداشيته بحلب؛ فلمّا قرب ركبت العزيزيّة و الناصرية و التقوا به، فأخبرهم بأنّ الملك المظفّر قطز قتل، و أنّ ركن الدين بيبرس ملك الديار المصريّة، و أنّ سنجر الحلبيّ خطب لنفسه بدمشق، و نحن أيضا نعمل بعمل أولئك، و نقيم واحدا من الجماعة و نقبض على هذا (يعنى على

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۶

نائب حلب) و نقتصر على حلب و بلادها مملكة أستاذنا و ابن أستاذنا فأجابوه إلى ذلك و تقرّر بينهم: أنّه حال دخولهم إلى المخيّم يمضى إليه الأمراء: حسام الدين الجوكندارى، و بكتمر الساقى و أزدمر الدّوادار؛ و كان الملك السعيد نائب حلب نازلا بباب لا فى بيت القاضى، و هو فوق سطحه و العساكر حوله، فعند ما طلعوا إليه و حضروا عنده على السطح شرعت أعوانهم فى نهب و طاقه فسمع الضّجة فاعتقد أنّ التّتار قد كبست العسكر، ثم شاهد نهب العزيزيّة و الناصريّة لوطاقه، و وثب الأمراء الذين عنده ليقبضوا عليه، فطلب منهم الأمان على نفسه فأمّنوه و شرطوا عليه أن يسلّم إليهم جميع ما حصّله من الأموال، ثم نزلوا به إلى الدار و قصدوا الخزانة، فما

وجدوا فيها طائلا فهدّدوه، و قالوا له: أين الأموال التى حصّلتها؟ و طلبوا قتله، فقام إلى ساحة بستان فى الدار المذكورة و حفر و أخرج الأموال، و هى تزيد على أربعين ألف دينار، ففرّقت على الأمراء على قدر منازلهم، ثمّ رسموا عليه جماعة من الجند و سيّروه إلى قلعة حبسوه بها. ثمّ بعد أيّام قلائل دهم العدوّ حلب، فاندفع الأمير حسام الدين الجوكندارى المقدّم على عسكر حلب بمن معه إلى جهة دمشق، و دخلت التّتار حلب و أخرجوا من كان فيها إلى ظاهر حلب، و وضعوا السيف فيهم، فقتل بعضهم و فرّ بعضهم، و نزل العسكر الحلبىّ بظاهر حماة، فقام الملك المنصور بضيافتهم، ثمّ تقدّم التّتار إلى حماة، فلمّا قاربوا منها رحل صاحبها الملك المنصور و معه الجوكندارى بعساكر حلب إلى حمص، و نزل التّتار على حماة فامتنعت عليهم، فاندفعوا من حماة طالبين العسكر، و جفل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۷

الناس بين أيدهم، و خاف أهل دمشق خوفا شديدا، و أقاموا الجميع على حمص حتّى قدم إليهم التّتار فى أوائل المحرّم من سنة تسع و خمسين و ستمائة، و كانوا فى ستّة آلاف فارس، فخرج إليهم الملك المنصور صاحب حماة و الأشرف صاحب حمص و الجوكندارىّ العزيزىّ بعساكر حلب، و حملوا عليهم حملة رجل واحد فهزموهم و قتلوا منهم مقتلة عظيمة، و هرب الأمير بيدرا مقدّم التّتار فى نفر يسير، و كانت الوقعة عند قبر خالد بن الوليد- رضى اللّه عنه- ثم عاد التتار إلى حلب و فعلوا بأهلها تلك الأفعال القبيحة على عادتهم.

و أمّا الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة فإنّه كاتب أمراء دمشق يستميلهم إليه و يحضّهم على منابذة الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ و القبض عليه، فأجابوه إلى ذلك و خرجوا من دمشق منابذين لسنجر، و فيهم: الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ (أعنى أستاذ الملك الظاهر بيبرس المذكور) الذى قدّمنا من ذكره أنّ الملك الصالح نجم الدين أيّوب اشتراه منه. انتهى. و الأمير بهاء الدين بغدى فتبعهم الحلبىّ بمن بقى معه من أصحابه، فحاربوه فهزموه و ألجئوه إلى قلعة دمشق فأغلقها دونهم؛ و ذلك فى يوم السبت حادى عشر صفر من السنة. ثم خرج الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ تلك الليلة من القلعة و قصد بعلبك، فدخل قلعتها و معه قريب عشرين نفرا من مماليكه؛ فدخل الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ دمشق، و استولى عليها و حكم فيها نيابة عن الملك الظاهر بيبرس؛ ثم جهّز عسكرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۸

إلى بعلبكّ لحصار الحلبىّ و عليهم الأمير بدر الدين محمد بن رحال و كان من الشّجعان، و أمير آخر، فحال وصولهما إلى بعلبكّ دخلا المدينة و نزلا بالمدرسة النّوريّة، و كان الحلبىّ لمّا وصلها جعل عنده طائفة كبيرة من أهل محلّه مقدّمهم على بن عبور، فسيّر إليهم الأمير بدر الدين بن رحال و أفسدهم، فتدلّوا من القلعة ليلا و نزلوا إليه، فعند ذلك تردّدت المراسلات بين الحلبىّ و علاء الدين البندقدارىّ حتّى استقرّ الحال على نزول الحلبىّ و توجّهه إلى الملك الظاهر بيبرس بمصر، فخرج الحلبىّ من قلعة بعلبكّ راكبا [حصانه و] فى وسطه عدّته و فى قرابه قوسان و هو كالأسد، فجاء حتّى بعد عن القلعة، قدّم له بغلة فتحوّل إليها و قلع العدّة و ركبها، و سار حتّى وصل إلى دمشق و سار منها إلى مصر، فأدخل على الملك ليلا بقلعة الجبل، فقام إليه و اعتنقه و أدنى مجلسه منه و عاتبه عتابا لطيفا؛ ثم خلع عليه و رسم له بخيل و بغال و جمال و قماش و غير ذلك.

ثم التفت الملك الظاهر إلى إصلاح مملكته فخلع على الصاحب بهاء الدين على بن حنّا وزير شجرة الدّرّ بالوزارة، و ذلك فى شهر ربيع الاوّل من سنة تسع و خمسين، و هى أوّل ولايته للوزر. ثمّ حضر عند الظاهر شخص و أنهى إليه أنّ الأمير عزّ الدين الصّقلىّ يريد الوثوب على السلطان، و اتّفق معه الأمير علم الدين سنجر الغتمىّ و بهادر [المعزّىّ] و الشجاع بكتوت فقبض الملك الظاهر عليهم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۰۹

ثم تسلّم الملك الظاهر الكرك من نوّاب الملك المغيث فى هذه السنة. ثم قبض على الأمير بهاء الدين بغدى الأشرفىّ بدمشق و حمل إلى القاهرة و حبس بقلعة الجبل إلى أن مات.

ثم جهّز الملک الظاهر عسکرا لخروج التّتار من حلب فساروا إلیها و أخرجوهم منها علی أقبح وجه، کلّ ذلک و الدنیا بلا خلیفة من سنة ستّ و خمسین و ستمائة.

ففی هذه السنة کان وصول المستنصر بالله الخلیفة إلی مصر و بایعه الملک الظاهر بیبرس، و هو أبو القاسم أحمد، کان محبوسا ببغداد مع جماعة من بنی العبّاس فی حبس الخلیفة المستعصم، فلمّا ملکت التّتار بغداد أطلقوهم، فخرج المستنصر هذا إلی عرب العراق، و اختلط بهم إلی أن سمع بسلطنة الملک الظاهر بیبرس، وفد علیه مع جماعة من بنی مهارش، و هم عشرة أمراء مقدّمهم ابن قسا و شرف الدین ابن مهنّا، و کان وصول المستنصر إلی القاهرة فی ثامن شهر رجب من سنة تسع و خمسین و ستمائة؛ فرکب السلطان للقائه و معه الوزیر بهاء الدین بن حنّا و قاضی القضاة تاج الدین بن بنت الأعزّ و الشهود و الرؤساء و القرّاء و المؤذّنون و الیهود بالتوراة و النصاری بالإنجیل فی یوم الخمیس؛ فدخل من باب النّصر و شقّ القاهرة، و کان لدخوله یوم مشهود.

فلمّا کان یوم الاثنین ثالث عشر الشهر جلس السلطان الملک الظاهر و الخلیفة بالإیوان و أعیان الدولة بأجمعهم و قرئ نسب الخلیفة، و شهد عند القاضی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۰

بصحته فأسجل علیه بذلک و حکم به و بویع بالخلافة، و رکب من یومه و شقّ القاهرة فی وجوه الدولة و أعیانها، و کان أوّل من بایعه قاضی القضاة تاج الدین عبد الوهاب بن بنت الأعزّ عند ما ثبت نسبه عنده، ثم السلطان، ثم الشیخ عزّ الدین بن عبد السلام، ثم الأمراء و الوزراء علی مراتبهم. و المستنصر هذا هو الثامن و الثلاثون من خلفاء بنی العباس- رضی اللّه عنهم- و هو المستنصر بالله أبو القاسم أحمد الأسمر ابن الظاهر بأمر اللّه محمد ابن الناصر لدین اللّه أحمد ابن المستضیء الحسن ابن الخلیفة المستنجد بالله یوسف ابن الخلیفة المقتفی لأمر اللّه محمد ابن الخلیفة المستظهر بالله أحمد ابن الخلیفة المقتدی بأمر اللّه عبد اللّه ابن الأمیر محمد الذخیرة ابن الخلیفة القائم بأمر اللّه عبد اللّه ابن الخلیفة القادر بالله أحمد ابن الأمیر إسحاق ابن الخلیفة المقتدر بالله جعفر ابن الخلیفة المعتضد بالله أحمد ابن الأمیر طلحة الموفّق ابن الخلیفة المتوکّل علی اللّه جعفر ابن الخلیفة المعتصم بالله محمد ابن الخلیفة الرشید هارون ابن الخلیفة المهدی محمد ابن الخلیفة أبی جعفر المنصور عبد اللّه بن محمد بن علی بن عبد اللّه بن عبّاس الهاشمیّ العباسیّ البغدادیّ. و قد تقدم أنّ الناس کانوا بغیر خلیفة منذ قتل التّتار ابن أخیه الخلیفة المستعصم بالله فی أوائل سنة ست و خمسین و ستّمائة إلی یومنا هذا، فکانت مدة شغور الخلافة ثلاث سنین و نصفا و الناس بلا خلیفة. و کان المستنصر هذا جسیما و سیما شدید السّمرة عالی الهمّة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۱

شدید القوّة و عنده شجاعة و إقدام، و هو أخو الخلیفة المستنصر و لقّب بلقبه، و هذا لم تجربه العادة من أنّ خلیفة یلقّب بلقب خلیفة تقدّمه من أهل بیته.

و فی یوم الجمعة سابع عشر الشهر خرج الخلیفة المستنصر بالله و علیه ثیاب سود إلی الجامع بالقلعة و خطب خطبة بلیغة ذکر فیها شرف بنی العبّاس، ثم صلّی علی النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم. ثم فی مستهلّ شعبان من سنة تسع و خمسین المذکورة تقدّم الخلیفة بتفصیل خلعة سوداء و بعمل طوق ذهب و قید ذهب و بکتابة تقلید بالسلطنة للملک الظاهر بیبرس و نصب خیمة ظاهر القاهرة. فلمّا کان یوم الاثنین رابعه رکب الخلیفة و السلطان و الوزیر و القضاة و الأمراء و وجوه الدولة إلی الخیمة ظاهر القاهرة بقبّة النصر، فألبس الخلیفة السلطان الملک الظاهر بیبرس خلعة السلطنة بیده و طوّقه و قیّده، و صعد فخر الدین إبراهیم بن لقمان رئیس الکتّاب منبرا نصب له فقرأ التقلید و هو من إنشائه و بخطّه. ثم رکب السلطان بالخلعة و الطّوق و القید و دخل من باب النّصر و قد زیّنت القاهرة له، و حمل الصاحب بهاء الدین التقلید علی رأسه راکبا و الأمراء یمشون بین یدیه؛ فکان یوما یقصر اللسان عن وصفه. و نسخة التقلید:

«الحمد للّه الذی أضفی علی الإسلام ملابس الشّرف، و أظهر بهجة درره، و کانت خافیة، بما استحکم علیها من الصّدف، و شیّد ما و هی من علائه حتّی أنسی ذکر من

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۱۱۱

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۲

سلف، و قيّض لنصره ملوكا اتّفق عليهم من اختلف، أحمده على نعمته التى رتعت الأعين منها فى الرّوض الأنف، و ألطافه التى وقف الشكر عليها فليس له عنها منصرف؛ و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له شهادة توجب من المخاوف أمنا، و تسهّل من الأمور ما كان حزنا، و أشهد أنّ محمّدا عبده الذى جبر من الدّين وهنا، و رسوله الذى أظهر من المكارم فنونا لا فنّا، صلّى اللّه عليه و سلّم و على آله الذين أصبحت مناقبهم باقية لا تفنى، و أصحابه الذين أحسنوا فى الدّين فاستحقّوا الزيادة بالحسنى. و بعد: فإنّ أولى الأولياء بتقديم ذكره، و أحقّهم أن يصبح القلم راكعا و ساجدا فى تسطير مناقبه و برّه، من سعى فأضحى سعيد الجدّ متقدّما، و دعا إلى طاعته فأجاب من كان منجدا و متهما، و ما بدت يد فى المكرمات إلّا كان لها زندا و معصما، و لا استباح بسيفه حمى و غى إلا أضرم منه نارا و أجراه دما. و لمّا كانت هذه المناقب الشريفة مختصّة بالمقام العالى المولوىّ السلطانىّ الملكىّ الظاهرىّ الرّكنىّ- شرّفه اللّه و أعلاه- ذكرها الديوان العزيز النّبوىّ الإمامىّ المستنصرىّ- أعزّ اللّه سلطانه- تنويها بشريف قدره، و اعترافا بصنعه الذى تنفد العبارة المسهبة و لا تقوم بشكره؛ و كيف لا و قد أقام الدولة العبّاسيّة بعد أن أقعدتها زمانة الزمان، و أذهبت ما كان لها من محاسن و إحسان؛ و عتب دهرها المسىء لها فأعتب، و أرضى عنها زمنها و قد كان صال عليها صولة مغضب؛ فأعاده لها سلما بعد أن كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۳

[عليها] حربا، و صرف إليها اهتمامه فرجع كلّ متضايق من أمورها واسعا رحبا؛ و منح أمير المؤمنين عند القدوم عليه حنوّا و عطفا، و أظهر من الولاء رغبة فى [ثواب] اللّه ما لا يخفى؛ و أبدى من الاهتمام بأمر البيعة أمرا لو رامه غيره لامتنع عليه، و لو تمسّك بحبله متمسّك لانقطع به قبل الوصول إليه؛ و لكن اللّه ادّخر هذه الحسنة ليثقل بها [فى] الميزان ثوابه، و يخفّف بها يوم القيامة حسابه، و السعيد من خفّف حسابه! فهذه منقبة أبى اللّه إلّا أن يخلّدها فى صحيفة صنعه، و مكرمة قضت لهذا البيت الشريف بجمعه، بعد أن حصل الإياس من جمعه. و أمير المؤمنين يشكر لك هذه الصنائع، و يعترف أنّه لو لا اهتمامك لاتّسع الخرق على الراقع؛ و قد قلّدك الديار المصريّة و البلاد الشاميّة، و الديار بكريّة، و الحجازيّة و اليمنيّة و الفراتيّة؛ و ما يتجدّد من الفتوحات غورا و نجدا؛ و فوّض أمر جندها و رعاياها إليك حين أصبحت بالمكارم فردا». ثم أخذ فى آخر التقليد يذكر فضل الجهاد و الرفق بالرعيّة و طوّل فى الكلام إلى الغاية. و هذا الذى ذكرناه من نسخة التقليد هو المراد.

ثم إنّ الملك الظاهر ولّى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ نيابة حلب لمّا بلغه أن البرنلى تغلّب على حلب، و سيّر معه عسكرا فسار إليها الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ، و دخل إليها و ملكها و خرج منها البرنلى و توجّه إلى الرّقّة؛ ثم حشد و جمع العساكر و أخذ البيرة، ثمّ عاد إلى حلب و أخرج منها الحلبىّ بعد أمور و وقائع جرت بينهم.

فلمّا بلغ الملك الظاهر ذلك عزم على التوجّه إلى البلاد الشاميّة، و برز من القاهرة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۴

و معه الخليفة المستنصر و أولاد صاحب الموصل، و كان خروجهم الجميع من القاهرة فى تاسع عشر شهر رمضان بعد أن رتّب السلطان الأمير عزّ الدين أيدمر الحلبى نائب السلطنة بقلعة الجبل؛ و الصاحب بهاء الدين بن حنّا مدبر الأمور، و خرج مع السلطان العساكر المصريّة و أقام ببركة الجبّ إلى عيد الفطر؛ ثم سافر فى ثالث شوّال بعد ما عزل قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ عن القضاء ببرهان الدين خضر السّنجارىّ، و سار السلطان حتّى دخل دمشق فى يوم الاثنين سابع ذى القعدة، و قدم عليه الملك الأشرف صاحب حمص فخلع عليه و أعطاه ثمانين ألف دينار و حملين ثيابا، و زاده على ما بيده من البلاد تلّ باشر؛ ثم قدم عليه الملك المنصور صاحب حماة فخلع عليه و أعطاه ثمانين ألف درهم و حملين ثيابا، و كتب له توقيعا ببلاده التى بيده؛ ثم جهّز السلطان الخليفة و أولاد صاحب الموصل صحبته بتجمّل زائد و بركك يضاهى برك السلطان من الأطلاب و الخيول و الجمال و أرباب

الوظائف من الكبير إلى الصغير؛ قيل: إنّ الذى غرمه السلطان الملك الظاهر على تجهيز الخليفة و أولاد صاحب الموصل فوق الألف ألف دينار عينا.

ثم جهّز السلطان الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ لنيابة السلطنة بحلب، و أيدكين هذا هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة المقدّم ذكره، فسبحان من يعزّ و يذلّ! و بعث السلطان مع البندقدارىّ عسكر المحاربة البرنلى و صحبته أيضا الأمير بلبان الرّشيدىّ فخرجا من دمشق فى منتصف ذى القعدة؛ فلمّا وصلا حماة خرج البرنلى و قصد حرّان فتبعه الرشيدىّ بالعساكر، و دخل علاء الدّين البندقدارىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۵

إلى حلب؛ ثم عاد الرّشيدىّ إلى أنطاكية ثم رحل عنها بعد ما حاصرها مدّة لمّا بلغه عود الملك الظاهر إلى مصر.

و أمّا الخليفة فإنّه لمّا توجّه نحو العراق و معه أولاد صاحب الموصل، و هم:

الملك الصالح و ولده علاء الدين و الملك المجاهد سيف الدين صاحب الجزيرة، و الملك المظفّر علاء الدّين صاحب سنجار، و الملك الكامل ناصر الدين محمد؛ فلمّا وصلوا صحبة الخليفة إلى الرّحبة وافوا عليها الأمير يزيد بن علىّ بن حديثة أمير آل فضل و أخاه الأخرس فى أربعمائة فارس من العرب. و فارق الخليفة أولاد صاحب الموصل من الرّحبة؛ و كان الخليفة طلب منهم المسير معه فأبوا، و قالوا: ما معنا مرسوم بذلك، و أرسلوا معه من مماليك والدهم نحو ستّين نفرا فانضافوا إليه، و لحقهم الأمير عز الدين أيدكين من حماة و معه ثلاثون فارسا. و رحل الخليفة بمن معه من الرّحبة بعد ما أقام بها ثلاثة أيّام، و نزل مشهد علىّ- رضى اللّه عنه- ثم رحل إلى قائم عنقه، ثم إلى عانة فوافوا الإمام الحاكم بأمر اللّه العبّاسىّ على عانة من ناحية الشرق و معه نحو سبعمائة فارس من التّركمان. و كان البرنلى قد جهّزه من حلب، فبعث الخليفة المستنصر بالله إليهم و استمالهم؛ فلمّا جاوزوا الفرات فارقوا الحاكم فبعث إليه المستنصر بالله يطلبه إليه و يؤمّنه على نفسه و يرغّب إليه فى اجتماع الكلمة،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۶

فأجاب و رحل إليه، فوفّى إليه المستنصر و أنزله معه فى الدّهليز. و كان الحاكم لمّا نزل على عانة امتنع أهلها منه، و قالوا: قد بايع الملك الظاهر خليفة و هو واصل فما نسلّمها إلّا إليه؛ فلمّا وصل المستنصر بالله إليها نزل إليه نائبها و كريم الدين ناظرها و سلّماها إليه و حملا له إقامة، فأقطعها الخليفة للأمير ناصر الدين أغلمش أخى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ. ثم رحل الخليفة عنها إلى الحديثة ففتحها أهلها له، فجعلها خاصّا له، ثم رحل عنها و نزل على شطّ قرية الناووسة؛ ثم رحل عنها قاصدا هيت، و لمّا اتّصل مجىء الخليفة المستنصر بالله بقرابغا مقدّم عسكر التّتار بالعراق، و بهادر علىّ الخوارزمىّ شحنة بغداد و خرج قرابغا بخمسة آلاف فارس من التّتار على الشطّ العراقى و قصد الأنبار، فدخلها إغارة؛ و قتل جميع من فيها، ثم ردفه الأمير بهادر علىّ الخوارزمىّ بمن بقى ببغداد من عساكر التّتار، و كان قد بعث ولده إلى هيت متشوّقا لما يرد من أخبار المستنصر، و قرّر معه أنّه إذا اتّصل به خبره بعث بالمراكب إلى الشطّ الآخر و أحرقها؛ فلمّا وصل الخليفة هيت أغلق أهلها الباب دونه، فنزل عليها و حاصرها حتّى فتحها، و دخلها فى التاسع و العشرين من ذى الحجّة، و نهب من فيها من اليهود و النّصارى؛ ثم رحل عنها و نزل الدور و بعث طليعة من عسكره مقدّمها الأمير أسد الدين محمود ابن الملك المفضّل موسى، فبات تجاه الأنبار تلك اللّيلة، و هى ليلة الأحد ثالث المحرّم من سنة ستين و ستمائة؛ فلمّا رأى قرابغا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۷

الطليعة أمر من معه من العساكر بالعبور إليها فى المخائض و المراكب ليلا، فلمّا أسفر الصبح أفرد قرابغا من معه من عسكر بغداد ناحية.

و أمّا الخليفة فإنّه رتّب اثنى عشر طلبا، و جعل التّركمان و العربان ميمنة و ميسرة و باقى العساكر قلبا؛ ثم حمل بنفسه مبادرا و حمل من

كان معه فى القلب فأنكسر بهادر، و وقع معظم عسكره فى الفرات؛ ثم خرج كمين من التّتار، فلمّا رآه التّركمان و العرب هربوا، و أحاط الكمين بعسكر الخليفة فصدق المسلمون الحملة، فأفرج لهم التّتار، فنجا الحاكم و شرف الدين بن مهنّا و ناصر الدين بن صيرم و بوزنا و سيف الدين بلبان الشّمسى و أسد الدين محمود و جماعة من الجند نحو الخمسين نفرا، و قتل الشريف نجم الدين [جعفر] أستادار الخليفة، و فتح الدين بن الشهاب أحمد، و فارس الدين [أحمد] بن أزدمر اليغمورىّ، و لم يوقع للخليفة المستنصر على خبر، فقيل إنّه: قتل فى الوقعة و عفّى أثره؛ و قيل: إنّه نجا مجروحا فى طائفة من العرب فمات عندهم؛ و قيل: سلم و أضمرته البلاد.

و أمّا السلطان الملك الظاهر بيبرس فإنّه لمّا عاد إلى مصر عاد بعده بلبان الرشيدىّ فى أثره و عاد البرنلى إلى حلب و دخلها و ملكها، فجرّد إليه الملك الظاهر عسكرا ثانيا، عليهم الأمير شمس الدين سنقر الرومىّ، و أمره بالمسير إلى حلب؛ ثمّ إلى الموصل و كتب إلى الأمير علاء الدين طيبرس نائب السلطنة بدمشق و إلى الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ يأمرهما أن يكونا معه بعسكرهما حيث توجّه يتوجّه الجميع، فسار الجميع إلى جهة حلب، فخرج البرنلى من حلب و تسلّم نوّاب أيدكين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۸

البندقدارىّ حلب. ثم جاء مرسوم السلطان بتوجّه البندقدارىّ إلى حلب، و يعود طبيرس إلى دمشق و يعود سنقر الرومىّ إلى مصر، فعاد الرومىّ إلى القاهرة. فلمّا اجتمع بالسلطان أوغر خاطره على طبيرس، فكان ذلك سببا للقبض على طبيرس المذكور و حبسه بالقاهرة مدّة سنين.

ثم وصل إلى الديار المصريّة فى السابع و العشرين من شهر ربيع الآخر الإمام الحاكم بأمر اللّه أبو العبّاس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن ابن الأمير أبى بكر بن الحسن بن علىّ القبّى ابن الخليفة المسترشد بالله أبى منصور الفضل ابن الخليفة المستظهر بالله أحمد العبّاسىّ.

قلت: و من المستظهر يعرف نسبه من ترجمة المستنصر و غيره من أقاربه إلى العبّاس. و وصل صحبته شمس الدين صالح بن محمد بن أبى الرشيد الأسدىّ الحاكمىّ المعروف بابن البنّاء و أخوه محمد و نجم الدين محمد، و احتفل الملك الظاهر بيبرس بلقائه و أنزله بالبرج الكبير داخل قلعة الجبل، و رتّب له ما يحتاج إليه، و وصل معه ولده. و بايعه بالخلافة فى يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى و ستين بقلعة الجبل. و كانت المسلمون بلا خليفة منذ استشهد الخليفة المستنصر بالله فى أوائل

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۱۹

السنة الحالية، و جلس السلطان بالإيوان لبيعته و حضر القضاة و الأعيان و ارباب الدولة، و قرئ نسبه على قاضى القضاة و شهد عنده جماعة بذلك، فأثبته و مدّ يده و بايعه بالخلافة، ثم بايعه السلطان ثم الوزير ثم الأعيان على طبقاتهم، و خطب له على المنابر، و كتب السلطان إلى الأقطار بذلك و أن يخطبوا باسمه، و أنزل إلى مناظر الكبش فسكن بها إلى أن مات فى ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى و سبعمائة و دفن بجوار السيّدة نفيسة، و هو أوّل خليفة مات بالقاهرة من بنى العبّاس حسب ما يأتى ذكره- إن شاء اللّه تعالى- فى محلّه بأوسع من هذا.

و أمّا الملك الظاهر فإنّه تجهّز للسفر إلى البلاد الشاميّة، و خرج من الديار المصريّة فى يوم السبت سابع شهر ربيع الآخر من سنة إحدى و ستين و ستمائة.

و فى هذه السّفرة قبض على الملك المغيث صاحب الكرك الذى كان معه تلك الأيّام على قتال المصريين و غيرهم، و لما قبض عليه الظاهر بعث به إلى قلعة الجبل صحبة الأمير آق سنقر الفارقانىّ، فوصل به إلى القاهرة فى يوم الأحد خامس عشر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۰

جمادى الآخرة، فكان ذلك آخر العهد به. ثمّ عاد الملك الظاهر إلى الديار المصريّة فى يوم السبت سادس عشر شهر رجب. و لمّا دخل إلى القاهرة قبض على الأمير بلبان الرشيدى و أيبك الدّمياطى و آقوش البرنلى.

ثم فی هـذه السنـة شرع الملک الظاهر فی عمارة المدرسـة الظاهريّة بين القصـرين، و تمّت فی أوائل سـنة اثنتين و ستين و سـتمائة. و رتّب فی تدريس الإيوان القبلیّ القاضـی تقیّ الدين محمد بن الحسـين بن رزين الشافعی، و فی تدريس الإيوان الذی يواجهه القاضی مجـد الـدين عبـد الرحمن بن العـديم، و الحافظ شـرف الـدين الدّمياطی لتدريس الحديث فی الإيوان الشـرقیّ، و الشـيخ كمال الدين المحلّی فی الإيوان [الذی] يقابله

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۱

لإقراء القرآن بالروايات و الطرق؛ ثم رتّب جماعـة يقرءون السبع بهذا الإيوان أيضا بعد صـلاة الصـبح، و وقف بها خزانة كتب، و بنی إلی جانبها مكتبا لتعلم الأيتام و أجری عليهم الخبز فی كلّ يوم، و كسوة الفصـلين و سـقاية تعين علی الطّهارة؛ و جلس للتدريس بهذه المدرسـة يوم الأحـد ثالث عشـر صـفر من سـنة اثنين و ستين، و حضـر الصاحب بهاء الدين بن حنّا، و الأمير جمال الدين بن يغمور؛ و الأمير جمال الدين أيدغدی العزيزیّ و غيرهم من الأعيان.

و فی سـنة إحـدی و ستين أيضـا تسـلّم الأمير بيليک العلائیّ حمص بعـد وفاة صاحبها الملک الأشـرف الأيّوبی. ثم أمر الملک الظاهر أيضا بإنشاء خان فی القـدس الشـريف للسبيل، و فوّض بناءه و نظره إلی الأمير جمال الـدين محمـد بن نهار؛ و لمّا تمّ الخان المـذكور أوقف عليه قيراطا و نصـفا بالمطر، و ثلث و ربع قرية المشيرفة من بلد بصری، و نصف قرية لبنی، يصرف ريع ذلک فی خبز و فلوس و إصلاح نعال من يرد عليه من المسافرين المشاة. و بنی له طاحونا و فرنا، و استمر ذلک كلّه.

ثم ولّی الملک الظاهر فی سـنة ثلاث و ستين و سـتمائة فی كلّ مذهب قاضـيا مستقلّا بذاته، فصارت قضاة القضاة أربعة، و سبب ذلک كثرة توقّف قاضـی القضاة تاج الـدين عبد الوهاب بن بنت الأعزّ فی تنفيذ الأحكام، و كثرة الشـكاوی منه بسـبب ذلک. فلمّا كان يوم الاثنين ثانی عشر ذی الحجّة شكا القاضی المذكور الأمير جمال الدين أيدغدی العزيزیّ فی المجلس، و كان يكره القاضی تاج الدين

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۲

المـذكور؛ فقـال أيدغـدی بحضـرة السـلطان: يـا تاج الـدين، نترک مـذهب الشافعیّ لک، و نولّی معک من كلّ مـذهب قاضـيا، فمال الملک الظاهر إلی كلامه، و كان لأيدغـدی منه محلّ عظيم؛ فولّی السـلطان الشـيخ صـدر الدين سـليمان الحنفی قاضـی قضاة الحنفيّة بالديار المصـريّة، و كان للقضاة الحنفيّة أزيد من ثلثمائة سـنة من أوّل الدولة الفاطميّة قد بطل حكمهم من ديار مصـر اسـتقلالا عند ما أبطـل الفاطميّون القضاة من سائر المـذاهب، و أقاموا قضاة الشّـيعة بمصـر. انتهی. و ولیّ القاضـی شـرف الـدين عمر السّـبكیّ المالكیّ قاضـی قضاة المالكيّة. و ولّی الشـيخ شمس الدين محمد ابن الشيخ العماد الحنبلی قاضی القضاة الحنابلة، و فوّض لكلّ واحد منهم أن يستنيب بالأعمـال و غيرهـا؛ و أبقی علی تاج الـدين النّظر فی مال الأيتام، و كتب لهم التقاليـد و خلع عليهم؛ ثم فعل ذلک ببلاد الشام كلّه.

قلت: و قد جمعت أسماء من ولی القضاء من المذاهب الأربعة من يوم رتّب الملک الظاهر بيبرس القضاة (أعنی من سنة ثلاث و ستين و سـتمائة) إلی يومنا هـذا علی الترتيب علی سبيل الاختصار لتكثر الفائـدة فی هذا الكتاب، و إن كان يأتی ذكر غالبهم فی الوفيات فی حوادث الملوک علی عادة هذا الكتاب، فذكرهم هنا جملة أرشق و أهون علی من أراد ذلک، و اللّه المستعان. فنقول:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۳

[ذكر قضاة الشافعيّة]

كان قاضـی قضاة الشافعيّـة يوم ذاک القاضـی تاج الـدين عبـد الوهاب، و هی ولايته الثانية؛ و توفّی سـنة خمس و ستين و سـتمائة. ثم القاضی تقیّ الدين محمد بن رزين العامریّ سنة خمس و ستين و ستمائة، و مولده فی شعبان سنة ثلاث و ستمائة، و توفّی ثالث رجب سنة ثمانين و سـتمائة. ثم القاضـی صدر الدين عمر بن عبد الوهاب بن بنت الأعزّ سـنة ثمان و سـبعين و سـتمائة. ثم أعيد القاضی تقیّ

الدين محمد بن رزين سنة تسع و سبعين و ستمائة. ثمّ القاضى وجيه الدين عبد الوهّاب البهنسىّ سنة ثمانين و ستمائة. ثم القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن ابن القاضى تاج الدين عبد الوهّاب بن بنت الأعزّ سنة خمس و ثمانين و ستمائة. ثم القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه بن جماعة الحموىّ الكنانىّ سنة تسعين و ستمائة. ثم أعيد القاضى تقىّ الدين عبد الرحمن بن بنت الأعزّ فى صفر سنة ثلاث و تسعين و ستمائة. ثم ولى القاضى تقىّ الدين محمد بن على بن دقيق العيد سنة خمس و تسعين و ستمائة، و مولده فى شعبان سنة خمس و عشرين و ستمائة، و توفّى سنة اثنتين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموىّ فى سنة أربع و سبعمائة. ثمّ ولى القاضى جمال الدين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۴

سليمان بن عمر الزّرعىّ سنة عشر و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة سنة إحدى عشرة و سبعمائة. ثم ولى القاضى جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزوينىّ سنة سبع و عشرين و سبعمائة، و توفّى سنة تسع و ثلاثين و سبعمائة. ثم ولى القاضى عزّ الدين عبد العزيز ابن القاضى بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الحموىّ سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بهاء الدين عبد اللّه [بن عبد الرحمن] ابن عقيل سنة تسع و خمسين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى عزّ الدين عبد العزيز بن جماعة سنة تسع و خمسين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بهاء الدين محمد أبو البقاء بن عبد البرّ السّبكىّ فى سنة ست و ستين و سبعمائة. ثم ولى القاضى برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحيم [بن محمد بن إبراهيم بن سعد اللّه] بن جماعة سنة ثلاث و سبعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى بدر الدين محمد بن بهاء الدين محمد بن عبد البرّ السّبكىّ فى صفر سنة تسع و سبعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى برهان الدين إبراهيم بن جماعة سنة إحدى و ثمانين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السّبكىّ فى صفر سنة أربع و ثمانين و سبعمائة. ثم ولى القاضى ناصر الدين محمد [بن عبد الدائم ابن محمد بن سلامة] ابن بنت الميلق فى شعبان سنة تسع و ثمانين و سبعمائة، و امتحن و عزل. ثم ولى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم السلمىّ المناوىّ فى ذى القعدة سنة إحدى و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۵

السّبكىّ سنة إحدى و تسعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى عماد الدين أحمد الكركىّ فى رجب [سنة اثنتين و تسعين، ثم عزل فى ذى الحجّة] سنة أربع و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوىّ فى شعبان سنة خمس و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى بدر الدين محمد بن أبى البقاء السّبكىّ فى شهر ربيع الآخر سنة ست و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين محمد ابن إبراهيم المناوىّ فى شعبان سنة سبع و تسعين و سبعمائة. ثم ولى القاضى تقىّ الدين الزّبيرىّ فى جمادى الأولى سنة تسع و تسعين و سبعمائة. ثم أعيد القاضى صدر الدين المناوىّ فى شهر رجب سنة إحدى و ثمانمائة. ثم ولى القاضى ناصر الدين الصّالحىّ فى سلخ شعبان سنة ثلاث و ثمانمائة. ثم ولى القاضى جلال الدين عبد الرحمن بن عمر ابن رسلان بن نصير البلقينىّ فى جمادى الأولى سنة أربع و ثمانمائة فى حياة والده.

ثم أعيد القاضى ناصر الدين الصالحى فى شوّال سنة خمس و ثمانمائة، و مات فى المحرّم سنة ست و ثمانمائة. ثم ولى القاضى شمس الدين محمد الإخنائىّ فى شهر اللّه المحرّم سنة ستّ و ثمانمائة. ثم أعيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ فى شهر ربيع الأوّل سنة ستّ و ثمانمائة، و مولده سنة إحدى و ستين و سبعمائة؛ و هكذا حكى لى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۶

من لفظه،- رحمه اللّه- و توفّى بالقاهرة فى شوّال سنة أربع و عشرين و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى شمس الدين محمّد الإخنائىّ فى شهر شعبان سنة ستّ و ثمانمائة.

ثم أعيد القاضى جلال الدين عبد الرحمن البلقينىّ فى ذى الحجّة من سنة ست و ثمانمائة.

ثم أعید القاضی شمس الدین الإخنائی فی ثانی عشرین جمادی الأولی سنة سبع و ثمانمائة. ثم أعید القاضی جلال الدین البلقینیّ فی ثالث عشر ذی القعدة سنة سبع و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شمس الدین محمد الإخنائی فی حادی عشر صفر سنة ثمان و ثمانمائة. ثم أعید القاضی جلال الدین البلقینیّ فی خامس شهر ربیع الأوّل سنة ثمان و ثمانمائة، و هی ولایته الخامسة، و لم یزل فی هذه المرة قاضیا إلی أن توجّه صحبة الملک الناصر فرج إلی الشام سنة أربع عشرة و ثمانمائة. ثم عزل بالقاضی شهاب الدین أحمد الباعونیّ بدمشق فی المحرّم سنة خمس عشرة و ثمانمائة. ثم أعید القاضی جلال الدین البلقینیّ المذکور فی أوّل صفر من سنة خمس عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ فی القضاء إلی آخر جمادی الأولی سنة إحدی و عشرین و ثمانمائة. ثم عزل بالقاضی شمس الدین محمد الهرویّ فی سلخ جمادی الأولی سنة إحدی و عشرین و ثمانمائة.

ثم أعید القاضی جلال الدین البلقینیّ فی شهر ربیع الأوّل سنة اثنتین و عشرین و ثمانمائة، و استمرّ إلی أن مات فی شوّال کما تقدّم ذکره.

قلت: و قاضی القضاة جلال الدین المذکور هو صهری و زوج کریمتی، و مات عنها. رحمهما اللّه تعالی و عفا عنهما.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۷

ثم ولی القاضی ولیّ الدین أحمد ابن الحافظ عبد الرحیم بن الحسین العراقیّ فی شوّال سنة أربع و عشرین و ثمانمائة. ثم ولی القاضی علم الدین صالح بن عمر البلقینیّ فی یوم السبت سادس ذی الحجّة سنة خمس و عشرین و ثمانمائة. ثم ولی القاضی شهاب الدین أحمد بن علیّ بن حجر فی سابع عشرین المحرّم سنة سبع و عشرین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شمس الدین الهرویّ فی سابع ذی القعدة سنة سبع و عشرین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شهاب الدین أحمد بن حجر فی ثانی رجب سنة ثمان و عشرین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی علم الدین صالح البلقینیّ فی خامس عشرین صفر سنة ثلاث و ثلاثین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شهاب الدین أحمد بن حجر فی رابع عشرین جمادی الأولی سنة أربع و ثلاثین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی علم الدین صالح البلقینیّ فی خامس شوّال سنة أربعین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شهاب الدین أحمد بن حجر فی یوم الثلاثاء سادس شوّال سنة إحدی و أربعین و ثمانمائة.

ثم ولی القاضی شمس الدین محمد القایاتیّ فی یوم الخمیس رابع عشر المحرّم سنة تسع و أربعین و ثمانمائة، و مات فی ثامن عشرین المحرّم سنة خمسین و ثمانمائة- رحمه اللّه تعالی- ثم أعید القاضی شهاب الدین أحمد بن حجر فی خامس صفر سنة خمسین و ثمانمائة.

ثم أعید القاضی علم الدین صالح البلقینیّ فی یوم السبت مستهلّ سنة إحدی و خمسین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۸

و ثمانمائة. ثم ولی القاضی ولیّ الدین محمد السّفطیّ فی یوم الخمیس خامس عشر شهر ربیع الأوّل سنة إحدی و خمسین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی شهاب الدین أحمد بن حجر فی ثامن شهر ربیع الآخر سنة اثنتین و خمسین و ثمانمائة، ثم عزل نفسه و مات معزولا- رحمه اللّه تعالی-. ثم أعید القاضی علم الدین صالح البلقینیّ فی سادس عشر جمادی الآخرة سنة اثنتین و خمسین و ثمانمائة. ثم ولی القاضی شرف الدین یحیی المناویّ فی یوم الاثنین ثالث عشر رجب سنة ثلاث و خمسین و ثمانمائة. ثم أعید القاضی علم الدین صالح البلقینیّ فی یوم السبت ثامن عشرین صفر سنة سبع و خمسین و ثمانمائة.

ذکر القضاة الحنفیّة

فالذی ولی أوّلا قاضی القضاة صدر الدین سلیمان. ثمّ من بعده قاضی القضاة معزّ الدین النّعمان بن الحسن [بن یوسف] إلی أن توفّی فی سابع عشر شعبان سنة اثنتین و تسعین و ستمائة. ثم ولی قاضی القضاة شمس الدین أحمد السّروجیّ فاستمرّ إلی أن تسلطن الملک المنصور لاچین عزله. ثم ولی قاضی القضاة حسام الدین الرازیّ فاستمرّ إلی أن قتل لاچین، نقل إلی قضاء دمشق سنة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۲۹

ثمان و تسعین. ثم أعید شمس الدین السّروجیّ، ثمّ عزل أوّل شهر ربیع الآخر سنة عشر و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة شمس الدین محمد الحریریّ إلی أن مات یوم السبت رابع جمادی الآخرة- رحمه اللّه- سنة ثمان و عشرین و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة برهان الدین إبراهیم بن عبد الحقّ إلی أن عزل یوم الأحد ثامن عشر جمادی الآخرة سنة ثمان و ثلاثین و سبعمائة. ثم ولی بعده قاضی القضاة حسام الدین الغوریّ إلی أن کانت واقعة الأمیر قوصون نهبوا الرسل و العامّة بیته و طلبوه لیقتلوه فهرب. ثم ولی بعده قاضی القضاة زین الدین عمر البسطامیّ فی سنة اثنتین و أربعین و سبعمائة إلی أن عزل فی سنة ثمان و أربعین و سبعمائة. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة علاء الدین الترکمانیّ فی جمادی منها إلی أن توفّی عاشر المحرّم سنة خمسین. فولی بعده ولده قاضی القضاة جمال الدین عبد اللّه ابن الترکمانیّ إلی أن مات فی شعبان سنة تسع و ستین و سبعمائة. فولی بعده قاضی القضاة سراج الدین عمر الهندیّ إلی أن مات فی شهر رجب سنة ثلاث و سبعین و سبعمائة، ثم ولی بعده قاضی القضاة صدر الدین بن جمال الدین الترکمانیّ إلی أن

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۰

مات فی ذی القعدة سنة ست و سبعین. فولیها بعده قاضی القضاة نجم الدین بن الکشک، طلب من دمشق فی المحرّم سنة سبع و سبعین و سبعمائة، ثم عزل عنها.

و تولی من بعده قاضی القضاة صدر الدین علیّ بن أبی العز الأذرعیّ، ثم اعتفی عنها.

فتولّاها قاضی القضاة شرف الدین أبو العبّاس أحمد [بن علیّ] بن منصور فی سنة سبع و سبعین، فاستمرّ إلی سادس عشرین شهر رجب عزل. ثم تولّاها بعده قاضی القضاة جلال الدین جار اللّه، فاستمر قاضیا إلی أن مات فی یوم الاثنین رابع عشر شهر رجب سنة اثنتین و ثمانین و سبعمائة. فتولی بعده قاضی القضاة صدر الدین محمد بن علیّ بن منصور فی شهر رمضان سنة اثنتین و ثمانین و سبعمائة، فاستمرّ إلی أن مات فی شهر ربیع الأوّل سنة ستّ و ثمانین و سبعمائة. فتولّاها بعده قاضی القضاة شمس الدین محمد بن أحمد بن أبی بکر الطّرابلسیّ، فاستمرّ إلی بعد فتنة الأتابک یلبغا الناصریّ و منطاش مع الظاهر برقوق سنة اثنتین و تسعین و سبعمائة عزل عنها. ثم تولّاها قاضی القضاة مجد الدین إسماعیل بن إبراهیم [بن محمد بن علیّ بن موسی] الکنانیّ، أقام فیها قلیلا ثمّ عزل. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة جمال الدین محمود [بن محمد بن علیّ بن عبد اللّه] القیصریّ العجمیّ مضافا لنظر

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۱

الجیش، فاستمرّ إلی أن مات فی لیلة الأحد سابع شهر ربیع الأوّل سنة تسع و تسعین و سبعمائة. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة شمس الدین الطّرابلسیّ ثانیا فی الشهر و السنة، فاستمرّ إلی أن مات فی آخر السنة المذکورة. و تولّی بعده قاضی القضاة جمال الدین یوسف بن موسی الملطیّ الحلبیّ فی یوم الخمیس العشرین من شهر ربیع الآخر [سنة ثمانمائة]، طلب من حلب و استمرّ إلی أن مات فی لیلة الاثنین تاسع عشر شهر ربیع الآخر سنة ثلاث و ثمانمائة. و تولّاها من بعده قاضی القضاة أمین الدین عبد الوهّاب ابن القاضی شمس الدین الطرابلسیّ فی یوم الخمیس ثانی عشر جمادی الآخرة من السنة، فاستمرّ إلی سادس عشرین شهر رجب سنة خمس و ثمانمائة، عزل. فتولّاها من بعده قاضی القضاة کمال الدین عمر بن العدیم الحلبی، و استمرّ إلی أن مات فی لیلة السبت ثانی عشر جمادی الآخرة سنة إحدی عشرة و ثمانمائة، و مولده بحلب سنة إحدی و سبعین و سبعمائة. فتولّاها من بعده ابنه القاضی ناصر الدین محمد فی یوم الاثنین رابع عشر الشهر المذکور مضافا لمشیخة الشّیخونیّة، و استمرّ إلی أن صرف. و أعید القاضی أمین الدین الطرابلسی ثانیا فی رابع عشرین

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۲

شهر رجب من سنة إحدی عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ القاضی أمین الدین إلی سابع المحرّم من سنة اثنتی عشرة و ثمانمائة صرف. و

أعید قاضی القضاة ناصر الدین ابن العدیم ثانیا؛ و استقرّ القاضی أمین الدین الطرابلسیّ فی مشیخة الشّیخونیّة عوضا عن ناصر الدین بن العدیم المذکور.

قلت: و ناصر الدین المذکور هو صهری زوج کریمتی. انتهی.

و استمرّ ناصر الدین بن العدیم إلی أن عزل، فتولّاها قاضی القضاة صدر الدین علیّ [بن محمد بن محمد المعروف با] بن الأدمیّ الدّمشقیّ فی سنة خمس عشرة و ثمانمائة، و استمرّ إلی أن مات فی یوم السبت ثامن شهر رمضان من سنة ست عشرة و ثمانمائة.

ثم أعید ناصر الدین بن العدیم ثالثا، فاستمرّ إلی أن مات فی لیلة السبت تاسع شهر ربیع الآخر سنة تسع عشرة و ثمانمائة، و شغرت الوظیفة الی أن طلب الملک المؤیّد شیخ شمس الدین محمد الدّیریّ من القدس، و قدم القاهرة فی ثالث عشر جمادی الأولی من سنة تسع عشرة المذکورة، و نزل بقاعة الحنفیّة بالمدرسة الصالحیّة إلی أن استقرّ فی القضاء یوم الاثنین سابع عشره، و استمرّ إلی أن عزل برغبة منه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۳

و تولّاها من بعده قاضی القضاة زین الدین عبد الرحمن التّفهنیّ فی یوم الجمعة سادس ذی القعدة سنة اثنتین و عشرین و ثمانمائة، و استمرّ إلی أن عزل. ثم تولّاها من بعده قاضی القضاة بدر الدین محمود العینی فی یوم الخمیس سابع عشرین شهر ربیع الآخر سنة تسع و عشرین و ثمانمائة، و استقرّ التّفهنیّ المذکور فی مشیخة خانقاه شیخون، بعد موت شیخ الإسلام سراج الدین عمر قارئ «الهدایة»، و استمرّ العینیّ إلی أن عزل.

ثم أعید التّفهنیّ فی یوم الخمیس سادس عشرین صفر سنة ثلاث و ثلاثین و ثمانمائة، فدام إلی أن صرف لطول مرضه. ثم أعید قاضی القضاة العینی ثانیا فی سابع عشرین جمادی الآخرة سنة خمس و ثلاثین و ثمانمائة، فاستمرّ العینیّ إلی أن صرف فی دولة الملک العزیز یوسف ابن الملک الأشرف برسبای بقاضی القضاة سعد الدین سعد ابن القاضی شمس الدین محمد بن الدّیریّ فی أوّل سنة اثنتین و أربعین و ثمانمائة ...

قلت: و هؤلاء القضاة الذین استجدّهم الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ.

حسب ما ذکرناه فی أوّل الترجمة. و ذلک بعد انقضاء الدولة الأیوبیّة. و أمّا قبل خراب الدیار المصریة فی الدّولة العبیدیّة فکانت قضاة الحنفیّة هم حکّام مصر بل حکّام المشرق و المغرب إلی حدود نیّف و أربعمائة، لمّا حمل المعزّ بن بادیس الناس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۴

ببلاد المغرب علی اتّباع مذهب الإمام مالک- رضی اللّه عنه- ثم ملکت العبیدیّة مصر فمحوا آثار السّنّة و ولّوا قضاة الشّیعة و بطل الأربعة مذاهب من مصر إلی أن زالت دولتهم و تولّی السلطان صلاح یوسف بن أیّوب- رحمه اللّه- فولّی قاضیا شافعیّا فقط کونه کان شافعیّا، و أذهب الرافضة، و استمرّ ذلک نحو تسعین سنة حتّی ولی الملک الظاهر بیبرس فجدّد المذاهب الثلاثة کما سقناه. انتهی.

ذکر القضاة المالکیّة

فالذی کان أوّلهم ولایة فی دولة الظاهر بیبرس هو القاضی شرف الدین عمر السّبکیّ المالکیّ تغمّده اللّه برحمته و جمیع المسلمین ...

ذکر قضاة الحنابلة

فالذی ولّاه الملک الظاهر بیبرس هو قاضی القضاة شمس الدین أبو بکر محمد الجمّاعیلیّ الحنبلیّ إلی أن امتحن و صرف فی ثانی

شعبان سنة سبعين و ستمائة، و لم يل بعد عزله بالقاهرة أحد من الحنابلة حتى توفّى شمس الدين المذكور فى يوم الخميس فى العشر الأوّل من المحرّم سنة ست و سبعين. ثم ولى بعده قاضى القضاة عزّ الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٣٥

عمر بن عبد اللّه [بن عمر] بن عوض فى النصف من جمادى الأولى سنة ثمان و سبعين، فاستمرّ حتى مات سنة ستّ و تسعين و ستمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى الحرّانىّ إلى أن مات فى رابع عشرين شهر ربيع الأوّل سنة تسع و سبعمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة سعد الدين مسعود بن أحمد الحارثىّ فى ثالث شهر ربيع الآخر من السنة، و عزل بعد سنتين و نصف بقاضى القضاة تقىّ الدين ابن قاضى القضاة عزّ الدين عمر فى حادى عشر شهر ربيع الأوّل سنة اثنتى عشرة و سبعمائة، بعد ما شغر منصب القضاء ثلاثة أشهر، فلم تطل أيّامه و عزل بقاضى القضاة موفّق الدين عبد اللّه بن محمد بن عبد الملك المقدسىّ فى نصف جمادى الآخرة سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة، فدام فى المنصب إلى أن مات فى المحرّم سنة تسع و ستين و سبعمائة. ثم تولّى عوضه قاضى القضاة ناصر الدين نصر اللّه بن أحمد بن محمد العسقلانىّ حتّى مات فى ليلة الحادى و العشرين من شهر شعبان سنة خمس و تسعين و سبعمائة. ثم تولّى بعده ابنه قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم بن نصر اللّه حتّى مات فى ثامن شهر ربيع الأوّل سنة اثنتين و ثمانمائة. ثم تولّى عوضه أخوه قاضى القضاة موفّق الدين أحمد بن نصر اللّه، فدام حتّى صرف بقاضى القضاة نور الدين علىّ [بن خليل بن علىّ بن أحمد بن عبد اللّه] الحكرىّ، فلم تطل مدّة الحكرىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٣٦

و صرف. ثم أعيد موفّق الدين فاستمرّ إلى أن مات فى سنة ثلاث و ثمانمائة. ثم تولّى بعده قاضى القضاة مجد الدين سالم [بن أحمد] فى ثالث عشرين شهر رمضان من سنة ثلاث فاستمرّ فى القضاء إلى أن صرف بقاضى القضاة علاء الدين علىّ [بن محمود ابن أبى بكر] بن مغلى فى حدود سنة ست عشرة و ثمانمائة، فاستمرّ علاء الدين بن مغلى فى القضاء إلى أن توفّى بالقاهرة فى العشرين من صفر سنة ثمان و عشرين و ثمانمائة.

ثم تولّى بعده قاضى القضاة محبّ الدين أحمد بن نصر اللّه [بن أحمد بن محمد بن عمر] البغدادىّ من التاريخ المذكور إلى أن صرفه الملك الأشرف بقاضى القضاة عزّ الدين عبد العزيز [بن علىّ بن العزّ بن عبد العزيز] البغدادىّ فى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة تسع و عشرين، فدام القاضى عزّ الدين إلى أن صرف فى يوم الثلاثاء ثانى عشر صفر سنة ثلاثين و ثمانمائة. ثم أعيد قاضى القضاة محبّ الدين، و استمرّ إلى أن مات فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى سنة أربع و أربعين و ثمانمائة.

ثم تولى بعده قاضى القضاة بدر الدين محمد [بن محمد] بن عبد المنعم البغدادىّ إلى أن مات فى ليلة الخميس سابع جمادى الأولى سنة سبع و خمسين و ثمانمائة.

ثم تولّى بعده قاضى القضاة عز الدين أحمد فى يوم السبت تاسع جمادى الأولى المذكور.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج٧، ص: ١٣٧

قلت: و قد خرجنا عن المقصود فى ترجمة الملك الظاهر بيبرس بالإطالة فيما ذكرناه، غير أنّ ذلك كلّه هو أيضا ممّا يضاف إلى ترجمته، و لا بأس بالإطالة مع تحصيل الفائدة، و لنعد إلى ذكر السلطان الملك الظاهر بيبرس.

ثم أمر الملك الظاهر بأن يعمل بدمشق أيضا كذلك فى سنة أربع و ستين فوقع ذلك، و ولّى بها قضاة أربعة. و لمّا وقّع ولايته القضاء من كلّ مذهب بدمشق اتّفق أنّه كان لقب ثلاثة قضاة منهم شمس الدين، و هم: قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلّكان الشافعىّ. و قاضى القضاة شمس الدين عبد اللّه بن محمد بن عطا الأذرعىّ الحنفى. و قاضى القضاة شمس الدين عبد الرحمن ابن الشيخ أبى عمر الحنبلىّ؛ فقال بعض الشعراء رحمه اللّه فى هذا المعنى:

أهل الشآم استرابوا من كثرة الحكّام

إذ هم جميعا شموس و حالهم فى ظلام

و قال غيره:

بدمشق آية قد ظهرت للناس عاما

كلّما ولّى شمس قاضيا زادت ظلاما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۸

فتوحاته رحمه اللّه

ثم سافر الملك الظاهر من مصر إلى البلاد الشامية فى هذه السنة (أعنى سنة أربع و ستين) فخرج منها فى يوم السبت مستهلّ شعبان، و جعل نائبه بديار مصر ولده الملك السعيد، و جعل الجيش فى خدمته و الوزير بهاء الدين بن حنّا؛ و سار الملك الظاهر حتّى نزل عين جالوت و بعث عسكرا مقدّمه الأمير جمال الدين أيدغدىّ العزيزىّ، ثم عسكرا آخر مقدّمه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى للإغارة على بلاد الساحل، فأغاروا على عكّا و صور و طرابلس و حصن الأكراد و سبوا و غنموا ما لا يحصى؛ ثم نزل الملك الظاهر بنفسه على صفد فى ثامن شهر رمضان، و نصب عليها المجانيق، و دام الاهتمام بعمل الآلات الحربيّة إلى مستهلّ شوّال شرع فى الزّحف و الحصار و أخذ النّقوب من جميع الجهات إلى أن ملكها بكرة يوم الثلاثاء خامس عشر شوّال؛ و استمرّ الزّحف و القتال و نصب السلالم على القلعة و تسلطت عليها النقوب، و السلطان يباشر ذلك بنفسه، حتّى طلب أهل القلعة الأمان على أنفسهم و طلبوا اليمين على ذلك، فأجلس السلطان الملك الظاهر الأمير كرمون [أغا] التّتارىّ فى دست السلطنة، و حضرت رسلهم فاستحلفوه فخلف [لهم كرمون التّتارىّ] و هم يظنونه الملك الظاهر، فإنه كان يشبه الملك الظاهر. و كان فى قلب الملك الظاهر منهم حزازة، ثم شرط عليهم ألّا يأخذوا معهم من أموالهم شيئا. فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شوّال طلعت السناجق على قلعة صفد، و وقف الملك الظاهر بنفسه على بابها و أخرج من كان فيها من الخيّالة و الرجّالة و الفلاحين؛ و دخل الأمير بدر الدين بيليك الخازندار و تسلّمها، و اطّلع على أنّهم أخذوا شيئا كثيرا من التّحف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۳۹

له قيمة، فأمر الملك الظاهر بضرب رقابهم فضربت على تلّ هناك، و كتبت البشائر بهذا النصر إلى مصر و الأقطار، و زيّنت الديار المصريّة لذلك. ثم أمر الملك الظاهر بعمارة قلعة صفد و تحصينها و نقل الذخائر إليها و الأسلحة، و أزال دولة الكفر، منها، و للّه الحمد، و أقطع بلدها لمن رتّبه لحفظها من الأجناد، و جعل مقدّمهم الأمير علاء الدين الكبكى، و جعل فى نيابة السلطنة بالمدينة الأمير عزّ الدين العلائىّ، و ولاية القلعة للأمير مجد الدين الطّورىّ.

ثم رحل الملك الظاهر إلى دمشق فى تاسع عشر شوّال. و لمّا كان الملك الظاهر نازلا بصفد وصل إليه رسول صاحب صهيون بهديّة جليلة و رسالة مضمونها الاعتذار من تأخيره عن الحضور، فقبل الملك الظاهر الهديّة و العذر. ثمّ وصلت رسل صاحب سيس أيضا بهديّة فلم يقبلها و لا سمع رسالتهم. ثم وصلت البريديّة من متولّى قوص ببلاد الصّعيد بخبر أنّه استولى على جزيرة سواكن و أنّ صاحبها هرب، و أرسل يطلب من الملك الظاهر الدخول فى الطاعة و إبقاء سواكن عليه، فرسم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۰

له الملك الظاهر بذلك. ثم رحل الملك الظاهر من دمشق يوم السبت ثالث ذى القعدة و أمر العساكر بالتقدّم إلى بلاد سيس للإغارة عليها، و قدّم عليهم الملك المنصور صاحب حماة و تدبير الأمور راجع إلى الأمير آق سنقر الفارقانىّ، فساروا حتّى وصلوا إلى الدّربند الذى يدخلون منه إليها، و كان صاحبها قد بنى عليها أبرجة فيها المقاتلة؛ فلمّا رأوا العسكر تركوها و مضوا فأخذها المسلمون و هدموها، و دخلوا بلاد سيس فنهبوا و أسروا و قتلوا؛ و كان فيمن أسر ابن صاحب سيس و ابن أخته و جماعة من أكابرهم، و دخلوا

المدينة يوم السبت ثانى عشر ذى القعدة و أخذوا منها ما لا يحصى كثرة، و عادوا نحو دمشق. فلمّا قاربوها خرج الملك الظاهر لتلقّيهم فى ثانى ذى الحجّة، و اجتاز بقارة فى سادسه، فأمر بنهبها و قتل من فيها من الفرنج، فإنّهم كانوا يخيفون السبيل و يستأسرون المسلمين، فأراح اللّه منهم و جعلت كنيستها جامعا، و رتّب بقارة خطيبا و قاضيا، و نقل إليها الرعية من المسلمين؛ ثم التقى العساكر و خلع عليهم و عاد معهم، فدخل دمشق، و الغنائم و الأسرى بين يديه، فى يوم الاثنين خامس عشر شهر ذى الحجّة فأقام بها مدّة. ثم خرج منها طالبا الكرك فى مستهلّ المحرّم سنة خمس و ستين و ستّمائة، و أمر الملك الظاهر بعد خروجه من دمشق بعمارة جسر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۱

بالغور على [نهر] الشّريعة؛ و كان المتولّى لعمارته جمال الدين محمد بن نهار و بدر الدين محمد بن رحال و هما من أعيان الأمراء؛ و لمّا تكامل عمارته اضطرب بعض أركانه، فقلق الملك الظاهر لذلك و أعاد الناس لإصلاحه فتعذّر ذلك لزيادة الماء، فاتّفق وقوف الماء عن جريانه حتّى أمكن إصلاحه؛ فلمّا تمّ إصلاحه عاد الماء إلى حاله؛ قيل إنّه كان وقع فى النهر قطعة كبيرة مما يجاوره من الأماكن العالية فسدّته من غير قصد. و هذا من عجيب الاتّفاق.

ثمّ عاد الملك الظاهر إلى ديار مصر و عند عوده إليها وصل إليه رسل صاحب اليمن الملك المظفر [شمس الدين] يوسف بن عمر و معهم فيل و حمار وحش أبيض و أسود و خيول و صينى و تحف، و طلب معاضدة الملك الظاهر له و شرط له أن يخطب له ببلاده.

ثمّ خرج السلطان فى يوم السبت فى ثانى جمادى الآخرة إلى بركة الجب عازما على قصد الشام على حين غفلة، و جعل نائب السلطنة على مصر الأمير بيليك

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۲

الخازندار، و رحل فى سابع الشهر، فوردت عليه رسل صاحب يافا فى الطريق فاعتقلهم، و أمر العسكر بلبس آلة الحرب ليلا و سار فأصبح يافا، و أحاط بها من كل جانب، فهرب من كان فيها من الفرنج إلى قلعتها، فملك السلطان المدينة و طلب أهل القلعة الأمان، فأمّنهم و عوّضهم عما نهب لهم أربعين ألف درهم، فركبوا فى المراكب إلى عكّا؛ و كان أخذ قلعة يافا فى الثانى و العشرين من الشهر المذكور و أمر بهدمها؛ فلمّا فرغ السلطان من هدمها رحل عنها يوم الأربعاء ثانى عشر شهر رجب طالبا للشّقيف، فنزل عليه يوم الثلاثاء و حاصرها حتّى تسلّمها يوم الأحد تاسع عشرين رجب؛ و كان الملك الظاهر أيضا ملك الباشورة بالسيف فى السادس و العشرين منه؛ ثم رحل الملك الظاهر عنها بعد أن رتّب بها عسكرا فى عاشر شعبان، و بعث أكثر أثقاله إلى دمشق و سار إلى طرابلس فشنّ عليها الغارة و أخرب قراها و قطع أشجارها و غوّر أنهارها. ثم رحل إلى حصن الأكراد و نزل بالمرج الذى تحته، فحضر إليه رسول من فيه بإقامة و ضيافة، فردّها عليه و طلب منهم دية رجل من أجناده، كانوا قتلوه، مائة ألف دينار فأرضوه. فرحل إلى حمص ثم إلى حماة ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۳

إلى أفامية ثم سار و نزل منزلة أخرى؛ ثم رحل ليلا و أمر العسكر بلبس آلة الحرب، و نزل أنطاكية فى غرّة شهر رمضان، فخرج إليه جماعة من أهلها يطلبون الأمان و شرطوا شروطا لم يجب إليها، و زحف عليها فملكها يوم السبت رابع الشهر؛ و رتّب على أبوابها جماعة من الأمراء لئلّا يخرج أحد من الحرافشة بشىء من النهب، و من يوجد معه شىء يؤخذ منه، فجمع من ذلك ما أمكن جمعه و فرّقه على الأمراء و الأجناد بحسب مراتبهم. و حصر من قتل بأنطاكية فكانوا فوق الأربعين ألفا، و أطلق جماعة من المسلمين كانوا فيها أسراء من الحلبيّين، و كتب البشائر بذلك إلى مصر و إلى سائر الأقطار. و أنطاكية: مدينة عظيمة مشهورة، مسافة سورها اثنا عشر ميلا، و عدد أبراجها مائة و ستة و ثلاثون برجا، و عدد شرفاتها أربع و عشرون ألفا. و لم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب- رحمه اللّه- فيما فتح.

قلت: كم ترك الأوّل للآخر!

و لمّا ملك الملك الظاهر أنطاكية وصل إليه قصّاد من أهل القصير يطلبون تسليمها إليه، فسيّر السلطان الأمير شمس الدين آق سنقر

الفارقانیّ بالعساکر إلیها فوصلها

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۴

و وجد أکثر أهلها قد برح منها، فتسلّمها فی ثالث عشر شهر رمضان؛ و کان قد تسلّم درکوش بواسطة فخر الدین الجناحیّ فی تاسع شهر رمضان و عاد إلی دمشق، فدخلها فی سابع عشرین شهر رمضان، و عیّد السلطان بقلعة دمشق. ثم عاد إلی القاهرة فدخلها آخر نهار الأربعاء حادی عشر ذی الحجّة. و بعد وصوله بمدّة جلس فی الإیوان بقلعة الجبل یوم الخمیس تاسع صفر، و أحضر القضاة و الشهود و الأعیان و أمر بتحلیف الأمراء و مقدّمی الحلقة لولده الملک السعید برکة خان [بولایة عهده و خلیفته من بعده] فحلفوا. ثم رکب الملک السعید یوم الاثنین العشرین من الشهر بأبّهة السلطنة فی القلعة و مشی والده أمامه، و کتب تقلید [له] و قرئ علی الناس بحضور الملک الظاهر و سائر أرباب الدولة.

ثم فی یوم السبت ثانی عشر جمادی الآخرة خرج الملک الظاهر من القاهرة متوجّها إلی الشام و معه الأمراء بأسرهم جرائد، و استناب بالدیار المصریّة فی خدمة ولده الأمیر بدر الدین بیلیک الخازندار. و من هذا التاریخ علّم الملک السعید علی التواقیع و غیرها: و لمّا صار الملک الظاهر بدمشق وصلت إلیه کتب التّتار و رسلهم، و الرسل: محبّ الدین دولة خان، و سیف الدین سعید ترجمان و آخر، و معهم جماعة من أصحاب سیس، فأنزلهم السلطان بالقلعة و أحضرهم من الغد و أدّوا الرسالة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۵

و مضمونها: أنّ الملک أبغا بن هولاکو لمّا خرج من الشرق ملک جمیع البلاد و من خالفه قتل و أنت (یعنی للملک الظاهر) لو صعدت إلی السماء أو هبطت إلی الأرض ما تخلص منّا، فالمصلحة أن تجعل بیننا صلحا، و أنت مملوک أبعت فی سیواس فکیف تشاقق ملوک الأرض و أولاد ملوکها! فأجابه فی وقته بأنّه فی طلب جمیع ما استولوا علیه من العراق و الجزیرة و الروم و الشام و سفّرهم إلیه بسرعة. ثم فی آخر شهر رجب خرج الملک الظاهر من دمشق و نزل خربة اللّصوص فأقام بها أیّاما؛ ثم رکب لیلة الاثنین ثامن عشر شعبان و لم یشعر به أحد و توجّه إلی القاهرة علی البرید بعد أن عرّف الفارقانیّ أنّه یغیب أیّاما معلومة، و قرّر معه أنه یحضر الأطبّاء کلّ یوم و یستوصف منهم ما یعالج به متوعّک یشکو تغییر مزاجه، لیوهم الناس أنّ الملک الظاهر هو المتوعّک؛ فکان یدخل ما یصفونه إلی الجیمة لیوهم العسکر صحّة ذلک، و سار الملک الظاهر حتّی وصل قلعة الجبل لیلة الخمیس حادی عشرین شعبان، فأقام بالقاهرة أربعة أیّام؛ ثم توجّه لیلة الاثنین خامس عشرین الشهر علی البرید، فوصل إلی العسکر یوم تاسع عشرین الشهر. و کان غرضه بهذا السّفر کشف أحوال ولده الملک السعید و غیر ذلک. ثم فی یوم الأحد سادس عشر شهر رمضان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۶

تسلّم نوّاب الملک الظاهر قلعة بلاطنس و قلعة کرابیل من عزّ الدین أحمد بن مظفّر الدین عثمان بن منکورس صاحب صهیون، و عوّضه غیرهما قریة تعرف بالخمیلة من أعمال شیزر. ثم فی یوم الخمیس العشرین من شهر رمضان توجّه الملک الظاهر إلی صفد فأقام بها یومین ثم شنّ الغارة علی بلد صور، و أخذ منها شیئا کثیرا. ثم عاد الملک الظاهر إلی دمشق و عیّد بها. ثم خرج منها فی خامس عشرین شوّال یرید الکرک فوصله فی أوائل ذی القعدة. ثم توجّه فی سادسه إلی الحجاز، و صحبته بیلیک الخازندار و القاضی صدر الدین سلیمان الحنفی و فخر الدین إبراهیم بن لقمان و تاج الدین ابن الأثیر و نحو ثلثمائة مملوک و جماعة من أعیان الحلقة، فوصل المدینة الشریفة فی العشر الأخیر من الشهر فأقام بها ثلاثة أیام، و کان جمّاز قد طرق المدینة و ملکها، فلمّا قدم الظاهر هرب؛ فقال الملک الظاهر: لو کان جمّاز یستحقّ القتل ما قتلته! لأنه فی حرم النّبیّ صلّی اللّه علیه و سلم؛ ثم تصدّق فی المدینة بصدقات کثیرة، و خرج منها متوجّها إلی مکّة فوصلها فی ثامن ذی الحجّة، فخرج إلیه أبو نمیّ و عمّه إدریس صاحبا مکّة، و بذلا له الطاعة فخلع علیهما و سارا بین یدیه إلی عرفات، فوقف بها یوم الجمعة ثم عاد إلی منّی، ثم إلی مکّة و طاف بها طواف الإفاضة، و صعد الکعبة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۷

و غسلها بماء الورد و طيّبها بيده، و أقام يوم الاثنين ثم ركب و توجّه إلى المدينة الشريفة، فزار بها قبر النّبىّ صلى اللّه عليه و سلم ثانيا. ثم توجّه إلى الكرك فوصله فى يوم الخميس تاسع عشرين ذى الحجة فصلّى به الجمعة. ثم توجّه إلى دمشق فوصل يوم الأحد ثانى المحرّم سنة ثمان و ستين و ستمائة فى السّحر، فحرج الأمير جمال الدين آقوش فصادفه فى سوق الخيل و اجتمع به. ثم سار إلى حلب فوصلها فى سادس المحرّم؛ ثم خرج منها فى عاشره و سار إلى حماة ثم إلى دمشق ثم إلى مصر، و صحبته الأمير عزّ الدين الأفرم فدخلها يوم الأربعاء رابع صفر، و اتّفق ذلك اليوم دخول ركب الحاجّ، و كانت العادة يوم ذاك بدخول الحاج إلى القاهرة بعد عاشر صفر، فأقام الملك الظاهر بالقاهرة أيّاما، و خرج منها فى صفر المذكور إلى الإسكندرية و معه ولده الملك السعيد و سائر الأمراء فصيّد أيّاما و عاد إلى نحو القاهرة فى يوم الثلاثاء ثامن شهر ربيع الأوّل، و خلع فى هذه السّفرة على الأمراء و فرّق فيهم الخيل و الحوائص الذهب و السيوف المحلّاة و الذهب و الدراهم و القماش و غير ذلك، فلم يقم بالقاهرة إلا مدّة يسيرة، و خرج منها متوجّها إلى الشام فى يوم الاثنين حادى عشرين شهر ربيع الأوّل فى طائفة يسيرة من أمرائه و خواصّه، فوصل إلى دمشق فى يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الآخر، و لقى أصحابه فى الطريق مشقّة شديدة من البرد. ثم خرج عقيب ذلك إلى الساحل و أسر ملك عكّا؛ و قتل و أسر و سبى. ثم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۸

قصد الغارة على المرقب فوجد من الأمطار و الثلوج ما منعه، فرجع إلى حمص فأقام بها نحو عشرين يوما. ثم خرج إلى جهة حصن الأكراد و نزل تحتها، و أقام يركب كلّ يوم و يعود من غير قتال إلى الثامن و العشرين من شهر رجب، فبلغه أنّ مراكب الفرنج دخلت ميناء الإسكندرية و أخذت مركبين للمسلمين، فرحل من فوره إلى نحو الديار المصريّة فوصلها ثانى عشر شعبان، فحين دخوله إلى مصر امر بعمارة القناطر التى على بحر أبى المنجّا، و هى من المبانى العجيبة فى الحسن و الإتقان؛ و بينما هو فى ذلك ورد عليه البريد من الشام أنّ الفرنج قاصدون الساحل، و المقدّم عليهم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۴۹

شارل أخو ريدا فرنس، و ربّما كان محطّهم عكّا؛ فتقدّم الملك الظاهر إلى العسكر بالتوجّه إلى الشام. ثم ورد الخبر أيضا بأنّ اثنى عشر مركبا للفرنج عبروا على الإسكندرية و دخلوا ميناءها و أخذوا مركبا للتّجار و استأصلوا ما فيه و أحرقوه، و لم يجسر و الى الإسكندرية أن يخرج الشوانى من الصناعة لغيبة رئيسها فى مهمّ استدعاه الملك الظاهر بسببه. و لمّا بلغ الملك الظاهر ذلك بعث أمر بقتل الكلاب فى الإسكندرية و ألّا يفتح أحد حانوتا بعد المغرب و لا يوقد نارا فى البلد ليلا، ثم تجهّز بسرعة و خرج نحو دمياط يوم الخميس خامس ذى القعدة فى البحر. و فى ذى الحجّة أمر السلطان بعمل جسرين: أحدهما من مصر إلى الجزيرة (أعنى الروضة)، و الآخر من الجزيرة إلى الجيزة على مراكب لتجوز العساكر عليهما. ثم عاد الملك الظاهر من دمياط بسرعة و لم يلق حربا؛ و خرج من مصر إلى عسقلان فى يوم السبت عاشر صفر سنة تسع و ستين و ستمائة فى جماعة يسيرة من الأمراء و الأجناد، فوصل إلى عسقلان و هدم من سورها ما كان أهمل هدمه فى أيّام الملك الصالح، و وجد فيما هدم كوزان مملوءان ذهبا مقدار ألفى دينار ففرّقها على من صحبه، و ورد عليه الخبر و هو بعسقلان بأنّ عسكر ابن أخى بركة خان المغلىّ كسر عسكر أبغا بن هولاكو، فسرّ الملك الظاهر بذلك سرورا زائدا. و عاد إلى مصر يوم السبت ثامن شهر ربيع الأوّل. و فى هذه السنة انتهى الجسر و القناطر الذى عمل على بحر أبى المنجا، و وقف عليه الملك الظاهر وقفا يعمر منه ما دثر منه على طول السنين. و فى هذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۰

السنة أيضا بنى الملك الظاهر جامع المنشيّة، و أقيمت فيه الخطبة يوم الجمعة ثامن عشرين شهر ربيع الآخر من سنة تسع و ستين و ستمائة المذكورة. ثم فى السنة المذكورة أيضا خرج الملك الظاهر من الديار المصريّة متوجّها إلى نحو حصن الأكراد فى ثانى عشر

جمادی الآخرة، و دخل دمشق یوم الخمیس ثامن شهر رجب، و کان معه فی هذه السّفرة ولده الملک السعید و الصاحب بهاء الدین بن حنّا، و استخلف بمصر الأمیر شمس الدین اقسنقر الفارقانیّ، و فی الوزارة الصاحب تاج الدین ابن حنّا. ثمّ خرج الملک الظاهر من دمشق فی یوم السبت عاشره و توجّه بطائفة من العسکر إلی جهة، و ولده و بیلیک الخازندار بطائفة أخری إلی جهة، و تواعدوا الاجتماع فی یوم واحد بمکان معیّن لیشنّوا الغارة علی جبلة و اللّاذقیّة و المرقب و عرقة و مرقیّة و القلیعات و صافیثا و المجدل و أنطرطوس، فلمّا اجتمعوا [علی] أن یشنّوا الغارة فتحوا صافیثا و المجدل، ثم ساروا و نزلوا حصن الأکراد یوم الثلاثاء تاسع عشر شهر رجب من سنة تسع و ستین و ستمائة؛ و أخذوا فی نصب المجانیق و عمل

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۱

الستایر، و لهذا الحصن ثلاثة أسوار؛ فاشتدّ علیه الزحف و القتال و فتحت الباشورة الأولی یوم الخمیس حادی عشرین الشهر، و فتحت الثانیة یوم السبت سابع شعبان، و فتحت الثالثة الملاصقة للقلعة فی یوم الأحد خامس عشره، و کان المحاصر لها الملک السعید ابن الملک الظاهر و معه بیلیک الخازندار و بیسری، و دخلت العساکر البلد بالسیف و أسروا من فیه من الجبلیّة و الفلّاحین ثم أطلقوهم. فلمّا رأی أهل القلعة ذلک أذعنوا بالتسلیم و طلبوا الأمان، فأمّنهم الملک الظاهر و تسلّم القلعة یوم الاثنین ثالث عشرین شعبان، و کتبت البشائر بهذا الفتح إلی الأقطار، و أطلق الملک الظاهر من کان فیها من الفرنج فتوجّهوا إلی طرابلس. ثم رحل الملک الظاهر بعد أن رتّب الأمیر عزّ الدین أیبک الأفرم لعمارته، و أقیمت فیه الجمعة، و رتّب نائبا و قاضیا. و لمّا وقع ذلک بعث صاحب أنطرطوس إلی الملک الظاهر یطلب المهادنة، و بعث إلیه بمفاتیح أنطرطوس فصالحه علی نصف ما یتحصّل من غلال بلده، و جعل عندهم نائبا من قبله. ثم صالح صاحب المرقب علی المناصفة أیضا، و ذلک فی یوم الاثنین مستهلّ شهر رمضان من سنة تسع و ستین، و قرّرت الهدنة عشر سنین و عشرة أشهر و عشرة أیّام.

ثم سار الملک الظاهر فی یوم الأحد رابع عشر شهر رمضان فأشرف علی حصن ابن عکّار، و عاد إلی المرج فأقام به إلی أن سار و نزل علی الحصن المذکور ثانیا فی یوم الاثنین ثانی عشرین شهر رمضان، و نصب المجانیق علیه فی یوم الثلاثاء،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۲

و فی یوم الأحد ثامن عشرینه رمی المنجنیق الذی قبالة الباب الشرقیّ رمیا کثیرا فخسف خسفا کبیرا إلی جانب البدنة، و دام ذلک إلی اللّیل فطلبوا الأمان علی أنفسهم من القتل و أن یمکّنهم من التوجّه إلی طرابلس فأجابهم، فخرجوا یوم الثلاثاء سلخ الشهر؛ و کتبت البشائر بالفتح و النصر إلی سائر الأقطار. ثم فی یوم السبت رابع شوّال خیّم السلطان الملک الظاهر بعساکر[ه] علی طرابلس فسیّر صاحبها إلیه یستعطفه فبعث إلیه الملک الظاهر [فارس الدین] الأتابک [و] سیف الدین [بلبان] الرومیّ علی أن یکون له من أعمال طرابلس نصف بالسویّة، و أن یکون له دار وکالة فیها، و أن یعطی جبلة و اللّاذقیّة بخراجهما من یوم خروجهما عن الملک الناصر إلی یوم تاریخه، و أن یعطی نفقات العساکر من یوم خروجه؛ فلمّا علم الرساله عزم علی القتال و حصّن طرابلس، فنصب الملک الظاهر المجانیق؛ ثم تردّدت الرّسل ثانیا و تقرر الصلح أن تکون عرقة و جبلة و أعمالها للبرنس صاحب طرابلس، و أن یکون ساحل أنطرطوس و المرقب و بانیاس و بلاد هذه النواحی بینه و بین الدّاویّة، و التی کانت خاصا لهم، و هی بارین و حمص القدیمة تعود خاصا للملک الظاهر، و شرط أن تکون عرقة و أعمالها، و هی ست و خمسون قریة، صدیقة من الملک الظاهر علیه، فتوقّف صاحب طرابلس و أنف؛ فلمّا بلغ الملک الظاهر امتناعه صمّم علی ما شرط علیه حتی أجابه، و عقد الصلح بینهما مدّة عشر سنین و عشرة أشهر و عشرة أیام.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۳

و فی یوم السبت حادی عشر شوّال رحل الملک الظاهر عن مرج صافیثا، و أذن إلی صاحب حماة و صاحب حمص بالعود إلی بلادهم، و سار الظاهر حتی دخل دمشق یوم الأربعاء خامس عشر شوّال، و عزل القاضی شمس الدین أحمد بن خلّکان عن قضاء

دمشق، و كانت مدّة ولايته عشر سنين، و ولّى عوضه القاضى عزّ الدين محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق المعروف بابن الصائغ. ثم فى يوم الجمعة رابع عشرين شوّال خرج الملك الظاهر من دمشق قاصدا القرين، فنزل عليه يوم الاثنين سابع عشرين الشهر، و نصب عليه المجانيق، و لم يكن به نساء و لا أطفال بل مقاتلة، فقاتلوا قتالا شديدا، و أخذت النّقوب للحصن من كلّ جانب، فطلب من فيه الأمان، فأمّنوا يوم الاثنين ثالث عشر ذى القعدة، و تسلّم السلطان الحصن بما فيه من السلاح ثمّ هدمه، و كان بناؤه من الحجر الصّلد و بين كلّ حجرين عود حديد ملزوم بالرصاص، فأقاموا فى هدمه اثنى عشر يوما و فى حصاره خمسة عشر يوما.

و فى يوم الاثنين سادس عشرين الشهر نزل الملك الظاهر على كردانة قرية قريبة من عكّا، و لبس العسكر و سار إلى عكّا و أشرف عليها، ثم عاد إلى منزله. ثمّ رحل منها يوم الثلاثاء قاصدا مصر، فدخلها يوم الخميس ثالث عشر ذى الحجّة، و كان جملة ما صرفه الملك الظاهر فى هذه السّفرة من حين خروجه من مصر إلى حين عوده إليها ما ينيف على مائة ألف دينار و ثمانين ألف دينار عينا. و فى اليوم الثانى من وصوله إلى قلعة الجبل قبض على جماعة من الأمراء منهم: الأمير علم الدين سنجر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۴

الحلبىّ الكبير، الذى كان تسلطن بدمشق فى أوّل سلطنة الملك الظاهر بيبرس، و الأمير جمال الدين آقوس المحمّدىّ، و الأمير جمال الدين أيدغدى الحاجبىّ الناصرىّ، و الأمير شمس الدين سنقر المسّاح و الأمير سيف الدين بيدغان الرّكنى و الأمير علم الدين سنجر طرطح و غيرهم، و حبسوا الجميع بقلعة الجبل؛ و سبب ذلک أنّه بلغه أنّهم تآمروا على قبضه لمّا كان بالشّقيف، فأسّرها فى نفسه إلى وقتها. و كان بلغ الملک الظاهر و هو على حصن الأكراد أنّ صاحب قبرص خرج منها فى مراكبه إلى عكا، فأراد السلطان اغتنام خلوّها، فجّهز سبعة عشر شينيّا، فيها الرئيس ناصر الدين عمر بن منصور رئيس مصر و شهاب الدين محمد بن إبراهيم بن عبد السلام رئيس الإسكندرية، و شرف [الدين] علوى بن أبى المجد بن علوى العسقلانى رئيس دمياط، و جمال الدين مكّى بن حسّون مقدّما على الجميع؛ فوصلوا الجزيرة ليلا، فهاجت عليهم ريح طردتهم عن المرسى، و ألقت بعض الشّوانى على بعض، فتحطّم منها أكثر من أحد عشر شينيّا و أخذ من فيها من الرجال و الصنّاع أسراء، و كانوا زهاء ألف و ثمانمائة نفس، و سلم الرئيس ناصر الدين و ابن حسّون فى الشّوانى السالمة، و عادت إلى مراكزها؛ فعظم ذلک على الملک الظاهر بيبرس إلى الغاية.

و فى يوم الاثنين سابع عشر ذى الحجّة أمر الملک الظاهر بإراقة الخمور فى سائر بلاده، و أوعد من يعصرها بالقتل، فأريق على الأجناد و العوامّ منها ما لا تحصى قيمته، و كان ضمان ذلک فى ديار مصر خاصّة ألف دينار فى كلّ يوم، و كتب بذلک توقيع قرئ على منبر مصر و القاهرة. و فى العشر الأخير من ذى الحجّة اهتمّ الملک

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۵

الظاهر بإنشاء شوان عوضا عمّا ذهب على قبرص، و انتهى العمل من الشوانى فى يوم الأحد رابع عشر المحرّم سنة سبعين، و ركب السلطان إلى الصّناعة لإلقاء الشّوانى فى بحر النيل، و ركب السلطان فى شينىّ منها و معه الأمير بدر الدين بيليک الخازندار، فلمّا صار الشّينى فى الماء مال بمن فيه فوقع الخازندار منه إلى البحر، فنهض بعض رجال الشّينى و رمى بنفسه خلفه فأدركه و أخذ بشعره و خلّصه، و قد كاد يهلک، فخلع عليه الملک الظاهر و أحسن إليه.

و فى ليلة السبت السابع و العشرين منه خرج الملک الظاهر من الديار المصريّة إلى الشام فى نفر يسير من خواصّه و أمرائه و دخل حصن الكرک، و خرج منه و صحب معه نائبه الأمير عزّ الدين أيدمر و سار إلى دمشق، فوصل إليه يوم الجمعة ثانى عشر صفر، فعزل عنها الأمير جمال الدين آقوش النّجيبىّ، و ولّى مكانه الأمير عزّ الدين أيدمر المعزول عن نيابة الكرک. ثم خرج منها إلى حماة فى سادس عشره ثم عاد منها فى السادس و العشرين.

و فيها أمر ملک التّتار أبغا بن هولاكو عساكره بقصد البلاد الشاميّة، فخرج عسكره فى عدّة عشرة آلاف فارس و عليهم الأمير صمغرا و البرواناه، فلمّا بلغهم أنّ الملک الظاهر بالشام أرسلوا ألفا و خمسمائة من المغل ليتجسّسوا الأخبار و يغيروا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۶

علی أطراف بلاد حلب، و کان مقدّمهم أمال بن بیجونوین و وصلت غارتهم إلی عینتاب ثم إلی قسطون و وقعوا علی ترکمان نازلین بین حارم و أنطاکیة فاستأصلوهم؛ فتقدّم الملک الظاهر بتجفیل البلاد لیحمل التّتار الطمع فیدخلوا فیتمکّن منهم. و بعث إلی مصر بخروج العساکر فخرجت و مقدّمها الأمیر بیسری، فوصلوا إلی السلطان فی خامس الشهر و خرج بهم فی السابع منه، فسبق إلی التّتار خبره، فولّوا علی أعقابهم. و کان الظاهر لمّا مرّ بحماة استصحب معه الملک المنصور صاحب حماة، و نزل الظاهر حلب یوم الاثنین ثانی عشر شهر ربیع الآخر من سنة سبعین و ستمائة و خیّم بالمیدان الأخضر، ثم جهّز الأمیر شمس الدین آق سنقر الفارقانیّ فی عسکر و أمره أن یمضی إلی بلاد حلب الشمالیّة و لا یتعرّض ببلاد صاحب سیس، و جهّز الأمیر علاء الدین طیبرس الوزیریّ فی عسکر و أمره بالتوجّه إلی حرّان. فأمّا الفارقانیّ فإنه سار خلف التّتار إلی مرعش فلم یجد منهم أحدا، تم عاد إلی حلب فوجد الملک الظاهر مقیما بها، و قد أمر بإنشاء دار شمالیّ القلعة کانت تعرف بدار الأمیر بکتوت، أستادار الملک الناصر صلاح الدین یوسف صاحب حلب و اضاف إلیها دارا أخری، و وکّل بعمارتها الأمیر عزّ الدین آقوش الأفرم.

و لمّا عاد الفارقانیّ إلی حلب رحل الملک الظاهر منها نحو الدیار المصریّة فی ثامن عشرین شهر ربیع الآخر، و دخل مصر فی الثالث و العشرین من جمادی الأولی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۷

و لمّا وصل الظاهر إلی مصر قبض علی الأمراء الذین کانوا مجرّدین علی قاقون بسبب الفرنج لمّا أغاروا علی الساحل ما عدا آقوش الشّمسیّ ثم شفع فیهم فأطلقهم.

و فی یوم الأربعاء ثالث جمادی الآخرة عدّی الملک الظاهر إلی برّ الجیزة فأخبر أن ببوصیر السّدر مغارة فیها مطلب، فجمع لها خلقا فحفروا مدی بعیدا، فوجدوا قطاطا میتة و کلاب صید و طیورا و غیر ذلک من الحیوانات ملفوفا فی عصائب و خرق، فإذا حلّت اللفائف و لاقی الهواء ما کان فیها صار هباء منثورا؛ و أقام الناس ینقلون من ذلک مدّة و لم ینفد ما فیها، فأمر الملک الظاهر بترکها و عاد من الجیزة.

و فی یوم السبت سابع عشرین جمادی الآخرة رکب السلطان الملک الظاهر إلی الصّناعة لیری الشوانی التی عملت و هی أربعون شیتیّا فسرّ بها. و عند عوده إلی القلعة ولدت زرافة بقلعة الجبل [و هذا أمر لم یعهد] و أرضع ولدها لبن بقرة.

ثم سافر الملک الظاهر إلی الشام فی شعبان و سار حتی وصل الساحل و خیّم بین قیساریّة و أرسوف، و کان مرکّزا بها الفارقانیّ فرحل الفارقانیّ عنها إلی مصر.

ثم إنّ الملک الظاهر شنّ الغارة علی عکا، فطلب منه أهلها الصلح و تردّدوا فی ذلک حتی تقرّرت الهدنة بینهم مدّة عشر سنین و عشرة أشهر و عشرة أیّام و عشر ساعات، أوّلها ثانی عشرین شهر رمضان سنة سبعین و ستمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۸

ثم رحل الملک الظاهر إلی خربة اللّصوص، ثم سار منها إلی دمشق فدخلها فی الثامن من شوّال؛ و بینما هو فی دمشق تردّدت الرسل بینه و بین التّتار و انفصل الأمر من غیر اتّفاق. و فی ذی الحجّة توجّه الملک الظاهر من دمشق إلی حصن الأکراد لینقل حجارة المجانیق إلیها و رؤیة ما عمّر فیها ففعل ذلک. ثم سار إلی حصن عکّار فأشرف علیها. ثم عاد إلی دمشق فی خامس المحرّم من سنة إحدی و سبعین و ستمائة، و فی ثانی عشر المحرّم المذکور أفرج الملک الظاهر عن الأمیر أیبک النّجیبی الصغیر، و أیدمر الحلّیّ العزیزیّ و کانا محبوسین بالقاهرة. ثم خرج الملک الظاهر من دمشق فی المحرم أیضا عائدا إلی الدیار المصریّة و صحبته الأمیر بدر الدین بیسریّ و الأمیر آقوش الرومیّ و جرمک الناصریّ، فوصل إلیها فی یوم السبت ثالث عشرین المحرّم، فأقام بالقاهرة إلی لیلة الجمعة تاسع عشرینه، خرج من مصر و توجّه إلی دمشق فدخل قلعتها لیلة الثلاثاء رابع صفر، فأقام بدمشق إلی خامس جمادی الأولی

اتّصل به أنّ فرقة من التّتار قصدت الرّحبة، فبرز إلى القصير فبلغه أنّهم عادوا من الرّحبة و نزلوا على البيرة، فسار إلى حمص و أخذ مراكب الصيّادين على الجمال ليجوز عليها، ثم سار حتّى وصل إلى الباب من أعمال حلب،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۵۹

و بعث جماعة من الأجناد و العربان لكشف أخبارهم، و سار إلى منبج فعادوا و أخبروا أنّ طائفة من التّتار مقدار ثلاثة آلاف فارس على شطّ الفرات ممّا يلى الجزيرة، فرحل عن منبج يوم الأحد ثامن عشر جمادى الأولى و وصل شطّ الفرات، و تقدّم إلى العسكر بخوضها، فخاض الأمير سيف الدين قلاوون الألفيّ و الأمير بدر الدين بيسرى فى أوّل الناس، ثم تبعهما هو بنفسه و تبعته العساكر، فوقعوا على التّتار فقتلوا منهم مقتلة عظيمة و أسروا تقدير مائتى نفس و لم ينج منهم إلّا القليل، و تبعهم بيسزى إلى قريب سروج ثم عاد. و كان على البيرة جماعة كثيرة من عسكر التّتار، و كانوا قد أشرفوا على أخذها، فلمّا بلغهم الخبر رحلوا عن البيرة؛ و دخلها السلطان فى ثانى عشرين الشهر و خلع على نائبها و فرّق فى أهلها مائة ألف درهم، و أنعم عليهم ببعض ما تركه التّتار عندهم لمّا هربوا. ثم رحل الملك الظاهر عنها بعساكره و عاد إلى دمشق. و فى هذه النّصرة قال العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الإنشاء- رحمه اللّه- قصيدة طنانة؛ أوّلها:

سر حيث شئت لک المهيمن جار و احكم فطوع مرادک الأقدار

لم يبق للدين الذى أظهرته يا ركنه عند الأعادى ثار

لمّا تراقصت الرءوس و حرّكت من مطربات قسّيک الأوتار

خضت الفرات بسابح أقصى منى هوج الصّبا من نعله آثار

حملتک أمواج الفرات و من رأى بحرا سواک تقلّه الأنهار

و تقطّعت فرقا و لم يک طودها إذ ذاک إلا جشک الجرّار

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۰

رشّت دماؤهم الصعيد فلم يطر منهم على الجيش السعيد غبار

شكرت مساعيک المعاقل و الورى و التّرب و الآساد و الأطيار

هذى منعت و هؤلاء حميتهم و سقيت تلک و عمّ ذا الإيسار

فلأملأنّ الدهر فيک مدائحا تبقى بقيت و تذهب الأعصار

و هى أطول من ذلک. و قال الشيخ ناصر الدين حسن بن النّقيب الكنانيّ الشاعر- رحمه اللّه تعالى- قصيدة و كان حاضر الوقعة منها:

و لمّا ترامينا الفرات بخيلنا سكرناه منا بالقوى و القوائم

فأوقفت التيار عن جريانه إلى حيث عدنا بالغنى و الغنائم

و قال الموفّق عبد اللّه بن عمر الأنصارى- رحمه اللّه- و أجاد:

الملک الظاهر سلطاننا نفديه بالأموال و الأهل

اقتحم الماء ليطفى به حرارة القلب من المغل

ثم توجّه الملک الظاهر إلى نحو الديار المصريّة، فخرج ولده الملک السعيد لتلقّيه فى يوم الثلاثاء تاسع عشر جمادى الآخرة، فاجتمع به بين القصير و الصالحيّة فى يوم الجمعة ثانى عشرينه، فترجلا و اعتنقا طويلا؛ ثم ركبا و سارا جميعا إلى القلعة و بين يديهم أسارى التّتار ركّابا على الخيل، ثم فى سابع شهر رجب أفرج الملک الظاهر عن الأمير عز الدين أيبک الدّمياطى من الاعتقال، و كانت مدّة اعتقاله تسع سنين و عشرة أيام، ثم خلع الملک الظاهر على أمراء الدولة و مقدّمى الحلقة و أعطى،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۱

كلّ واحـد منهم ما يليق به من الخيل و الـذهب و الحوائص و الثّياب و السـيوف، و كان قيمة ما صـرفه فيهم فوق ثلثمائة ألف دينار، و فى سادس عشـرين شـعبان أفرج الملك الظاهر عن الأمير علم الـدين سـنجر الحلبى الغتمى المعزّى. و فى يوم الاثنين ثانى عشـر شوّال استدعى الملك الظاهر الشيخ خضرا إلى القلعة و أحضره بين يديه.

قلت: و الشـيخ خضـر هـذا هو صاحب الزاوية بالحسـينية بالقرب من جامع الظاهر. انتهى. و أحضـر معه جماعة من الفقراء حاققوه على أشياء كثيرة منكرة، و كثر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۲

بينه و بينهم فيها المقالة و رموه بفواحش كثيرة و نسبوه إلى قبائح عظيمة؛ فرسم الملك الظاهر باعتقاله، و كان للشيخ خضر المذكور منزلة عظيمة عند الملك الظاهر بحيث إنّه كان ينزل عنده فى الجمعة المرّة و المرّتين و يباسطه و يمازحه و يقبل شـفاعته و يستصحبه فى سائر سـفراته، و متى فتح مكانا أفرض له منه أوفر نصـيب، فامتدّت يد الشيخ خضر بذلك فى سائر المملكة يفعل ما يختار لا يمنعه أحـد من النوّاب، حتّى إنّه دخل إلى كنيسـة قمامـة ذبـح قسّيسـها بيـده، و انتهب ما كان فيها تلامـذته، و هجم كنيسـة اليهود بدمشق و نهبها، و كان فيها ما لا يعبّر من الأموال، و عمرها مسـجدا و عمل بها سـماعا و مدّ بها سـماطا. و دخل كنيسة الإسكندريّة و هى عظيمة عند النصارى فنهبها و صيّرها مسجدا، و سمّاها المدرسة الخضراء و أنفق فى تعميرها مالا كثيرا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۳

من بيت المـال. و بنى له الملـك الظـاهر زاويـة بالحسـينية ظاهر القاهرة و وقف عليها و حبس عليها أرضا تجاورها تحتكر للبناء. و بنى لأجله جامع الحسينية.

و فى يوم الاثنين سابع المحرّم سـنة اثنتين و سبعين و ستمائة جلس الملك الظاهر بدار العدل و حكّم بين الناس و نظر فى أمور الرعيّة، فأنصف المظلوم و خلّص الحقوق و مال على القوىّ و رفق بالضـعيف. و فى العاشـر منه هدمت غرفة على باب قصـر من قصور الخلفاء الفاطميّين بالقاهرة، و يعرف هذا الباب بباب البحر، و هو من بناء الخليفة الحاكم بأمر اللّه منصور المقدّم ذكره، فوجد فى القصـر الذى هدم امرأة فى صندوق منقوش عليها كتابة اسم الملك الظاهر بيبرس هذا و صفته، و بقى منها ما لم يمكن قراءته.

و فيهـا قبض على ملـك الكرج و هو أنّه كـان قـد خرج من بلاده قاصـدا زيارة القـدس الشـريف متنكّرا فى زىّ الرهبان و معه جماعة يسيرة من خواصّه، فسلك بلاد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۴

الروم إلى سـيس فركب البحر إلى عكّا، ثم خرج منها إلى بيت المقـدس فاطّلع الأمير بـدر الـدين الخازنـدار على أمره و هو على يافا، فبعث إليه من قبض عليه، فلمّا حضـر بين يديه بعثه مع الأمير ركن الدين منكورس إلى السلطان؛ و كان السـلطان قد توجّه إلى دمشـق فوصل إلى دمشق فى رابع عشـر جمادى الأولى، فأقبل عليه السـلطان و سأله حتى اعترف، فحبسه فى برج من أبراج قلعة دمشق، و أمره أن يبعث من جهته إلى بلاده من يعرّفهم بأسره، فبعث نفرين. و خرج الملـك الظاهر من دمشق ثالث عشـرين جمادى الآخرة، و قـدم القاهرة يوم الخميس سابع شهر رجب من سنة اثنتين و سبعين المذكورة. ثم فى يوم الخميس خامس عشرين شهر رمضان أمر السلطان العسـكر أن يركب بالزينـة الفاخرة و يلعب فى الميـدان تحت القلعـة، فاسـتمرّ ذلك كلّ يوم إلى يوم عيد الفطر ختن السـلطان الملك الظاهر ولده خضـرا و معه جماعة من أولاد الأمراء و غيرهم، و كان الملك السـعيد ابن الملك الظاهر فى يوم الأربعاء سابع عشـر شهر رمضان خرج من القاهرة و توجّه إلى دمشق و معه شـمس الـدين آقسـنقر الفارقانىّ و أربعون نفرا من خواصّه على خيل البريـد، و عاد إلى القاهرة فى يوم الخميس الرابع و العشرين من شوّال.

و فى يوم الأحد سابع صـفر من سـنة ثلاث و سـبعين و ستمائة ركـب الملك الظاهر الهجن و توجّه إلى الكرك و معه بيسرى و أتامش السّـعدى، و سـبب توجّهه أن وقع بـالكرك برج فـأحبّ أن يكون إصـلاحه بحضوره. ثم عـاد إلى مصـر فـدخلها فى يوم الثلاثـاء ثانى

عشرين شهر ربيع الأوّل، فأقام بها مدّة يسيرة. ثم توجّه إلى دمشق و أقام به إلى أن أرسل فى رابع عشرين المحرّم سنة أربع و سبعين و ستمائة الأمير

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۵

بدر الدين بيليک الخازندار على البريد إلى مصر لإحضار الملک السعيد، فعاد به إلى دمشق فى يوم الأربعاء سادس صفر من السنة. و فى الثالث و العشرين من جمادى الأولى فتح حصن القصير و هو بين حارم و أنطاكية، و كان فيه قسّيس عظيم عند الفرنج يقصدونه للتبرّک به، و كان الملک الظاهر قد أمر التّركمان و بعض العرب بمحاصرته، و بعد أخذه عاد الملک الظاهر إلى مصر فلم تطل مدّته به و عاد إلى دمشق، فدخله يوم ثالث المحرّم من سنة خمس و سبعين، فأقام به مدة يسيرة أيضا، و عاد إلى الديار المصريّة فى يوم الاثنين ثالث شهر ربيع الآخر؛ و أمر بعمل عرس ولده الملک السعيد، و اهتمّ فى ذلک إلى يوم الخميس خامس جمادى الأولى أمر العسكر بالركوب إلى الميدان الأسود تحت القلعة فى أحسن زىّ، و أقاموا يركبون كلّ يوم كذلک و يتراكضون فى الميدان، و الناس تزدحم للفرجة عليهم خمسة أيام، و فى اليوم السادس افترق الجيش فرقتين، و حملت كلّ فرقة على الأخرى و جرى من اللعب و الزينة ما لا يوصف، و فى اليوم السابع خلع على سائر الأمراء و الوزراء و القضاة و الكتّاب و الأطباء مقدار ألف و ثلثمائة خلعة، و أرسل

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۶

إلى دمشق الخلع ففرقت كذلک، و فى يوم الخميس مدّ السّماط فى الميدان المذكور فى أربعة خيم، و حضر السّماط من علا و من دنا، و رسل التتار و رسل الفرنج، و عليهم الخلع أيضا، و جلس السلطان فى صدر الخيمة على تخت من آبنوس و عاج مصفّح بالذهب مسمّر بالفضّة غرم عليه ألف دينار؛ و لمّا انقضى السّماط قدّم الأمراء الهدايا من الخيل و السلاح و التّحف و سائر الملابس، فلم يقبل السلطان من أحد منهم سوى ثوب واحد جبرا له؛ فلمّا كان وقت العصر ركب إلى القلعة و أخذ فى تجهيز ما يليق بالزّفاف و الدخول، و لم يمكّن أحد من نساء الأمراء على الإطلاق من الدخول إلى البيوت، و دخل الملک السعيد إلى الحمّام ثم دخل إلى بيته الذى هيّى له بأهله، و حملت العروس فدخل عليها. و لمّا بلغ الملک المنصور صاحب حماة ذلک قدم القاهرة مهنّئا للسلطان و معه هديّة سنيّة، فوصل القاهرة فى ثامن جمادى الآخرة، فركب الملک السعيد لتلقّيه و نزل بالكبش، و أقام مدّة يسيرة ثم عاد إلى بلده.

ثم خرج الملک الظاهر بعد ذلک من القاهرة فى يوم الخميس العشرين من شهر رمضان بعد أن استناب الأمير آق سنقر الفارقانىّ الأستادار نائبا عنه فى خدمة ولده الملک السعيد، و ترک معه من العسكر بالديار المصريّة لحفظ البلاد خمسة آلاف فارس، و رحل من المنزلة يوم السبت ثانى عشر شوّال قاصدا بلاد الروم فدخل دمشق ثم خرج منها و دخل حلب يوم الأربعاء مستهلّ ذى القعدة، و خرج منها

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۷

يوم الخميس إلى حيلان، فترک بها بعض الثّقل، و أمر الأمير نور الدين علىّ بن جبل مجلىّ نائب حلب أن يتوجّه إلى الساجور و يقيم على الفرات بمن معه من عسكر حلب و يحفظ معابر الفرات لئلا يعبر منها أحد من التّتار قاصدا الشام، و وصل إلى الأمير نور الدين الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا و أقام عنده، فبلغ نوّاب التّتار ذلک فجهّزوا إليهم جماعة من عرب خفاجة لكبسهم فحشدوا و توجّهوا نحوهم. فاتّصل بالأمير علىّ نائب حلب الخبر و كان يقظا، فركب إليهم و التقاهم و كسرهم أقبح كسرة، و أخذ منهم ألفا و مائتى جمل.

و أمّا الملک الظاهر فإنّه ركب من حيلان يوم الجمعة ثالث الشهر، و سار إلى عينتاب، ثم إلى دلوک، ثم إلى منزلة أخرى ثم إلى كينوک، ثم إلى كک صو (و معناه الماء الأزرق باللّغة التركية). ثم رحل عنه إلى أقجادر بند فقطعه فى نصف نهار؛

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۸

فلمّا خرجت عساكره و ملكت المفاوز، قدّم الأمير شمس الدين سنقر الأشقر على جماعة من العسكر و أمره بالمسير بين يديه، فوقع

على كتيبة التّتار و عدّتهم ثلاثة آلاف فارس، و مقدّمهم كراى فهزمهم سنقر الأشقر و أسر منهم طائفة، و ذلك فى يوم الخميس تاسع ذى القعدة.

ثم ورد الخبر على الملك الظاهر بأنّ عسكر الروم و التّتار مع البرواناه اجتمعوا على نهر جيحان، فلمّا صعد العسكر الجبل أشرف على صحراء أبلستين فشاهد التّتار قد رتّبوا عساكرهم أحد عشر طلبا فى كلّ طلب ألف فارس، و عزلوا عسكر الروم عنهم خوفا من باطن يكون لهم مع المسلمين، و جعلوا عسكر الكرج طلبا واحدا؛ فلمّا تراءى الجمعان حملت ميسرة التّتار حملة واحدة و صدموا سنجق الملك الظاهر، و دخلت طائفة منهم بينهم، و شقّوا الميسرة و ساقوا إلى الميمنة؛ فلمّا رأى الملك الظاهر ذلك أردفهم بنفسه، ثم لاحت منه التفاتة فرأى الميسرة قد أتت عليها ميمنة التّتار، فأمر الملك الظاهر جماعة من أصحابه الشّجعان بإردافها، ثم حمل هو بنفسه- رحمه اللّه- فلمّا رأته العساكر حملت نحوه برمّتها حملة رجل واحد، فترجّل التّتار عن خيولهم و قاتلوا قتال الموت فلم يغن عنهم ذلك شيئا، و صبر لهم الملك الظاهر و عسكره و هو يكرّ فى القوم كالأسد الضّارى و يقتحم الأهوال بنفسه و يشجّع أصحابه و يطيّب لهم الموت فى الجهاد إلى أن أنزل اللّه تعالى نصره عليه، و انكسر التّتار أقبح كسرة و قتلوا و أسروا و فرّ من نجا منهم، فاعتصموا بالجبال فقصدتهم العساكر الإسلاميّة و أحاطوا بهم، فترجّلوا عن خيولهم و قاتلوا فقتل منهم جماعة كثيرة، و قتل

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۶۹

ممّن قاتلهم من عساكر المسلمين الأمير ضياء الدين [محمود] بن الخطير، و كان من الشّجعان الفرسان، و الأمير شرف الدين قيران العلائىّ، و الأمير عزّ الدين أخو المحمّدىّ، و سيف الدين قفجاق الجاشنكير، و الأمير [عز الدين] أيبك الشّقيفىّ- رحمهم اللّه تعالى و أسكنهم الجنّة-. و أسر من كبار الروميّين مهذّب الدين ابن معين الدين البرواناه، و ابن بنت معين الدين المذكور، و الأمير نور الدين جبريل [بن جاجا]، و الأمير قطب الدين محمود أخو مجد الدين الأتابک، و الأمير سراج الدين إسماعيل [بن جاجا]، و الأمير سيف الدين سنقر جاه الزّوباشىّ، و الأمير نصرة الدين بهمن أخو تاج الدين كيوى (يعنى الصهر) صاحب سيواس، و الأمير كمال الدين إسماعيل عارض الجيش، و الأمير حسام الدين كاوک، و الأمير سيف الدين بن الجاويش، و الأمير شهاب الدين غازى بن على شير التّركمانى،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۱۶۹

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۰

فوبّخهم السلطان الملك الظاهر من كونهم قاتلوه فى مساعدة التتار الكفرة، ثم سلّمهم لمن احتفظ بهم. و أسر من مقدّمى التّتار على الألوف و المئين بركة صهر أبغا بن هولاكو ملك التّتار، و سرطق، و خيز كدوس و سركده و تماديه. و لمّا أسر من أسر و قتل من قتل نجا البرواناه و ساق حتّى دخل قيصريّة يوم الأحد ثانى عشر ذى القعدة و اجتمع بالسلطان غياث الدين، و الصاحب فخر الدين، و الأتابک مجد الدين، و الأمير جلال الدين المستوفى، و الأمير بدر الدين ميكائيل النائب فأخبرهم بالكسرة، و قال لهم: إنّ التّتار المنهزمين متى دخلوا قيصريّة فتكوا بمن فيها حنقا على المسلمين، و أشار عليهم بالخروج منها فخرج السلطان غياث الدين بأهله و ماله إلى توقات و بينها و بين قيصريّة أربعة أيام. و عملت شعراء الإسلام فى هذه الوقعة عدّة قصائد و مدائح، من ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثناء محمود كاتب الدّرج قصيدته التى أوّلها:

كذا فلتكن فى اللّه تمضى العزائم و إلّا فلا تجفو الجفون الصّوارم

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۱

عزائم حاذتها الرياح فأصبحت مخلّفة تبكى عليها الغمائم

سرت من حمى مصر إلى الروم فاحتوت عليه [و] سوراه الظّبا و اللهاذم

بجيش تظلّ الأرض منه كأنّها على سعة الأرجاء فى الضّيق خاتم

کتائب کالبحر الخضمّ جیادها إذا ما تهادت موجه المتلاطم
تحیط بمنصور اللّواء مظفّر له النّصر و التأیید عبد و خادم
ملیک یلوذ الدین من عزمایه برکن له الفتح المبین دعائم
ملیک لأبکار الأقالیم نحوه حنین کذا تهوی الکرام الکرائم
فکم وطئت طوعا و کرها جیاده معاقل قرطاها السّها و النعائم
ملیک به للدین فی کلّ ساعة بسائر للکفّار منها مآتم
جلاحین أقذی [ناظر] الکفر للهدی ثغورا بکی الشیطان و هی بواسم
إذا رام شیئا لم یعقه لبعدها و شقّتها عنه الإکام الطّواسم
فلو نازع النّسرین أمرا لناله و ذا واقع عجزا و ذا بعد حائم
و لمّا رمی الروم المنیع بخیله و من دونه سدّ من الصخر عاصم
یروم عقاب الجوّ قطع عقابه إلیه فلا تقوی علیها القوادم
و منها:
و سالت علیهم أرضهم بمواکب لها النّصر طوع و الزمان مسالم
أدارت بهم سورا منیعا مشرّفا بسمر العوالی ما له الدهر هادم
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۲
من التّرک أمّا فی المغانی فإنّهم شموس و أما فی الوغی فضراغم
غدا ظاهرا بالظاهر النصر فیهم تبید اللیالی و العدا و هو دائم
فأهووا إلی لثم الأسنّة فی الوغی کأنّهم العشّاق و هی المباسم
و صافحت البیض الصّفاح رقابهم و عانقت السّمر القدود النواعم
فکم حاکم منهم علی ألف دارع غدا حاسرا و الرمح [فی] فیه حاکم
و کم ملک منهم رأی و هو موثق خزائن ما یحویه و هی غنائم
و منها:
فلا زلت منصور اللّواء مؤیّدا علی الکفر ما ناحت و أبکت حمائم

ثم جرّد الملک الظاهر الأمیر سنقر الأشقر لإدراک ما فات من التّرک و التوجه إلی قیصریّة، و کتب معه کتابا بتأمین أهلها و إخراج الأسواق و التعامل بالدراهم الظاهریّة. ثم رحل الملک الظاهر بکرة السبت حادی عشر ذی القعدة قاصدا قیصریّة، فمرّ فی طریقه بقریة أهل الکهف ثم إلی قلعة سمندو فنزل إلیه و الیها مذعنا للطاعة، ثم سار إلی قلعة درندة و قلعة فالو ففعل متولّیها کذلک، ثم نزل بقریة من قری قیصریّة فبات بها، فلمّا أصبح رتّب عساکره و خرج أهل
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۳
قیصریّة بأجمعهم مستبشرین بلقائه، و کانوا لنزوله نصبوا الخیام بوطاة، فلمّا قرب الظاهر منها ترجّل وجوه الناس علی طبقاتهم و مشوا بین یدیه إلی أن وصلها.

فلمّا کان یوم الجمعة سابع عشر الشهر رکب السلطان للجمعة، فدخل قیصریّة و نزل دار السلطنة و جلس علی التّخت و حضر بین یدیه القضاة و الفقهاء و الصوفیّة و القرّاء و جلسوا فی مراتبهم علی عادة ملوک السّلجوقیّة، فأقبل علیهم السلطان و مدّ لهم سماطا فأکلوا و انصرفوا، ثمّ حضر الجمعة بالجامع و خطب له، و حضّر بین یدیه الدراهم التی ضربت له باسمه. و کتب إلیه البرواناه یهنّئه بالجلوس

على تخت الملك بقيصريّة، فكتب الملك الظاهر إليه بعوده ليولّيه مكانه، فكتب إليه يسأله أن ينتظره خمسة عشر يوما، و كان مراد البرواناه أن يصل أبغا و يحثّه على المسير ليدرك الملك الظاهر بالبلاد، فاجتمع تتاوون بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر و عرّفه مكر البرواناه فى ذلك، فكان ذلك سببا لرحيل الملك الظاهر عن قيصريّة مع ما انضاف إلى ذلك من قلق العساكر؛ فرحل يوم الاثنين، و كان على اليزك عزّ الدين أيبك الشّيخيّ، و كان الملك الظاهر ضربه بسبب سبقه الناس فغضب و هرب إلى التّتار.

و كان أولاد قرمان قد رهنوا أخاهم الصغير عليّ بك بقيصريّة، فأخرجه الملك الظاهر و أنعم عليه، و سأل السلطان فى تواقيع و سناجق له و لإخوته فأعطاه، و توجّه نحو إخوته بجبل لارندة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۴

و عاد السلطان و أخذ فى عوده أيضا عدّة بلاد إلى أن وصل مكان المعركة يوم السبت، فرأى القتلى، فسأل عن عدّتهم فأخبر أنّ المغل خاصّة ستة آلاف و سبعمائة و سبعون نفسا؛ ثم رحل حتّى وصل أقجا دربند، بعث الخزائن و الدّهليز و السناجق صحبة الأمير بدر الدين بيليك الخازندار ليعبر بها الدّربند، و أقام السلطان فى ساقة العسكر بقيّة اليوم و يوم الأحد، و رحل يوم الاثنين فدخل الدّربند.

ثم سار إلى أن وصل دمشق فى سابع المحرّم سنة ست و سبعين و ستمائة، و نزل بالجوسق المعروف بالقصر الأبلق جوار الميدان الأخضر و تواترت عليه الأخبار بوصول أبغا ملك التّتار إلى مكان الوقعة، فجمع السلطان الأمراء و ضرب مشورة، فوقع الاتفاق على الخروج من دمشق بالعساكر و تلقّيه حيث كان، فأمر الملك الظاهر بضرب الدّهليز على القصير، و فى أثناء ذلك وصل رجل من التّركمان و أخبر أنّ أبغا عاد إلى بلاده هاربا خائفا؛ ثمّ وصل الأمير سابق الدين بيسرى أمير مجلس الملك الناصر صلاح الدين، و هو غير بيسرى الكبير، و أخبر بمثل ما أخبر التركمانيّ، فعند ذلك أمر الملك الظاهر بردّ الدّهليز إلى الشام. و كان عود أبغا من ألطاف اللّه تعالى بالمسلمين، فإنّ الملك الظاهر فى يوم الجمعة نصف المحرّم من سنة ست و سبعين ابتدأ به مرض الموت.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۵

ذكر مرض الملك الظاهر و وفاته

لمّا كان يوم الخميس رابع عشر المحرّم سنة ستّ و سبعين و ستمائة جلس الملك الظاهر بالجوسق الأبلق بميدان دمشق يشرب القمزّ و بات على هذه الحالة، فلمّا كان يوم الجمعة خامس عشره وجد فى نفسه فتورا و توعّكا فشكا ذلك إلى الأمير شمس الدين سنقر الألفيّ السلحدار فأشار عليه بالقىء، فاستدعاه فاستعصى عليه القىء، فلمّا كان بعد صلاة الجمعة ركب من الجوسق إلى الميدان على عادته، و الألم مع ذلك يقوى عليه، و عند الغروب عاد إلى الجوسق. فلمّا أصبح اشتكى حرارة فى باطنه فصنع له بعض خواصّه دواء، و لم يكن عن رأى طبيب فلم ينجع و تضاعف ألمه، فأحضر الأطبّاء فأنكروا استعماله الدواء، و أجمعوا على استعمال دواء مسهل فسقوه فلم ينجع، فحرّكوه بدواء آخر كان سبب الإفراط فى الإسهال و دفع دما، فتضاعفت حمّاه و ضعفت قواه، فتخيّل خواصّه أنّ كبده يتقطّع و أنّ ذلك عن سمّ سقيه فعولج بالجوهر، و أخذ أمره فى انحطاط، و جهده المرض و تزايد به إلى أن قضى نحبه يوم الخميس بعد صلاة الظهر الثامن و العشرين من المحرّم، فاتّفق رأى الأمراء على إخفائه و حمله إلى القلعة لئلّا تشعر العامّة بوفاته، و منعوا من هو داخل من المماليك من الخروج و من هو خارج منهم من الدخول. فلمّا كان آخر الليل حمله من كبار الأمراء سيف الدين قلاوون الألفيّ و شمس الدين سنقر الأشقر، و بدر الدين بيسرى، و بدر الدين بيليك الخازندار، و عزّ الدين آقوس الأفرم،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۶

و عزّ الدين أيبك الحموى، و شمس الدين سنقر الألفيّ الظاهرى، و علم الدّين سنجر الحمويّ أبو خرص، و جماعة من أكابر خواصّه. و تولّى غسله و تحنيطه و تصبيره و تكفينه مهتاره الشّجاع عنبر، و الفقيه كمال الدين الإسكندرى المعروف بابن المنبجيّ، و الأمير عز

الدین الأفرم؛ ثم جعل فی تابوت و علّق فی بیت من بیوت البحریّة بقلعة دمشق إلی أن حصل الاتّفاق علی موضع دفنه. ثم کتب الأمیر بدر الدین بیلیک الخازندار إلی ولده الملک السعید مطالعة بیده و سیّرها إلی مصر علی ید بدر الدین بکتوت الجوکنداریّ الحمویّ، و علاء الدین أیدغمش الحکیمیّ الجاشنکیر، فلمّا وصلا و أوصلاه المطالعة خلع علیهما و أعطی کلّ واحد منهما خمسین ألف درهم، علی أنّ ذلک بشارة بعود السلطان إلی الدیار المصریّة. و لمّا کان یوم السبت رکب الأمراء إلی سوق الخیل بدمشق علی عادتهم و لم یظهروا شیئا من زیّ الحزن. و کان أوصی أن یدفن علی الطریق السالکة قریبا من داریّا و أن یبنی علیه هناک، فرأی ولده الملک السعید أن یدفنه داخل السور، فابتاع دار العقیقیّ بثمانیة و أربعین ألف درهم نقرة، و أمر أن تغیّر معالمها و تبنی مدرسة [للشافعیة و الحنفیة]: انتهی.

و أمّا الملک السعید فإنّه جهّز الأمیر علم الدین سنجر الحموی المعروف بأبی خرص، و الطواشی صفیّ الدین جوهر الهندیّ إلی دمشق لدفن والده الملک الظاهر، فلمّا وصلاها اجتمعا بالأمیر عز الدین أیدمر نائب السلطنة بدمشق، و عرّفاه المرسوم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۷

فبادر إلیه، و حمل الملک الظاهر من القلعة إلی التّربة لیلا علی أعناق الرجال، و دفن بها لیلة الجمعة خامس شهر رجب الفرد، و کان قد ظهر موته بدمشق فی یوم السبت رابع عشر صفر، و شرع العمل فی أعزیته بالبلاد الشامیّة و الدیار المصریّة.

قال الأمیر بیبرس الدّوادار فی تاریخه- و هو أعرف بأحواله من غیره- قال: و کان القمر قد کسف کسوفا کاملا أظلم له الجوّ و تأوّل ذلک المتأولّون بموت رجل جلیل القدر؛ فقیل: إنّ الملک الظاهر لمّا بلغه ذلک حذر علی نفسه و خاف و قصد أن یصرف التأویل إلی غیره لعلّه یسلم من شرّه، و کان بدمشق شخص من أولاد الملوک الأیّوبیّة، و هو الملک القاهر بهاء الدین عبد الملک ابن السلطان الملک المعظّم عیسی ابن السلطان الملک العادل أبی بکر بن أیّوب، فأراد الظاهر، علی ما قیل، اغتیاله بالسمّ، فأحضره فی مجلس شرابه فأمر الساقی أن یسقیه قمزّا ممزوجا، فیما یقال، بسمّ، فسقاه الساقی تلک الکأس فأحسّ به و خرج من وقته، ثم غلط الساقی و ملأ الکأس المذکورة و فیها أثر السمّ، و وقعت الکأس فی ید الملک الظاهر فشربه، فکان من أمره ما کان. انتهی کلام بیبرس الدّوادار باختصار.

قلت: و هذا القول مشهور و أظنّه هو الأصحّ فی علّة موته، و اللّه أعلم.

و کانت مدّة ملکه تسع عشرة سنة و شهرین و نصفا، و ملک بعده ابنه الملک السعید ناصر الدین محمد المعروف ببرکة خان؛ و کان تسلطن فی حیاته من مدّة سنین حسب ما تقدّم ذکره.

و کان الملک الظاهر رحمه اللّه ملکا شجاعا مقداما غازیا مجاهدا مرابطا خلیقا بالملک خفیف الوطأة سریع الحرکة یباشر الحروب بنفسه.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۸

قال الحافظ أبو عبد اللّه الذهبیّ فی تاریخه بعد ما أثنی علیه: «و کان خلیقا بالملک لو لا ما کان فیه من الظّلم، و اللّه یرحمه و یغفر له، فإنّ له أیاما بیضا فی الإسلام و مواقف مشهورة و فتوحات معدودة». انتهی کلام الذهبی باختصار.

و قال الشیخ قطب الدین الیونینیّ فی الذّیل علی مرآة الزمان فی موت الملک الظاهر هذا نوعا ممّا قاله الأمیر بیبرس الدّاوادار لکنّه زاد أمورا نحکیها، قال:

حکی لی ابن شیخ السلامیة عن الأمیر أزدمر العلائیّ نائب السلطنة بقلعة صفد قال: کان الملک الظاهر مولعا بالنجوم و ما یقوله أرباب التقاویم، کثیر البحث عن ذلک، فأخبر أنّه یموت فی سنة ستّ و سبعین ملک بالسمّ، فحصل عنده من ذلک أثر کبیر، و کان عنده حسد شدید لمن یوصف بالشجاعة، و اتّفق أنّ الملک القاهر عبد الملک بن المعظّم عیسی الآتی ذکره لمّا دخل مع الملک الظاهر إلی الروم، و کان یوم المصافّ، فدام الملک القاهر فی القتال فتأثّر الظاهر منه، ثم انضاف إلی ذلک أنّ الملک الظاهر حصل منه فی

ذلک اليوم فتور على خلاف العادة، و ظهر عليه الخوف و النّدم على تورّطه فى بلاد الروم، فحدّثه الملک القاهر عبد الملک المذکور بما فيه نوع من الإنکار عليه و التّقبيح لأفعاله، فأثّر ذلک عنده أثرا آخر.

فلمّا عاد الظاهر من غزوته سمع الناس يلهجون بما فعله الملک القاهر، فزاد على ما فى نفسه و حقد عليه، فخيّل فى ذهنه أنّه إذا سمّه کان هو الذى ذکره أرباب النجوم، فأحضره عنده ليشرب القمزّ معه، و جعل الذى أعدّه له من السمّ فى ورقة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۷۹

فى جيبه من غير أن يطّلع على ذلک أحد، و کان للسلطان هنّبا بات ثلاثة مختصّة به مع ثلاثة سقاة لا يشرب فيها إلّا من يکرمه السلطان، فأخذ الملک الظاهر الکأس بيده و جعل فيه ما فى الورقة خفية، و أسقاه للملک القاهر و قام الملک الظاهر إلى الخلاء و عاد، فنسى الساقى و أسقى الملک الظاهر فيه و فيه بقايا السمّ. انتهى کلام قطب الدين.

و خلّف الملک الظاهر من الأولاد: الملک السعيد ناصر الدين محمد برکة خان.

و مولده فى صفر سنة ثمان و خمسين و ستمائة بضواحى مصر، و أمّه بنت الأمير حسام الدين برکة خان بن دولة خان الخوارزميّ. و الملک [نجم الدين] خضرا، أمّه أم ولد. و الملک بدر الدين سلامش. و ولد له من البنات سبع. و أما زوجاته فأمّ الملک السعيد بنت برکة خان، و بنت الأمير سيف الدين نوکاى التّتاريّ، و بنت الأمير سيف الدين کراى التّتاريّ، و بنت الأمير سيف نوغاى التّتاريّ، و شهرزوريّة تزوّجها لمّا قدم غزّة و حالف الشّهرزوريّة قبل سلطنته، فلما تسلطن طلّقها.

و أمّا وزراؤه- لمّا تولى السلطنة استمرّ زين الدين يعقوب بن عبد الرفيع بن الزّبير، ثم صرفه و استوزر الصاحب بهاء الدّين علىّ بن محمد بن سليم بن حنّا. و کان للملک الظاهر أربعة آلاف مملوک مشتريات أمراء و خاصّکيّة و أصحاب وظائف.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۰

و أمّا سيرته و أحکامه و شرف نفسه حکى: أنّ الأشرف صاحب حمص کتب إليه يستأذنه فى الحجّ، و فى ضمن الکتاب شهادة عليه أنّ جميع ما يملکه انتقل عنه إلى الملک الظاهر، فلم يأذن له الملک الظاهر فى تلک السنة غضبا منه لکونه کتب ذلک، و اتّفق أنّ الأشرف مات بعد ذلک فتسلّم الملک الظاهر حصونه التى کانت بيده و لم يتعرّض للترکة، و مکّن ورثته من الموجود و الأملاک، و کان شيئا کثيرا إلى الغاية، و دفع الملک الظاهر إليهم الشهادة و قد تجنّبوا التّرکة لعلمهم بالشهادة.

و منها أن شعرا بانياس و هى إقليم يشتمل على أرض کثيرة عاطلة بحکم استيلاء الفرنج على صفد، فلمّا افتتح صفد أفتاه بعض العلماء باستحقاق الشعرا فلم يرجع إلى الفتيا، و تقدّم أمره أنّ من کان له فيها ملک قديم فليتسلّمه.

و أمّا صدقاته فکان يتصدّق فى کلّ سنة بعشرة آلاف إردب قمح فى الفقراء و المساکين و أرباب الزوايا، و کان يرتّب لأيتام الأجناد ما يقوم بهم على کثرتهم، و وقف وقفا على تکفين أموات الغرباء بالقاهرة و مصر، و وقفا ليشترى به خبز و يفرّق فى فقراء المسلمين، و أصلح قبر خالد بن الوليد- رضى اللّه عنه- بحمص، و وقف وقفا على من هو راتب فيه من إمام و مؤذّن و غير ذلک، و وقف على قبر أبى عبيدة بن الجرّاح- رضى اللّه عنه- وقفا مثل ذلک، و أجرى على أهل الحرمين و الحجاز و أهل بدر و غيرهم ما کان انقطع فى أيّام غيره من الملوک.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۱

و أمّا عمائره: المدارس و الجوامع و الأسبلة و الأربطة فکثيرة، و غالبها معروفة به، و کان يخرج کلّ سنة جملة مستکثرة يستفکّ بها من حبسه القاضى من المقلّين، و کان يرتّب فى أوّل شهر رمضان بمصر و القاهرة مطابخ لأنواع الأطعمة، و تفرّق على الفقراء و المساکين.

و أمّا حرمته و مهابته، منها: أنّ يهوديا دفن بقلعة جعبر عند قصد التّتار لها مصاغا و ذهبا و هرب بأهله إلى الشام و استوطن حماة، فلمّا أمن کتب إلى صاحب حماة يعرّفه و يسأله أن يسيّر معه من يحفظه ليأخذ خبيئته و يدفع لبيت المال نصفه، فطالع صاحب حماة الملک الظاهر بذلک، فردّ عليه الجواب أنّه يوجّهه مع رجلين ليقضى حاجته؛ فلّما توجهوا مع اليهوديّ و وصلوا إلى الفرات امتنع من کان معه

من العبور فعبر اليهودىّ وحده، فلمّا وصل و أخذ فی الحفر هو و ابنه و إذا بطائفة من العرب علی رأسه، فسألوه عن حاله فأخبرهم، فأرادوا قتله و أخذ المال، فأخرج لهم كتاب الملك الظاهر مطلقا إلی من عساه يقف عليه، فلمّا رأوا المرسوم كفّوا عنه و ساعدوه حتّی استخلص ماله. ثم توجّهوا به إلی حماة و سلّموه إلی صاحب حماة، و أخذوا خطّه بذلك.

و منها: أنّ جماعة من التّجّار خرجوا من بلاد العجم قاصدين مصر، فلمّا مرّوا بسيس منعهم صاحبها من العبور، و كتب إلی أبغا ملك التّتار، فأمره أبغا بالحوطة عليهم و إرسالهم إليه، و بلغ الملك الظاهر خبرهم، فكتب إلی نائب حلب بأن يكتب إلی نائب سيس، إن هو تعرّض لهم بشیء يساوی درهما واحدا أخذت عوضه مرارا، فكتب إليه نائب حلب بذلك فأطلقهم، و صانع أبغا بن هولاكو

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۲

علی ذلك بأموال جليلة حتّی لا يخالف مرسوم الظاهر، و هو تحت حكم غيره لا تحت حكم الظاهر.

و منها: أن تواقيعه التی كانت بأيدی التّجار المتردّدين إلی بلاد القبجاق [بإعفائهم من الصادر و الوارد] كان يعمل بها حيث حلّوا من مملكة بركة خان و منكوتمر و بلاد فارس و كرمان.

و منها: أنّه أعطی بعض التّجّار مالا ليشتری به مماليك و جواری من التّرك فشرهت نفس التاجر فی المال فدخل به قراقوم من بلاد التّرك و استوطنها، فوقع الملك الظاهر علی خبره، فبعث إلی منكوتمر فی أمره فأحضروه إليه تحت الحوطة إلی مصر. و له أشياء كثيرة من ذلك.

و كان الملك الظاهر يحبّ أن يطّلع علی أحوال أمرائه و أعيان دولته حتی لم يخف عليه من أحوالهم شیء. و كان يقرّب أرباب الكمالات من كلّ فنّ و علم. و كان يميل إلی التاريخ و أهله ميلا زائدا و يقول: سماع التاريخ أعظم من التجارب.

و كانت ترد عليه الأخبار و هو بالقاهرة بحركة العدوّ، فيأمر العسكر بالخروج و هم زيادة علی ثلاثين ألف فارس، فلا يبيت منهم فارس فی بيته، و إذا خرج من القاهرة لا يمكّن من العود إليها ثانيا.

قلت: كان الملك الظاهر- رحمه اللّه- يسير علی قاعدة ملوك التّتار و غالب أحكام چنكز خان من أمر «اليسق و التّورا»، و اليسق: هو الترتيب، و التّورا:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۳

المذهب باللغة التركية؛ و أصل لفظة اليسق: سی يسا، و هی لفظة مركبة من كلمتين صدر الكلمة: سی بالعجمی، و عجزها يسا بالتركیّ، لأنّ سی بالعجمی ثلاثة، و يسا بالمغلیّ الترتيب، فكأنّه قال: التراتيب الثلاثة. و سبب هذه الكلمة أنّ چنكز خان ملك المغل كان قسّم ممالكه فی أولاده الثلاثة، و جعلها ثلاثة أقسام، و أوصاهم بوصايا لم يخرجوا عنها التّرك إلی يومنا هذا، مع كثرتهم و اختلاف أديانهم، فصاروا يقولون: سی يسا (يعنی التراتيب الثلاثة التی رتّبها چنكز خان)، و قد أوضحنا هذا فی غير هذا الكتاب بأوسع من هذا. انتهی. فصارت التّرك يقولون: «سی يسا» فثقل ذلك علی العامّة فحرّفوها علی عادة تحاريفهم، و قالوا: سياسة. ثم إنّ الترك أيضا حذفوا صدر الكلمة، فقالوا: يسا مدّة طويلة، ثم قالوا: يسق، و استمرّ ذلك إلی يومنا هذا. انتهی.

قلت: و الملك الظاهر هذا هو الذی ابتدأ فی دولته بأرباب الوظائف من الأمراء و الأجناد، و إن كان بعضها قبله فلم تكن علی هذه الصّيغة أبدا؛ و أمثّل لذلك مثلا فيقاس عليه، و هو أنّ الدّوادار كان قديما لا يباشره إلا متعمّم يحمل الدّواة و يحفظها. و أمير مجلس هو الذی كان يحرس مجلس قعود السلطان و فرشه.

و الحاجب هو البوّاب الآن، لكونه يحجب الناس عن الدخول؛ و قس علی هذا.

فجاء الملك الظاهر جدّد جماعة كثيرة من الأمراء و الجند و رتّبهم فی وظائف:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۴

كالدّوادار و الخازندار و أمير آخور و السّراخور و السّقاة و الجمداريّة و الحجّاب و رءوس النّوب و أمير سلاح و أمير مجلس و أمير

شکار.

فأمّا موضوع أمیر سلاح فی أیّام الملک الظاهر فهو الذی کان یتحدّث علی السّلاح داریّة، و یناول السلطان آلة الحرب و السّلاح فی یوم القتال و غیره، مثل یوم الأضحی و ما أشبهه. و لم یکن إذ ذاک فی هذه المرتبة (أعنی الجلوس رأس میسرة السلطان)، و إنّما هذا الجلوس کان إذ ذاک مختصّا بأطابک. ثم بعده فی الدولة الناصریّة محمد بن قلاوون برأس نوبة الأمراء کما سیأتی ذکره فی محلّه. و تأیید ذلک یأتی فی أوّل ترجمة الملک الظاهر برقوق، فإنّ برقوق نقل أمیر سلاح قطلوبغا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۵

الکوکائیّ إلی حجوبیّة الحجّاب. و أمیر مجلس کان موضوعها فی الدولة الظاهریّة بیبرس یتحدّث علی الأطبّاء و الکحّالین و المجبّرین، و کانت وظیفة جلیلة أکبر قدرا من أمیر سلاح.

و أمّا الدّواداریّة فکانت وظیفة سافلة. کان الذی یلیها أوّلا غیر جندی، و کانت نوعا من أنواع المباشرة، فجعلها الملک الظاهر بیبرس علی هذه الهیئة، غیر أنّه کان الذی یلیها أمیر عشرة. و معنی دوادار باللغة العجمیة: ماسک الدّواة، فإنّ لفظة «دار» بالعجمیّ: ماسک، لا ما یفهمه عوامّ المصریّین أنّ دارا هی الدار التی یسکن فیها، کما یقولون فی حقّ الزّمام: زمام الآدر؛ و صوابه زمام دار. و أوّل من أحدث هذه الوظیفة ملوک السّلجوقیّة. و الجمدار، الجمی هی البقجة باللغة العجمیة، و دار تقدّم الکلام علیه، فکأنّه قال: ماسک البقجة التی للقماش. و قس علی هذا فی کلّ لفظ یکون فیه دار من الوظائف.

و أمّا رأس نوبة فهی عظیمة عند التّتار، و یسمّون الذی یلیها «یسوول» بتفخیم السین. و الملک الظاهر أوّل من أحدثها فی مملکة مصر. و الأمیر آخور أیضا وظیفة عظیمة؛ و المغل تسمی الذی یلیها «آق طشی». و أمیر آخور لفظ مرکب من فارسی و عربی، فأمیر معروف و آخور هو اسم المذود بالعجمیّ، فکأنّه یقول:

أمیر المذود الذی یأکل فیه الفرس. و کذلک السلاخوری و غیره؛ مما أحدثها الملک الظاهر أیضا.

و أمّا الحجوبیّة فوظیفة جلیلة فی الدولة الترکیّة، و لیس هی الوظیفة التی کان یلیها حجبة الخلفاء، فأولئک کانوا حجبة یحجبون الناس عن الدخول علی الخلیفة، لیس من شأنهم الحکم بین الناس و الأمر و النهی؛ و هی ممّا جدده الملک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۶

الظاهر بیبرس، لکنها عظمت فی دولة الملک الناصر محمد بن قلاوون حتّی عادلت النّیابة.

و أمّا ما عدا ذلک من الوظائف فأحدثها الملک الناصر محمد بن قلاوون کما سیأتی بیانه فی تراجمه الثلاث من هذا الکتاب، بعد أن جدّد والده الملک المنصور قلاوون وظائف أخر کما سیأتی ذکره أیضا فی ترجمته علی ما شرطناه فی هذا الکتاب من أنّ کلّ من أحدث شیئا عزیناه له. و ممّا أحدثه الملک الظاهر أیضا البرید فی سائر ممالکه، بحیث إنّه کان یصل إلیه أخبار أطراف بلاده علی اتّساع مملکته فی أقرب وقت.

و أمّا ما افتتحه من البلاد و صار إلیه من أیدی المسلمین فعدّة بلاد و قلاع.

و الذی افتتحه من أیدی الفرنج- خذلهم اللّه-: قیساریّة، و أرسوف، و صفد، و طبریّة، و یافا، و الشّقیف، و أنطاکیة، و بغراس، و القصیر، و حصن الأکراد و عکّار، و القرین، و صافیثا، و مرقیّة. و ناصفهم علی المرقب و بانیاس و بلاد أنطرطوس و علی سائر ما بقی فی أیدیهم من البلاد و الحصون و غیرها. و استعاد من صاحب سیس دربساک، و درکوش، و رعبان، و المرزبان و بلادا أخر. و الذی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۷

صار إلیه من أیدی المسلمین: دمشق و بعلبک و عجلون و بصری و صرخد و الصّلت، و کانت هذه البلاد التی تغلّب علیها الأمیر علم الدین سنجر الحلبی بعد موت الملک المظفّر قطز، لما تسلطن بدمشق و تلقّب بالملک المجاهد. انتهی. و حمص، و تدمر، و الرّحبة، و دلویا، و تلّ باشر، و هذه البلاد انتقلت إلیه عن الملک الأشرف صاحب حمص فی سنة اثنتین و ستین و ستمائة. و صهیون و بلاطنس،

و برزیه، و هذه منتقلة إلیه عن الأمیر سابق الدین سلیمان بن سیف الدین أحمد و عمّه عزّ الدین.

و حصون الإسماعیلیّة و هی: الکهف، و القدموس، و المینقة، و العلّیقة، و الخوابی، و الرّصافة، و مصیاف، و القلیعة. و أمّا انتقل إلیه عن الملک المغیث ابن الملک العادل أبی بکر ابن الملک الکامل محمد ابن الملک العادل أبی بکر بن أیّوب: الشّوبک، و الکرک.

و ما انتقل إلیه عن التّتار: بلاد حلب الشمالیّة بأسرها، و شیزر، و البیرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۸

و فتح اللّه علی یدیه بلاد النّوبة، و فیها من البلاد ممّا یلی أسوان جزیرة بلاق؛ ویلی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۸۹

هذه البلاد بلاد العلی و جزیرة میکائیل؛ و فیها بلاد و جزائر الجنادل و هی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۰

أیضا بلاد، و لمّا فتحها أنعم بها علی ابن عمّ المأخوذة منه، ثم ناصفه علیها، و وضع علیه عبیدا و جواری و هجنا و بقرا، و عن کلّ بالغ من رعیّته دینارا فی کلّ سنة.

و کانت حدود مملکة الملک الظاهر من أقصی بلاد النّوبة إلی قاطع الفرات. و وفد علیه من التّتار زهاء عن ثلاثة آلاف فارس، فمنهم من أمره طبلخاناه، و منهم من جعله أمیر عشرة إلی عشرین، و منهم من جعله من السّقاة، ثم جعل منهم سلحداریّة و جمداریّة و منهم من أضافه إلی الأمراء.

و أمّا مبانیه فکثیرة منها ما هدمه التّتار من المعاقل و الحصون. و عمّر بقلعة الجبل دار الذهب، و برحبة الحبارج قبّة عظیمة محمولة علی اثنی عشر عمودا من الرخام الملوّن، و صور فیها سائر حاشیته و أمرائه علی هیئتهم، و عمّر بالقلعة أیضا طبقتین مطلّتین علی رحبة الجامع و أنشأ برج الزاویة المجاورة لباب القلعة، و أخرج منه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۱

رواشن، و بنی علیه قبّة و زخرف سقفها، و أنشأ جواره طباقا للممالیک أیضا.

و أنشأ برحبة باب القلعة دارا کبیرة لولده الملک السعید، و کان فی موضعها حفیر فعقد علیه ستة عشر عقدا، و أنشأ دورا کثیرة بظاهر القاهرة [ممّا یلی القلعة و إصطبلات] برسم الأمراء، فإنّه کان یکره سکنی الأمیر بالقاهرة مخافة من حواشیه علی الرعیّة.

و أنشأ حمّاما بسوق الخیل لولده الملک السعید، و أنشأ الجسر الأعظم و القنطرة التی علی الخلیج، و أظنّها قنطرة السّباع، و أنشأ المیدان بالبورجی و نقل إلیه النخیل بالثمن الزائد من الدیار المصریّة، فکانت أجرة نقله ستة عشر ألف دینار، و أنشأ به

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۲

المناظر و القاعات و البیوتات. و جدّد جامع الأنور (أعنی جامع الظافر العبیدیّ) المعروف الآن بجامع الفاکهیّین و الجامع الأزهر، و بنی جامع العافیة بالحسینیّة و أنفق علیه فوق الألف ألف درهم، و أنشأ قریبا منه زاویة الشیخ خضر و حمّاما و طاحونا و فرنا و عمّر بالمقیاس قبّة رفیعة [مزخرفة]، و أنشأ عدّة جوامع بالدیار المصریّة؛ و جدّد قلعة الجزیرة، و قلعة العمودین ببرقة، و قلعة السّویس، و عمّر جسرا بالقلیوبیّة، و القناطر علی

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۳

بحر أبی المنجّا و قنطرة بمنیة السّیرج، و قنطرتین عند القصیر علی بحر إبراش بسبعة أبواب مثل قنطرة بحر أبی المنجّا، و أنشأ فی الجسر الذی یسلک فیه إلی دمیاط ستّ عشرة قنطرة، و بنی علی خلیج الإسکندریة قریبا من قنطرتها [القدیمة] قنطرة عظیمة بعقد واحد، و حفر خلیج الإسکندریة و کان قد ارتدم بالطّین، و حفر بحر أشموم، و کان قد عمی، و حفر ترعة الصلاح و خورسخا و حفر المحامدی و الکافوری، و حفر فی ترعة أبی الفضل ألف قصبة، و حفر بحر الصّمصام بالقلیوبیّة، و حفر بحر سردوس.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۴

و تمّم عمارة حرم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و سلّم و عمل منبره، و جعل بالضریح النّبویّ درابزینا، و ذهّب سقوفه و جدّدها و بیّض حیطانه؛ و جدّد البیمارستان بالمدینة النبویّة، و نقل إلیه سائر المعاجین و الأکحال و الأشربة، و بعث إلیه طبیبا [من الدیار المصریّة].

و جدّد فی الخلیل علیه السلام قبّته، و رمّ شعثه و أصلح أبوابه [و میضأته] و بیّضه و زاد فی راتبه. و جدّد بالقدس الشریف ما کان قد تهدّم من [قبّة] الصخرة، و جدّد قبّة السلسلة و زخرفها و أنشأ بها خانا للسبیل، نقل بابه من دهلیز کان للخلفاء المصریّین بالقاهرة، و بنی به مسجدا و طاحونا و فرنا و بستانا. و بنی علی قبر موسی علیه السلام قبّة و مسجدا، و هو عند الکثیب الأحمر قبلی أریحا و وقف علیه وقفا. و جدّد بالکرک برجین کانا صغیرین فهدمهما و غیّرهما. و وسّع عمارة مشهد جعفر الطیّار- رضی اللّه عنه- و وقف علیه وقفا زیادة علی وقفه علی الزائرین له و الوافدین علیه. و عمر جسرا بقریة دامیة بالغور علی نهر الشّریعة، و وقف علیه وقفا برسم ما عساه یتهدّم منه. و أنشأ جسورا کثیرة بالغور و الساحل.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۵

و أنشأ قلعة قاقون و بنی بها جامعا و وقف علیه وقفا، و بنی علی طریقها حوضا للسبیل. و جدّد جامع مدینة الرملة، و أصلح جامعا لبنی أمیّة و وقف علیه وقفا.

و عدّة جوامع و مساجد بالساحل.

و جدّد باشورة لقلعة صفد و أنشأها بالحجر الهرقلیّ، و عمّر لها أبراجا و بدنات، و صنع بغلات مصفّحة دائر الباشورة بالحجر المنحوت، و أنشأ بالقلعة صهریجا کبیرا مدرّجا من أربع جهاته، و بنی علیه برجا زائد [الارتفاع]، قیل إن ارتفاعه مائة ذراع، و بنی تحت البرج حمّاما، و صنع الکنیسة جامعا و أنشأ رباطا ثانیا، و بنی حمّاما و دارا لنائب السلطنة.

و کانت قلعة الصّبیبة قد أخربها التّتار، و لم یبقوا منها إلّا الآثار فجدّدها، و أنشأ لجامعها منارة، و بنی بها دارا لنائب السلطنة، و عمل جسرا یمشی علیه إلی القلعة.

و کان التّتار قد هدموا شراریف قلعة دمشق، و رءوس أبراجها، فجدّد ذلک کلّه، و بنی فوق برج الزاویة المطلّ علی المیادین و سوق الخیل طارمة کبیرة، و جدّد منظرة علی قائمة مستجدّة علی البرج المجاور لباب النصر، و بیّض البحرة و جدّد دهان سقوفها: و بنی حمّاما خارج باب النصر بدمشق، و جدّد ثلاثة إسطبلات علی الشّرف الأعلی، و بنی القصر الأبلق بالمیدان بدمشق و ما حوله من العمائر. و جدّد مشهد زین العابدین رضی اللّه عنه بجامع دمشق، و أمر بترخیم الحائط الشمالی،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۶

و تجدید باب البرید و فرشه بالبلاط. و رمّ شعث مغارة الدم. و جدّد المبانی التی هدموها التّتار من قلعة صرخد. و جدّد قبر نوح علیه السلام بالکرک. و جدّد أسوار حصن الأکراد، و عمّر قلعتها. و عمّر جوامع و مساجد بالساحل یطول الشرح فی ذکرها حذفتها خوف الإطالة.

و بنی فی أیامه بالدیار المصریّة ما لم یبن فی أیام الخلفاء المصریّین، و لا ملوک بنی أیّوب من الأبنیة و الرّباع و الخانات و القواسیر و الدّور و المساجد و الحمّمات، من قریب مسجد التّبن إلی أسوار القاهرة إلی الخلیج و أرض الطّبّالة، و اتّصلت العمائر إلی باب المقسم إلی اللّوق إلی البورجی؛ و من الشارع إلی الکبش

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۷

و حدرة ابن قمیحة إلی تحت القلعة و مشهد السیدة نفیسة رضی اللّه عنها إلی السّور القراقوشیّ. و کلّ ذلک من کثرة عدله و إنصافه للرعیّة و النّظر فی أمورهم و إنصاف الضعیف من المستضعف و الذّبّ عنهم من العدوّ المخذول رحمه اللّه و عفا عنه.

ذکر ما کان ینوب دولته من الکلف- کانت عدّة العساکر بالدیار المصریّة أیّام الملک الکامل محمد و ولده الملک الصالح أیّوب

عشرة آلاف فارس، فضاعفها أربعة أضعاف؛ و کان اولئک الذین کانوا قبله العشرة آلاف مقتصدین فی الملبوس و النفقات و العدد، و هؤلاء (أعنی عسکر الظاهر الأربعین ألفا)، کانوا بالضدّ من ذلک؛ و کانت کلف ما یلوذ بهم من إقطاعهم، و هؤلاء کلفهم علی الملک الظاهر؛ و لذلک تضاعفت الکلف فی أیّامه. فإنّه کان یصرف فی کلف مطبخ أستاذه الملک الصالح أیّوب ألّف رطل [لحم] بالمصریّ خاصّة نفسه فی کلّ یوم؛

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۸

و المصروف فی مطبخ الملک الظاهر عشرة آلاف رطل کلّ یوم عنها و عن توابلها عشرون ألف درهم نقرة، و یصرف فی خزانة الکسوة فی کل یوم عشرون ألف درهم، و یصرف فی الکلف الطارئة المتعلّقة بالرّسل و الوفود فی کلّ یوم عشرون ألف درهم، و یصرف عن قرط دوابّه و دوابّ من یلوذ به فی کلّ سنة ثمانمائة ألف درهم، و یقوم بکلف الخیل و البغال و الجمال و الحمیر من العلوفات خمس عشرة ألف علیقة فی الیوم، عنها ستمائة إردب؛ و ما کان یقوم به لمن أوجب نفقته و ألزمها علیه تطحن و تحمل إلی المخابز المعدّة لعمل الجرایات خلا ما یصرف علی أرباب الرواتب فی کلّ شهر عشرون ألف إردب؛ و ذلک بالدیار المصریّة خاصة. و هذا خلاف الطوارئ التی کانت تفد علیه فما یمکن حصرها. و کلف أسفاره و تجدید السلاح فی کلّ قلیل؛ و ما کان علیه من الجوامک و الجرایات لممالیکه و لأرباب الخدم؛ فکان دیوانه یفی بذلک کلّه؛ و یحمل لحاصله جملة کبیرة فی السنة من الذهب.

و کان سبب ذلک أنه رفع أیدی الأقباط من غالب تعلّقاته فافتقر أکثرهم فی أیّامه؛ و باشروا الصنائع کالتجارة و البنایة؛ و لا زال أمرهم علی ذلک حتی تراجع فی أواخر الدولة الناصریّة محمد بن قلاوون. انتهت ترجمة الملک الظاهر بیبرس، رحمه اللّه تعالی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۱۹۹

و نذکر بعض أحواله، إن شاء اللّه تعالی، فی حوادث سنینه کما هو عادة هذا الکتاب علی سبیل الاختصار. و قد أطلت فی ترجمته و هو مستحقّ لذلک، لأنّه فرع فاق أصله، کونه کان من جملة ممالیک الملک الصالح نجم الدین أیّوب فزادت محاسنه علیه.

و أمّا من یأتی بعده فلا سبیل إلیه. و یعجبنی فی هذا المعنی المقالة الثانیة عشرة من قول الشیخ الإمام العالم العارف الرّبّانیّ شرف الدین عبد المؤمن بن هبة اللّه الأصفهانیّ المعروف بشوروة رحمه اللّه فی کتابه الذی فی اللّغة و سمّاه «أطباق الذهب» یشتمل علی مائة مقالة [و اثنتین] أحسن فیها غایة الإحسان، و هی:

«لیس الشریف من تطاول و تکاثر، إنّما الشریف من تطوّل و آثر؛ و لیس المحسن من روی القرآن، إنّما المحسن من أروی الظمآن؛ و لیس البرّ إبانة الحروف بالإمالة و الاشباع، لکنّ البرّ إغاثة الملهوف بالإنالة و الإشباع؛ و لا خیر فی زکأة لا یسدی معروفا، و لا برکة فی لبنة لا تروی خروفا؛ فوا [ها] لک، لمن تدّخر أموالک! أنفق ألفک، قبل أن یقسم خلفک؛ إنّ منازل الخلق سواسیة، إلّا من له ید مواسیة؛ فأرفعهم أنفعهم، و أسودهم أجودهم، و أفضلهم أبذلهم؛ و خیر الناس من سقی ملواحا،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۰

و نصب للجنّة ملواحا؛ و الکرم نوعان، أحسنهما إطعام الجوعان؛ و الحازم من قدّم الزاد لعقبة العقبی، و آتی المال علی حبّه ذوی القربی». انتهت المقالة. و اللّه سبحانه و تعالی أعلم بالصواب.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۵۹]

السنة الأولی من ولایة السلطان الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ علی مصر، و هی سنة تسع و خمسین و ستمائة، علی أنّه حکم فی آخر السنة الماضیة نحو الشهر.

قلت: و دخلت سنة تسع و خمسین المذکورة و لیس للمسلمین خلیفة، و کان أوّلها یوم الاثنین لأیّام خلون من کانون أحد شهور الروم؛ و کانون بالقبطیّ کیهک. فدخلت السنة و السلطان بدیار مصر الملک الظاهر بیبرس، و صاحب مکّة نجم الدین أبو نمیّ بن

أبى سعد الحسنىّ، و صاحب المدينة جمّاز بن شيحة الحسينىّ، و صاحب دمشق و بعلبکّ و بانياس و الصّبيبة الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ، تغلّب عليها و تسلطن و تلقّب بالملک المجاهد، و نائب حلب من قبل الملک الظاهر بيبرس الأمير حسام الدين لاچين الجوکندار العزيزىّ، و صاحب الموصل الملک الصالح إسماعيل ابن الملک الرحيم لؤلؤ، و صاحب جزيرة ابن عمر أخوه الملک المجاهد سيف الدين إسحاق بن لؤلؤ المذکور، و صاحب ماردين الملک السعيد نجم الدين إيلغازى الأرتقىّ، و صاحب بلاد الروم رکن الدين قليج أرسلان ابن السلطان غياث الدين کيخسرو بن علاء الدين کيقباد السّلجوقىّ و أخوه عزّ الدين کيکاوس،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۱

و البلاد بينهما مناصفة، و صاحب الکرک و الشّوبک الملک المغيث [فتح الدين عمر] ابن الملک العادل ابن الملک الکامل ابن الملک العادل بن أيّوب، و صاحب حماة الملک المنصور محمد الأيّوبىّ، و صاحب حمص و تدمر و الرّحبة الملک الأشرف مظفّر الدين موسى، و صاحب مرّاکش من بلاد المغرب أبو حفص عمر الملقّب بالمرتضى، و صاحب تونس أبو عبد اللّه محمد بن أبى زکريّا، و صاحب اليمن الملک المظفّر شمس الدين يوسف بن عمر التّرکمانىّ من بنى رسول.

و فيها کانت کسرة التّتار على حمص، و قد تقدّم ذکر ذلک.

و فيها ملک السلطان الملک الظاهر دمشق و أخرج منها علم الدّين سنجر الحلبىّ، و ولّى نيابتها الأمير علاء الدين أيدکين البندقدارىّ، أستاذ الملک الظاهر بيبرس هذا، الذى أخذه الملک الصالح نجم الدين أيّوب منه، حسب ما ذکرنا ذلک أوّل ترجمة الملک الظاهر.

و فيها وصل الخليفة المستنصر بالله إلى القاهرة و بويع بالخلافة، و سافر صحبة الملک الظاهر إلى الشام، ثم فارقه و توجّه إلى العراق فقتل، و قد مرّ ذکر ذلک کلّه أيضا.

و فيها توفّى الملک الصالح نور الدين إسماعيل ابن الملک المجاهد أسد الدين شير کوه بن محمد بن أسد الدين شير کوه الکبير، کان الملک الصالح هذا صاحب حمص

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۲

ملکها بعد موت أبيه، و کان له اختصاص کبير بابن عمّه الملک الناصر صلاح الدين يوسف صاحب حلب و الشام، و کان الصالح هذا يدارى التّتار و لا يشاققهم، و آخر الأمر أنه قتل فى وقعة هولاکو بيد التّتار رحمه اللّه تعالى لمّا توجّه إليهم صحبة الملک الناصر صلاح الدين يوسف المذکور، و کان عنده حزم و شجاعة.

و فيها توفّى الشيخ الأديب الفقيه مخلص الدين إسماعيل بن عمر [بن يوسف] ابن قرناص الحموىّ الشاعر المشهور، کان فصيحا شاعرا من بيت علم و أدب.

و من شعره رحمه اللّه تعالى:

أمّا و اللّه لو شقّت قلوب ليعلم ما بها من فرط حبّى

لأرضاک الذى لک فى فؤادى و أرضانى رضاک بشقّ قلبى

و فيها توفّى الملک السعيد إيلغازى نجم الدين [ابن أبى الفتح أرتق بن إيلغازى ابن ألبى بن تمرتاش بن إيلغازى] الأرتقى صاحب ماردين، مات فى سادس صفر، و قيل فى ذى الحجّة سنة ثمان و خمسين.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الواعظ المحدّث أبو عمرو عثمان بن مکّى بن عثمان السّعدىّ الشّارعىّ الشّافعىّ، سمع الکثير و اعتنى به والده فأسمعه من نفسه و غيره، و کان ينشد لأبى العتاهية:

اصبر لدهر نال من ک فهکذا مضت الدّهور

فرح و حزن مرّة لا الحزن دام و لا السّرور

و فيها توفّى الأديب الفاضل نور الدين أبو الحسن علىّ بن يوسف بن أبى المکارم عبد اللّه الأنصارىّ المصرىّ المعروف بالعطّار، کان

شاعرا فاضلا، مات قبل الأربعین سنة من عمره. و من شعره ملغزا فی کوز الزّیر:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۳

و ذی أذن بلا سمع له قلب بلا لبّ

مدی الأیّام فی خفض و فی رفع و فی نصب

إذا استولی علی الحبّ فقل ما شئت فی الصّبّ

و فیها کانت مقتلة السلطان الملک الناصر صلاح الدین یوسف، و کنیته أبو المظفّر، ابن السلطان الملک العزیز محمد ابن السلطان الملک الظاهر غازی ابن السلطان صلاح الدین یوسف ابن الأمیر نجم الدین أیّوب الأیّوبی الحلبیّ، و کان صاحب حلب ثم صاحب الشام. ولد بقلعة حلب فی شهر رمضان سنة سبع و عشرین و ستمائة، و سلطنوه عند موت أبیه سنة أربع و ثلاثین، و قام بتدبیر مملکته الأمیر شمس الدین لؤلؤ الأمینی، و عز الدین بن المحلی، و الوزیر الأکرم جمال الدین القفطیّ، و الطواشی جمال الدولة إقبال الخاتونیّ، و الأمر کلّه راجع لأمّ [أبیه] الصاحبة صفیّة خاتون بنت الملک العادل أبی بکر بن أیّوب. و ماتت سنة أربعین و استقلّ الملک الناصر هذا و أمر و نهی. و وقع للملک الناصر هذا أمور و وقائع و محن، و هو الذی کان الملک الظاهر بیبرس لمّا خرج من مصر فی نوبة البحریّة توجّه إلیه و صار فی خدمته. و قد مرّ ذکره فی مواطن کثیرة من هذا الکتاب، من قدومه نحو القاهرة فی جفلة التّتار، و رجوعه من قطیة إلی البلاد الشامیّة، و غیر ذلک، ثم آل أمره إلی أن توجّه إلی ملک التّتار هولاکو و توجّه معه أخوه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۴

الملک الظاهر سیف الدین غازی، و کان رشّح للملک، و الملک الصالح نور الدین إسماعیل صاحب حمص المقدّم ذکره فی هذه السنة؛ و لمّا وصل الملک الناصر إلی هولاکو أحسن إلیه و أکرمه إلی أن بلغه کسرة عین جالوت غضب علیه و أمر بقتله، فاعتذر إلیه فأمسک عن قتله، لکن أعرض عنه، فلمّا بلغه کسرة بیدرا علی حمص قتله و قتل أخاه سیف الدین غازیا المذکور، و قتل الملک الصالح نور الدین صاحب حمص و جمیع من کان معه سوی ولده الملک العزیز. و کان الملک الناصر ملیح الشکل إلّا أنّه کان أحول؛ و کان عنده فصاحة و معرفة بالأدب، و کان کریما عاقلا فاضلا جلیلا متجمّلا فی ممالیکه و ملبسه و مرکبه، و کان فصیحا شاعرا لطیفا.

قال ابن العدیم: أنشدنی لنفسه. (یعنی الملک الناصر هذا).

البدر یجنح للغروب و مهجتی لفراق مشبهه أسی تتقطّع

و الشّرب قد خاط النعاس جفونهم و الصبح من جلبابه یتطلّع

قال و أنشدنی لنفسه رحمه اللّه تعالی:

الیوم یوم الأربعا فیه یطیب المرتعی

یا صاحبی أما تری شمل المنی قد جمّعا

و قد حوی مجلسنا جلّ السرور أجمعا

فقم بنا نشربها ثلاثة و أربعا

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۵

من کفّ ساق أهیف شبیه بدر طلعا

فی خدّه و ثغره ورد و درّ صنعا

یسطو و یرنو تارة و اللیث و الظبی معا

و له لمّا مرّت به التّتار علی حلب، و هی خاویة علی عروشها و قد تهدّمت و النّیران بها تعمل، فقال:

يعزّ علينا أن نرى ربعكم يبلى و كانت به آيات حسنكم تتلى

و له يشتاق إلى حلب و منازلها:

سقى حلب الشّهباء فى كل لزبة سحابة غيث نوءها ليس يقلع

فتلك ديارى لا العقيق و لا الغضا و تلك ربوعى لا زرود و لعلع

قلت: و قد ذكرنا من محاسنه و فضله نبذة كبيرة فى تاريخنا «المنهل الصافى، و المستوفى بعد الوافى» إذ هو كتاب تراجم يحسن التطويل فيه. انتهى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الجمال عثمان بن مكىّ ابن السّعدىّ الشارعىّ الواعظ فى شهر ربيع الآخر، و له خمس و سبعون سنة.

و أبو الحسن محمد بن الأنجب بن أبى عبد اللّه الصوفىّ فى رجب، و له ثلاث و ثمانون سنة. و حافظ المغرب أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس اليعمرىّ بتونس فى رجب، و له واحد و ستون عاما. و كمال الدين أبو حامد محمد ابن القاضى صدر الدين عبد الملك بن عيسى بن درباس الصدر العدل فى شوّال، و له اثنتان و ثمانون سنة. و صاحب الشام الملك الناصر يوسف بن العزيز قتل صبرا،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۶

و له اثنتان و ثلاثون سنة، و قتل معه شقيقه الملك الظاهر غازى، و الملك الصالح إسماعيل ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص. و توفى بصهيون صاحبها مظفّر الدين عثمان بن منكورس فى شهر ربيع الأوّل عن سنّ عالية؛ تملّك بعد أبيه ثلاثا و ثلاثين سنة، و ولى بعد ابنه محمد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۰]

السنة الثانية من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ستين و ستمائة.

فيها استولى الملك الظاهر بيبرس صاحب الترجمة على دمشق و بعلبكّ و الصّبيبة و حلب و أعمالها خلا البيرة.

و فيها استولى التّتار على الموصل، و قتلوا الملك الصالح صاحبها الذى كان خرج مع الخليفة المستنصر من ديار مصر؛ على ما يأتى ذكرهما فى محلّه من هذه السنة.

و فيها توفّى الخليفة أمير المؤمنين المستنصر باللّه أبو القاسم أحمد ابن الخليفة الظاهر بأمر اللّه محمد ابن الناصر لدين اللّه أحمد، الذى بويع بالقاهرة بالخلافة بعد شغور الخلافة نحو سنتين و نصف، و خرج الملك الظاهر بيبرس معه إلى البلاد الشاميّة، و قد مرّ ذكر قدومه القاهرة و بيعته و سفره و قتله و رفع نسبه إلى العبّاس رضى اللّه عنه فى ترجمة الملك الظاهر هذا، و لا حاجة للإعادة؛ و من أراد ذلك فلينظره هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۷

و فيها قتل الملك الصالح إسماعيل ابن الملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل.

و قد ذكرنا وفوده على الملك و خروجه مع أخيه و الخليفة المستنصر باللّه المقدّم ذكره، فلا حاجة لذكره هنا ثانيا؛ قتل بأيدى التّتار فى ذى القعدة، و كان عارفا عادلا حسن السّيرة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين بلبان الزردكاش، كان من أعيان أمراء دمشق، و كان الأمير طيبرس الوزيرى نائب الشام إذا خرج من

الشام استنابه عليها، و كان ديّنا خيّرا. مات بدمشق فى ذى الحجّة.

و فيها توفّى الحسن بن محمد بن أحمد بن نجا الشيخ الأديب أبو محمد الغنوىّ النّصيبىّ الشافعىّ الإربلىّ المنشأ الضّرير الملقّب بالعزّ. قال صاحب الذّيل على مرآة الزمان: المشهور بعدم الدّين و الزّندقة. كان فاضلا فى العربيّة و النحو و الأدب و علوم الأوائل، منقطعا فى منزله يتردّد إليه من يقرأ عليه تلك العلوم، و كان يتردّد إليه جماعة من المسلمين و اليهود و النصارى و السامرة يقرئ الجميع؛ قال: و كان يصدر عنه من الأقوال ما يشعر بانحلال عقيدته. و مات فى شهر ربيع الاخر بدمشق. و من شعره قوله:

توهّم واشينا بليل مزاره فهم ليسعى بيننا بالتباعد

فعانقته حتّى اتحدنا تعانقا [فلمّا] أتانا ما رأى غير واحد

قال الشهاب محمود: و لمّا أنشدت هذين البيتين يعنى قول العزّ.

توهم واشينا بليل مزاره

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۸

بين يدى الملك الناصر صلاح الدين صاحب دمشق قال: لا تلمه فإنّه لزمه لزوم أعمى؛ فلمّا بلغ العزّ قول الملك الناصر؛ قال: و اللّه هذا الكلام أحلى من شعرى.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة شيخ الإسلام عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز ابن عبد السلام بن أبى القاسم بن الحسن بن محمد بن المهذّب السلمى الدّمشقىّ الشافعىّ المعروف بابن عبد السلام. مولده سنة سبع أو ثمان و سبعين و خمسمائة.

قال الذهبىّ: و تفقّه على الإمام فخر الدين ابن عساكر، و قرأ الأصول و العربيّة، و درّس و أفتى و صنّف و برع فى المذهب و بلغ رتبة الاجتهاد، و قصده الطلبة من الآفاق و تخرّج به أئمة، و له التصانيف المفيدة و الفتاوى السديدة، و كان إماما ناسكا عابدا، و تولّى قضاء مصر القديمة مدّة، و درّس بعدّة بلاد. و مات فى عاشر جمادى الأولى.

و فيها توفّى الشيخ الإمام الواعظ عزّ الدين أبو محمد عبد العزيز ابن الشيخ الإمام العلّامة أبى المظفر شمس الدين يوسف بن قزأوغلى الدمشقىّ الحنفىّ هو ابن صاحب مرآة الزمان. كان عزّ الدين فقيها واعظا فصيحا مفتّنا درّس بعد أبيه فى المدرسة المعزّية و وعظ و كان لوعظه موقع فى القلوب، و كانت وفاته بدمشق فى شوّال و دفن عند أبيه بسفح قاسيون.

و فيها توفّى الإمام العلّامة كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن محمد ابن هبة اللّه بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد اللّه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۰۹

ابن محمد بن أبى جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل العقيلىّ الحلبىّ الفقيه الحنفى الكاتب المعروف بابن العديم، و رفع نسبه بعض المؤرّخين إلى غيلان. مولده بحلب فى العشر الأوّل من ذى الحجّة سنة ستّ و ثمانين و خمسمائة، و سمع الحديث من أبيه و عمّه أبى غانم محمد و من غيرهما، و حدّث بالكثير فى بلاد متعدّدة، و درّس و أفتى و صنّف، و كان إماما عالما فاضلا مفتّنا فى علوم كثيرة، و هو أحد الرؤساء المشهورين و العلماء المذكورين. و أمّا خطّه ففى غاية الحسن يضاهى ابن البوّاب الكاتب؛ و قيل: إنّه هو الذى اخترع قلم الحواشى، و عرّض بهذا فى شعره القيسرانىّ رحمه اللّه تعالى بقوله:

بوجه معذّبى آيات حسن فقل ما شئت فيه و لا تحاشى

و نسخة حسنة قرئت و صحّت وها خطّ الكمال على الحواشى

و جمع لحلب تاريخا كبيرا فى غاية الحسن، و مات و بعضه مسودّة.

قلت: و ذيّل عليه القاضى علاء الدين علىّ ابن خطيب الناصريّة قاضى قضاة الشافعية بحلب ذيلا إلّا أنّه قصير إلى الرّكبة، وقفت عليه فلم أجده جال حول الحمى، و لا سلك فيه مسلك المذيّل عليه من الشروط، إلّا أنّه أخذ علم التاريخ بقوّة الفقه، على أنّه كان من

الفضلاء العلماء و لكنّه ليس من خيل هذا الميدان، و كان يقال فى الأمثال: من مدح بما ليس فيه فقد تعرّض للضّحكة. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۰

و محاسن ابن العديم كثيرة و علومه غزيرة، و هم بيت علم و رياسة و عراقة.

يأتى ذكر جماعة من ذرّيّته و أقاربه فى هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. و من شعر الصاحب كمال الدين المذكور ممّا كتبه على ديوان الشيخ أيدمر مولى وزير الجزيرة، و هو:

و كنت أظنّ التّرك تختصّ أعين لهم إن رنت بالسّحر منها و أجفان

إلى أن أتانى من بديع قريضهم قواف هى السحر الحلال و ديوان

فأيقنت أنّ السحر أجمعه لهم يقرّ لهم هاروت فيه و سحبان

و من شعره أيضا رحمه اللّه و أجاد فيه إلى الغاية:

فواعجبا من ريقها و هو طاهر حلال و قد أمسى علىّ محرّما

هو الخمر لكن أين للخمر طعمه و لذّته مع أنّنى لم أذقهما

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال. و فيها توفّى العلّامة عزّ الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمىّ الدّمشقى بالقاهرة فى جمادى الأولى عن ثلاث و ثمانين سنة. و الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة اللّه بن العديم العقيلىّ بعد ابن عبد السلام بأيام، و كان له اثنتان و سبعون سنة. و نقيب الأشراف بهاء الدين علىّ بن محمد بن إبراهيم بن أبى الجنّ الحسينىّ فى رجب عن إحدى و ثمانين سنة.

و ضياء الدين عيسى بن سليمان التّغلبىّ فى رمضان، و له تسعون سنة. و استشهد فى المصافّ المستنصر بالله أحمد ابن الظاهر محمد ابن الناصر فى أوائل المحرّم بالعراق،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۱

و تفرّق جمعه. و قتلت التّتار فى ذى القعدة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل بعد الأمان. و فى شهر ربيع الآخر العزّ الضرير الفيلسوف حسن ابن محمد بن أحمد الإربلى، و له أربع و سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۱]

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة إحدى و ستين و ستمائة.

فيها بايع السلطان الملك الظاهر بيبرس المذكور الخليفة الحاكم بأمر اللّه أبا العباس أحمد ابن الأمير أبى علىّ الحسن؛ و قيل: ابن محمد بن الحسن بن علىّ القبّى ابن الخليفة الراشد، و هو التاسع و الثلاثون من خلفاء بنى العبّاس، و هو أوّل خليفة من بنى العبّاس سكن بمصر و مات بها؛ و بويع يوم الخميس تاسع المحرّم من سنة إحدى و ستين و ستمائة، و كان وصوله إلى الديار المصريّة فى السنة الخاليّة.

و فيها هلك ريدا فرنس، و اسمه بواش المعروف بالفرنسيس ملك الفرنج الذى كان ملك دمياط فى دولة الملك الصالح أيّوب.

و فيها توفّى المحدّث الفاضل عزّ الدين أبو محمد عبد الرّزاق [بن رزق اللّه] ابن أبى بكر بن خلف الرّسعنىّ، كان إماما فاضلا شاعرا محدّثا. و من شعره:

[و] لو أنّ إنسانا يبلّغ لوعتى و شوقى و أشجانى إلى ذلک الرّشا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۲

لأسكنته عينى و لم أرضها له فلو لا لهيب القلب أسكنته الحشا

و فيها توفّى الأمير مجير الدين أبو الهيجاء [بن] عيسى الأزكشىّ الكردىّ الأموىّ، كان عن أعيان الأمراء و شجعانهم، و لمّا ولى الملك المظفّر قطز السلطنة، و ولّى الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ نيابة الشام جعله مشاركا له فى الرأى و التدبير فى نيابة الشام، و كان الملك الأشرف موسى بن العادل سجنه مدّة لأمر اقتضى ذلك. فلمّا كان فى السجن كتب بعض الأدباء يقول:

يا أحمد ما زلت عماد الدين يا أشجع من أمسك رمحا بيمين

لا تيئسنّ إن حصلت فى سجنهمها يوسف قد أقام فى السجن سنين

و كان مولده بمصر فى سنة ثمان و ستين و خمسمائة؛ و مات فى جمادى الأولى بمدينة إربل.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى عبد الغنى بن سليمان ابن بنين البنانىّ فى شهر ربيع الأوّل، و له ستّ و ثمانون سنة، و هو آخر من روى عن عمر. و العلّامة علم الدين القاسم بن أحمد الأندلسىّ فى رجب بدمشق، و له ستّ و ثمانون سنة. و الإمام تقىّ الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن مرهف النّاشرىّ المصرىّ المقرئ فى شعبان، و له إحدى و ثمانون سنة. و الإمام كمال الدين علىّ بن شجاع ابن سالم العبّاسىّ الضّرير فى ذى الحجّة، و له تسعون سنة إلّا شهرا.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۳

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و سبع أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۲]

السنة الرابعة من ولاية السلطان الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة اثنتين و ستين و ستمائة.

فيها انتهت عمارة مدرسة السلطان الملك الظاهر بيبرس ببين القصرين من القاهرة. و قد تقدّم ذكرها فى ترجمته.

و فيها استدعى الملك الظاهر الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارىّ إلى القاهرة؛ و أمره أن يجعل نائبه بحلب بعد خروجه الأمير نور الدين علىّ بن مجلّى ففعل ذلك، و قدم القاهرة؛ فلمّا وصل إليها عزله و أقام نور الدين عوضه فى نيابة حلب. و قد تقدّم أنّ علاء الدين أيدكين هو أستاذ الملك الظاهر بيبرس الذى اشتراه منه الملك الصالح نجم الدين أيّوب.

و فيها كان الغلاء بديار مصر فبلغ الإردبّ القمح مائة درهم و خمسة دراهم نقرة، و الشّعير سبعين درهما الإردبّ، و ثلاثة أرطال خبز بالمصرىّ بدرهم نقرة، و رطل اللحم بالمصرىّ و هو مائة و أربعة و أربعون درهما بدرهم؛ و كان هذا الغلاء عظيما بديار مصر. فلمّا وقع ذلك فرّق الملك الظاهر الفقراء على الأغنياء و الأمراء و ألزمهم بإطعامهم، ثم فرّق من شونه القمح على الزوايا و الأربطة، و رتّب للفقراء

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۴

كلّ يوم مائة اردبّ مخبوزة تفرّق بجامع ابن طولون. و دام على ذلك إلى أن دخلت السنة الجديدة و المغلّ الجديد؛ و أبيع القمح فى الإسكندريّة فى هذا الغلاء الإردبّ بثلاثمائة و عشرين درهما.

و فيها أحضر بين يدى السلطان طفل ميّت له رأسان و أربع أعين و أربع أيد و أربع أرجل، فأمر بدفنه.

و فيها توفّى القاضى كمال الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن الأسدىّ الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن الأستاذ قاضى حلب، مولده سنة إحدى عشرة و ستمائة، سمع الكثير و حدّث و درّس، و كان فاضلا عالما مشكور السّيرة مات فى شوّال.

و فيها توفّى شيخ الشيوخ الصاحب شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن بن منصور الأنصارىّ الأوسىّ الدمشقىّ المولد الحموىّ الدار و الوفاة الإمام الأديب العلّامة، مولده يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى سنة ستّ و ثمانين و خمسمائة، و سمع الحديث و تفقّه و برع فى الفقه و الحديث و الأدب، و أفتى و درّس و تقدّم عند الملوک، و ترسّل عنهم غير مرّة. و كانت له الوجاهة

التامّة و له اليد الطّولى فى الترسّل و النظم، و شعره فى غاية الحسن. و من شعره- رحمه اللّه- قوله:

إنّ قوما يلحون فى حبّ سعدى لا يكادون يفقهون حديثا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۵

سمعوا وصفها و لاموا عليها أخذوا طيّبا و أعطوا خبيثا

و له رحمه اللّه:

قلت و قد عقرب صدغا له عن شقّة الحاجب لم يحجب

قدّست يا ربّ الجمال الذى ألّف بين النون و العقرب

و له عفا اللّه عنه:

مرضت ولى جيرة كلّهم عن الرّشد فى صحبتى حائد

فأصبحت فى النقص مثل الذى و لا صلة لى و لا عائد

و له غفر اللّه له:

و لقد عجبت لعاذلى فى حبّه لمّا دجى ليل العذار المظلم

أو ما درى من سنّتى و طريقتى أنّى أميل مع السواد الأعظم

قلت: و قد استوعبنا ترجمة شيخ الشيوخ بأوسع من ذلک فى تاريخنا «المنهل الصافى» و ذكرنا من محاسنه و شعره نبذة كبيرة، و كانت وفاته ليلة الجمعة ثامن شهر رمضان بحماة رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الملک المغيث فتح الدين أبو الفتح عمر صاحب الكرک ابن السلطان الملک العادل أبى بكر محمد ابن السلطان الملک الكامل محمد ابن الملک العادل أبى بكر محمد ابن الأمير نجم الدين أيّوب الأيّوبىّ المصرىّ ثم الكركىّ. و قد ذكرنا من أمره نبذة كبيرة فى ترجمة عمّه الملک الصالح ثم من بعده فى عدّة تراجم لا سيما لمّا توجّه إليه الملک الظاهر بيبرس مع جماعة البحريّة، و أقام عنده و حرّكه على ملک مصر حسب ما تقدّم ذكر ذلک كلّه. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۶

قلت: و مولد الملک المغيث هذا بالديار المصريّة و ربّى يتيما عند عمّاته القطبيّات بنات الملک العادل، و القطبيات عرفن بالقطبيات لأنهنّ أشقّاء الملک المفضّل قطب الدين ابن الملک العادل، و بقى المغيث هذا عندهنّ إلى أن أخرج إلى الكرک و اعتقل بها ثم ملكها بعد موت عمّه الملک الصالح نجم الدين أيّوب، و وقع له بها أمور، إلى أن قدم فى العام الماضى على الملک الظاهر بيبرس بمصر، فقبض عليه و قتله فى محبسه، رحمه اللّه تعالى، لما كان فى نفسه منه أيام كان بخدمته فى الكرک مع البحريّة.

و فيها توفّى الأمير حسام الدين لاچين بن عبد اللّه العزيزىّ [الجوكندار]، كان من أكابر الأمراء و أعظمهم، و كان شجاعا جوادا ديّنا له اليد البيضاء فى غزو التّتار، و كان يجمع الفقراء و يصنع لهم الأوقات و السماعات، و كان كبير القدر عظيم الشأن، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ محيى الدين أبو بكر محمد بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن سراقة الأنصارىّ الأندلسىّ الشاطبىّ، كان فاضلا محدّثا، سمع الكثير و ولى مشيخة دار الحديث بحلب، ثم ولى مشيخة الحديث بمصر بالمدرسة الكامليّة و حدّث بها.

و من شعره، رحمه اللّه تعالى:

و صاحب كالزّلال يمحو صفاؤه الشكّ باليقين

لم يحص إلّا الجميل منّى كأنّه كاتب اليمين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۷

قلت: و هذا بعكس قول الأديب شهاب الدين المنازىّ، رحمه اللّه تعالى:

و صاحب خلته خليلا و ما جرى غدره ببالى

لم يحص إلّا القبيح منّى كأنّه كاتب الشمال

و فيها توفّى الملك الأشرف مظفّر الدين موسى ابن الملك المنصور إبراهيم بن الملك المجاهد أسد الدين شير كوه بن محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شير كوه الكبير، ملك الأشرف هذا حمص بعد وفاة أبيه، و طالت مدّته به و وقع له أمور، و كان فيه مداراة، للتّتار و استمرّ على ذلك إلى أن توفى بحمص فى حادى عشر صفر قبل صلاة الجمعة، و دفن ليلا على جدّه الملك المجاهد أسد الدين شير كوه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى المحدّث ضياء الدين علىّ بن محمد البالسىّ فى صفر، و له سبع و خمسون سنة. و أبو عبد اللّه محمد بن إبراهيم الأنصارىّ البابشرقىّ فى شهر ربيع الأوّل. و الحافظ رشيد الدين أبو الحسين يحيى ابن علىّ الأموىّ العطّار المالكىّ فى جمادى الأولى، و له ثمان و سبعون سنة. و أبو الطاهر إسماعيل بن صارم الخيّاط بعده بأيام. و الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن جمال الدين أبى القاسم عبد الصمد] بن محمد الأنصارىّ بن الحرستانىّ فى جمادى الأولى. و الورع الزاهد أبو القاسم بن منصور فى شعبان. و الإمام محيى الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۸

أبو بكر محمد بن محمد بن سراقة الشاطبىّ بمصر، و له سبعون سنة. و شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن الأنصارىّ بحماة فى رمضان. و الملك المغيث فتح الدين عمر بن العادل أبى بكر بن الكامل محمد صاحب الكرك، أعدمه الملك الظاهر. و الأمير الكبير حسام الدين لا چين الجوكندار العزيزىّ فى المحرّم، و دفن بقاسيون. و صاحب حمص الملك الأشرف موسى ابن المنصور إبراهيم بن أسد الدين بحمص فى صفر، و له خمس و ثلاثون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۳]

السنة الخامسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ثلاث و ستين و ستمائة.

فيها ولّى الملك الظاهر بيبرس من كلّ مذهب قاضيا و قد تقدّم ذكر ذلك.

و فيها توفّى الأديب البارع شرف الدين محاسن [الكتبىّ] الصّورىّ، كان عالما فاضلا أديبا شاعرا، و مات فى شهر رجب. و من شعره، رحمه اللّه:

عتبت علىّ فقلت إن عاتبتها كان العتاب لوصلها استهلاكا

و أردت أن تبقى المودّة بيننا موقوفة فتركت ذاك لذاكا

و فيها توفّى الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك بن بليمان بن عبد اللّه أبو الفتح، مولده فى جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و خمسمائة بالقوب من أعمال

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۲۱۸

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۱۹

قوص بصعيد مصر و سمع الحديث، و تنقّل فى الولايات الجليلة مثل نيابة السلطنة بالقاهرة و نيابة دمشق، و لم يكن فى الأمراء من يضاهيه فى منزلته و شجاعته و قربه من الملوك، و كان أميرا جليلا خبيرا حازما سيوسا مدبّرا جوادا ممدّحا، و كان الملك الظاهر إذا عمل مشورة و تكلّم جمع خشداشيته من الأمراء فلا يصغى إلّا إلى قول ابن يغمور هذا و يفعل ما أشار به عليه. و كانت وفاته فى

مستهلّ شعبان بالقصير من أعمال الفاقوسيّة بين الغرابى و الصالحيّة. و من شعره قوله:

ما أحسن ما جاء كتاب الحبّ يبدى حرقا كأنّه عن قلبى

فازددت بما قرأت شوقا و ضمّا لا يبرّده إلا نسيم القرب

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى المحـدّث معين الدين إبراهيم بن عمر بن عبد العزيز القرشـىّ الزّكوىّ. و الحافظ زين الـدين أبو البقاء خالـد ابن يوسف بن سـعد النابلسـىّ بدمشق، و له ثمان و سـبعون سـنة فى سـلخ جمادى الأولى. و الأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور. و النجيب فراس بن علىّ بن زيد العسقلانىّ التاجر. و قاضى الديار المصريّة بدر الدين يوسف بن الحسن السّنجارىّ فى رجب. و الشيخ أبو القاسم الحوّارىّ الزاهد.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۰

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۴]

السنة السادسة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة أربع و ستين و ستمائة.

فيها توفّى شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن صالح، كان فاضلا أديبا. و من شعره، رحمه اللّه، فى مكار مليح:

علقته مكاريا شرّد عن عينى الكرى

قد أشبه البدر فلا يملّ من طول السّرى

و فيهـا توفّى طاغيـة التّتـار و ملكهم هولاكو و قيل هولاوون و قيل هولاو بن تولى خان بن چنكز خان المغلى التّركىّ، ملك مكان أبيه بعـد موته و كـان من أعظم ملوك التّتـار، و كـان حازمـا شـجاعا مـدبرا، استولى على الممالك و الأقاليم فى أيسر مـدّة، و فتـح بلاد خراسان و أذربيجان و عراق العجم و عراق العرب و الموصل و الجزيرة و ديار بكر و الشام و الروم و الشـرق و غير ذلك. و هو الـذى قتل الخليفـة المستعصم المقـدّم ذكره، و كان على قاعـدة المغل لا يتديّن بدين، و إنّما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصّـرت، فكانت تعضـد النصـارى و تقيم شـعائرهم فى تلـك البلاد. و كان هولاكو سـعيدا فى حروبه لا يروم أمرا إلّا و يسـهل عليه، و كانت وفاته بعلّة الصّـرع، و كان الصّـرع يعتريه من عـدّة سـنين فى كلّ وقت، حتّى إنّه كان يعتريه فى اليوم الواحـد المرّة و المرّتين و الثلاث، ثم زاد به فمرض و لم يزل ضـعيفا نحو شـهرين و هلـك، فـأخفوا موته و صبّروه حتى حضـر ولـده أبغا و جلس مكانه فى الملك، و قيل: إنّه لم يدفن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۱

و علّق بسـلاسل، و مات و له ستّون سنة أو نحوها. و خلّف من الأولاد الذكور سبعة عشر ولدا: و هم أبغا الذى ملك بعده و أشموط و تمشين و تكشـى و كان [تكشى فاتكا] جبّارا، و أجاى و تستز و منكوتمر الذى التقى مع الملك المنصور قلاوون على حمص و انهزم جريحا، كما سيأتى ذكره إن شاء اللّه تعالى، و باكودر و أرغون و تغاى تمر و الملك أحمد و جماعة أخر.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو الفضل إسـماعيل ابن إبراهيم بن يحيى القرشى بن الدّرجىّ فى صفر. و الشيخ جمال الدين أحمد بن عبد اللّه بن شعيب التّميمىّ فى شهر ربيع الاخر، و له اثنتان و سبعون سنة.

و رضـىّ الدين إبراهيم بن البرهان عمر الواسـطىّ التاجر بالإسـكندرية فى رجب، و له إحدى و سـبعون سـنة، و خلّف أموالا عظيمة. و الأمير الكبير جمال الدين أيدغدى العزيزىّ. و الشيخ أحمد بن سالم المصرىّ النحوىّ فى شوّال بدمشق.

و الطاغية هولاكو بمراغة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و سبع و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۵]

السنة السابعة من ولايه الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة خمس و ستين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۲

فيها توفّى بركـة خان [بن توشـى] بن چنكز خان ملك التّتار، هو ابن عمّ هولاكو المقـدّم ذكره، و كانت مملكته عظيمة متّسعة جدّا و هى بعيـدة عن بلادنا و له عساكر وافرة العـدد، و كان بركـة هذا يميل إلى المسـلمين ميلا زائدا و يعظّم أهل العلم و يقصد الصـلحاء و يتبرّك بهم. و وقع بينه و بين ابن عمّه هولاـكو، و قـاتله بسـبب قتله للخليفـة المسـتعصم بـالله و غيره من المسـلمين؛ و كـان بينه و بين الملك الظاهر مودّة و يعظّم رسله، و كان قـد أسـلم هو و كثير من جنـده و بنى المساجـد و أقيمت الجمعة ببلاده، و كان جوادا عادلا شجاعا، و مات ببلاده فى هذه السنة و هو فى عشر الستين، و قام مقامه منكوتمر.

و فيها توفّى الأمير ناصـر الـدين أبو المعالى حسـين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرىّ، كان من أكابر الأمراء و أجلّهم قـدرا و أكبرهم شأنا، و كان شجاعا كريما عادلا، و كان الملك الظاهر قد جعله مقدّم العساكر بالساحل فتوجّه إليه فمات به مرابطا فى يوم الأحد ثالث عشـر شـهر ربيع الأوّل، و هو صاحب المدرسـة القيمريّـة بـدمشق، و كان عالى الهمة يضاهى السـلاطين فى موكبه و خيله و مماليكه و حواشيه.

و فيها توفّى القاضـى تاج الـدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر أبو محمد العلامىّ الفقيه الشافعىّ المعروف بابن بنت الأعزّ، كان إماما عالما فاضلا و ولى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۳

المناصب الجليلـة كنظر الـدواوين و الوزارة و قضاء القضاة و درس بالشافعىّ، و كانت له مكانة عند الملك الظاهر، و مولده سـنة أربع عشرة و ستمائة، و مات ليلة السابع و العشرين من شهر رجب و دفن من الغد بسفح المقطّم.

و فيها توفّى الشيخ الإمام المحدّث تاج الدين أبو الحسين علىّ بن أحمد بن علىّ ابن محمد بن الحسن بن عبد اللّه بن أحمد بن ميمون القيسى المصرىّ المالكىّ المعروف بابن القسطلانىّ، ولد سنة ثمان و ثمانين و خمسمائة بمصر، و بها تفقّه و سمع الحديث من جماعة كثيرة و حـدّث بالكثير و درّس و أفتى و تولّى مشيخة دار الحـديث الكامليّة بالقاهرة إلى أن مات بكرة السابع و العشـرين من شوّال و دفن من يومه بسفح المقطّم.

و فيهـا توفّى الشـيخ الإمـام الفقيه المحـدّث شـمس الـدين ملكشاه بن عبـد الملك ابن يوسف بن إبراهيم المقدسـىّ الأصل المصـرىّ المولد الدّمشـقىّ الدار الحنفىّ المعروف بقاضـى بيسان، كان فقيها عالما فاضـلا مفتّنا فى علوم، ولد بحارة زويله بالقاهرة سنة ثلاث و سبعين و خمسمائة و مات فى سادس عشر صفر بدمشق، رحمه اللّه.

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هذه السـنة، قال: و فيها توفّى أبو الحجّاج يوسف ابن مكتوم السّويدىّ الحبّال. و الشـيخ الصالح الأثرىّ محمود بن أبى القاسم [اسفنديار ابن بدران بن أيّان] الدّشتىّ بالقاهرة فى رجب. و قاضى القضاة تاج الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۴

عبد الوهاب بن خلف بن بنت الأعزّ فى رجب، و له إحدى و سـتون سـنة. و العلّامة شـهاب الدين أبو شامة أبو القاسم عبد الرحمن بن إسـماعيل المقدسـىّ ثم الدّمشـقىّ فى رمضان، و له ستّ و سـتون سـنة. و الإمام تاج الدين علىّ ابن الشـيخ أبى العبّاس أحمد بن على القسـطلانىّ بمصـر، و له سـبع و سبعون سنة. و السلطان بركة خان بن توشى بن چنكز خان. و الأمير الكبير ناصر الدين حسين بن عزيز بن أبى الفوارس القيمرىّ صاحب القيمريّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و أربع عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة ستّ عشرة ذراعا و أربع عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۶]

السنة الثامنة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ستّ و ستين و ستمائة.

فيها توفّى الرئيس كمال الدين أبو يوسف أحمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن الحسن بن عبد اللّه الحلبىّ المعروف بابن العجمىّ، كان شاعرا رئيسا عالما فاضلا حسن الخط و الإنشاء، كتب للملك الناصر صلاح الدين يوسف، و كان من أعيان الكتّاب و أماثلهم، بلغ من العمر ستّا و أربعين سنة، و مات بظاهر صور من بلاد الساحل فى العشر الأوّل من ذى الحجّة و حمل إلى ظاهر دمشق فدفن بها. و من شعره فى خال مليح، قال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۵

و ما خاله ذاك الذى خاله الورى على خده نقطا من المسك فى ورد

و لكنّ نار الخدّ للقلب أحرقت فصار سواد القلب خالا على الخدّ

قلت: يعجبنى قول ابن صابر المنجنيقىّ فى هذا المعنى:

أهلا بوجه كالبدر حسنا صيّرنى حبّه هلالا

قد رقّ حتّى لحظت فيه سواد عينى فخلت خالا

و مثل هذا أيضا قول القائل فى هذا المعنى، و لم أدر لمن هو غير أنّنى أحفظه قديما، و هو فى خال تحت العذار.

له خال تغشّاه هلال يفوت العين إن نظرت إليه

كشحرور تخبّأ فى سياج مخافة جارح من مقلتيه

و فى هذا المعنى للعزّ الموصلىّ و أبدع إلى الغاية:

لحظت من وجنتها شامة فابتسمت تعجب من حالى

قالت قفوا و استمعوا ما جرى قد هام عمّى الشيخ فى خالى

و فى هذا المعنى:

تفاخر الحسن فى انتساب لمّا بدا خاله الأنيق

فقالت العين ذا ابن أختى و قال لى الخدّ ذا شقيق

و قد استوعبنا هذا النوع و غيره فى كتابنا «حلية الصفات فى الأسماء و الصناعات» فلينظر هناك.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۶

و فيها توفّى عفيف الدين أبو الحسن على بن عدلان بن حمّاد بن علىّ الموصلىّ النحوىّ المترجم، كان إماما عالما أديبا مفتنّا شاعرا، مات بمصر فى يوم الجمعة تاسع شوّال. و من شعره، رحمه اللّه:

لا تعجبنّ إذا ما فاتك المطلب و عوّد النفس أن تشقى و أن تتعب

إن دام ذا الفقر فى الدنيا فلا تعجب مات الكرام و ما فيهم فتى أعقب

و فيها توفّى السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباد بن كيخسرو بن قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان بن سليمان بن قطلمش بن أتسز بن إسرائيل بن سلجوق بن دقماق السّلجوقىّ صاحب الروم، كان ملكا جليلا شجاعا لكنّه كان غير سديد الرأى، كان جعل أمره بيد البرواناه فاستفحل أمر البرواناه، فأراد ركن الدين هذا قتله فعاجله البرواناه و عمل على قتله حتى قتل (و كيقباد بفتح الكاف و سكون الياء آخر الحروف و ضم القاف و فتح الباء ثانية الحروف و بعد

الألف دال مهملة ساكنة). و كيخسرو مثل ذلك غير أن الخاء المعجمة مضمومة و بعدها سين مهملة ساكنة و راء مهملة مضمومة. و قليج أرسلان بكسر القاف و اللام و سكون الياء و الجيم معا.

و أرسلان معروف.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى أيّوب بن أبى بكر عمر الحمّامى ابن الفقّاعىّ. و مجد الدين أحمد بن عبد اللّه [بن أبى الغنائم المسلم بن

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۷

حمّاد بن محفوظ] بن ميسرة الأزدىّ ابن الحلوانيّة فى شهر ربيع الأوّل. و الشيخ القدوة إبراهيم بن عبد اللّه ابن الشيخ أبى عمر [محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة] المقدسىّ فى شهر ربيع الأوّل، و له ستون سنة. و أبو بكر عبد اللّه بن أحمد بن ناصر النّحّاس فى ذى القعدة. و فيها قتلت التّتار السلطان ركن الدين كيقباد ابن السلطان غياث الدين كيخسرو ابن السلطان علاء الدين كيقباد صاحب الروم، و له ثمان و عشرون سنة و أجلسوا ولده كيخسرو على التخت و هو ابن عشر سنين.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۷]

السنة التاسعة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة سبع و ستين و ستمائة.

فيها توفّى الأمير عز الدين أيدمر بن عبد اللّه الحلىّ الصالحىّ النجمىّ، كان من أكبر أمراء الدولة و أعظمهم محلّا عند الملك الظاهر، و كان نائب السلطنة عنه بالديار المصرية فى غيبته عنها لوثوقه به و اعتماده عليه، و كان قليل الخبرة لكن رزق السعادة.

قلت: له أسوة بأمثاله. قال: و كان محظوظا من الدنيا له الأموال الجمّة و المتاجر الكثيرة و الأملاك الوافرة. و أمّا ما خلّفه من الأموال و الخيول و الجمال و البغال

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۸

و العدد فيقصر الوصف عنه. و مات بقلعة دمشق فى يوم الخميس سابع شعبان و دفن بتربته بجوار مسجد الأمير موسى بن يغمور. و مات و قد نيّف على الستين.

و فيها توفّى الشيخ المحدّث عماد الدين محمد بن محمد بن علىّ أبو عبد اللّه، كان فاضلا سمع الكثير، و مات بدمشق فى شهر ربيع الأوّل؛ و لما كان بحلب كتب إليه أخوه سعد الدين سعد يقول:

ما للنّوى رقّة ترثى لمكتئب حرّان فى قلبه و الدمع فى حلب

قد أصبحت حلب ذات العماد بكم و جلّق إرما هذا من العجب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى زين الدين إسماعيل ابن عبد القوىّ بن عزّون الأنصارىّ فى المحرّم. و الإمام مجد الدين علىّ بن وهب القشيرى [والد] ابن دقيق العيد. و الحافظ زين الدين أبو الفتح محمد بن محمد [بن أبى بكر] الأبيوردىّ الصوفىّ فى جمادى الأولى. و اللغوىّ مجد الدين عبد المجيد بن أبى الفرج [بن محمد] الرّوذراورىّ بدمشق فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع و ست عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و سبع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۸]

السنة العاشرة من ولایة الملک الظاهر بیبرس علی مصر، و هی سنة ثمان و ستین و ستمائة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۲۹

فیها توفّی الشیخ موفّق الدین أبو العبّاس أحمد بن القاسم بن خلیفة الخزرجیّ المعروف بابن أبی أصیبعة الحکیم الفاضل صاحب المصنّفات منها «طبقات الأطباء». مات بصرخد فی جمادی الأولی، و قد نیّف علی سبعین سنة، و کان فاضلا عالما فی الطّبّ و الأدب و التاریخ و له شعر کثیر، من ذلک ما مدح به الصاحب أمین الدولة، و هی قصیدة طنّانة أوّلها:

فؤادی فی محبّتهم أسیر و أنّی سار رکبهم یسیر

یحنّ إلی العذیب و ساکنیه حنینا قد تضمّنه سعیر

و یهوی نسمة هبّت سحیرا بها من طیب نشرهم عبیر

و إنّی قانع بعد التّدانی بطیف من خیالهم یزور

و معسول اللّمی مرّ التجنّی یجور علی المحبّ و لا یجیر

تصدّی للصدود ففی فؤادی بوافر هجره أبدا هجیر

و قد وصلت جفونی فیه سهدی فما هذی القطیعة و النفور

و هی طویلة کلّها علی هذا النّمط.

و فیها توفّی الأمیر عزّ الدین أیبک بن عبد اللّه الظاهریّ نائب حمص، کان فیه صرامه مفرطة، و کان موصوفا بالعسف و الظلم و سیرة قبیحة، و مع هذه المساوئ کان أیضا فیه رفض. مات بحمص و فرح بموته أهل بلده.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۰

و فیها توفّی الأمیر عزّ الدین أیبک بن عبد اللّه المعروف بالزّرّاد، کان نائب قلعة دمشق، و کان من الممالیک الصالحیّة النّجمیّة، و کانت حرمته وافرة و سیرته جمیلة. و مات فی ذی القعدة.

و فیها توفّی موسی بن غانم بن علیّ بن إبراهیم بن عساکر بن حسین الأنصاریّ المقدسیّ، کان کبیر القدر صدرا کبیرا شجاعا وافر لحرمة، تولّی مشیخة الحرم بالقدس الشریف، و کان کریما و له سمعة وصیت. مات بالقدس فی المحرّم و قد جاوز سبعین سنة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی المحدّث زین الدین أحمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسی فی رجب، و له ثلاث و تسعون سنة. و قاضی القضاة محیی الدین یحیی بن محمد بن الزّکی القرشیّ فی رجب، و له اثنتان و سبعون سنة.

و أبو حفص عمر بن محمد بن أبی سعد الکرمانیّ الواعظ فی شعبان، و له ثمان و تسعون سنة. و فیها قتل فی المصافّ صاحب المغرب الملک أبو دبّوس أبو العلاء [الواثق بالله] إدریس بن عبد اللّه بن محمد المؤمنی.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و اثنتان و عشرون إصبعا.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و اثنتان و عشرون إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۱

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۶۹]

السنة الحادیة عشرة من ولایة الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ علی مصر، و هی سنة تسع و ستین و ستمائة.

فیها توفّی الشیخ شمس الدین أبو إسحاق إبراهیم بن المسلم بن هبة اللّه [المعروف با] بن البارزیّ الفقیه الحمویّ الشافعیّ، مولده سنة ثمانین و خمسمائة، و کان فقیها فاضلا ورعا، و له شعر جیّد و أفتی و درّس بمعرّة النّعمان و غیرها، و مات فی شعبان بحماة.

و من شعره، رحمه اللّه، یصف دمشق:

دمشق لها منظر رائق و کلّ إلی وصلها تائق

و أنّی یقاس بها بلدة أبی اللّه و الجامع الفارق

و فیها توفّی القاضی کمال الدین أبو السعادات أحمد بن مقدام بن أحمد بن شکر المعروف بابن القاضی الأعزّ، کان أحد الأکابر بالدیار المصریّة متأهّلا للوزارة و غیرها، و تولّی المناصب الجلیلة، و کان له ید فی النظم و معرفة بالأدب و مشارکة فی غیره. و مات فی شهر رمضان بالقاهرة.

و فیها توفّی الأمیر علم الدین سنجر بن عبد اللّه الصّیرفیّ، کان من أعیان الأمراء بالدیار المصریّة و ممّن یخشی جانبه، فلمّا تمکّن الملک الظّاهر بیبرس أخرجه إلی دمشق لیأمن غائلته و أقطعه بها خبزا جیّدا، فدام به إلی أن مات ببعلبکّ و هو فی عشر الستین.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۲

و فیها توفّی الأمیر قطب الدین سنجر بن عبد اللّه المستنصریّ البغدادیّ المعروف بالیاغز، کان من ممالیک الخلیفة المستنصر بالله، و کان محترما فی الدولة الظاهریّة و عنده معرفة و حسن عشرة و محاضرة بالأشعار و الحکایات.

و فیها توفّی الملک الأمجد تقیّ الدین عبّاس ابن الملک العادل أبی بکر محمد بن أیّوب ابن شادی، و کنیته أبو الفضل، کان محترما عند الملک الظاهر لا یرتفع علیه أحد فی المجالس، و هو آخر من مات من أولاد الملک العادل لصلبه، و کان دمث الأخلاق حسن العشرة لا تملّ مجالسته. و مات بدمشق فی جمادی الآخرة و دفن بسفح قاسیون.

و فیها توفّی قطب الدین عبد الحق بن إبراهیم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر ابن محمد بن سبعین أبو محمد المرسیّ الرّقوطیّ الصوفیّ المعروف بابن سبعین.

قال الذهبیّ فی تاریخ الإسلام: کان صوفیّا علی قاعدة زهّاد الفلاسفة و تصوّفهم، و له کلام کثیر فی العرفان علی طریق الاتّحاد و الزّندقة. و قد ذکرنا محطّ هؤلاء الجنس فی ترجمة ابن الفارض و ابن العربیّ و غیرهما، فیا حسرة علی العباد! کیف لا یغضبون للّه تعالی و لا یقومون فی الذبّ عن معبودهم، تبارک اللّه و تقدّس فی ذاته عن أن یمتزج بخلقه أو یحلّ فیهم، و تعالی اللّه عن أن یکون هو عین السماوات و الأرض و ما بینهما، فإنّ هذا الکلام شرّ من مقالة من قال بقدم العالم.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۳

و من عرف هؤلاء الباطنیّة عذرنی أو هو زندیق مبطن للاتّحاد یذبّ عن الاتّحادیّة و الحلولیّة، و من لم یعرفهم فاللّه یثیبه علی حسن قصده. ثم قال بعد کلام طویل:

و اشتهر عنه (یعنی عن ابن سبعین هذا) أنّه قال: لقد تحجّر ابن آمنة واسعا بقوله:

"لا نبیّ بعدی. "ثم ساق الذهبیّ أیضا من جنس هذه المقولة أشیاء أضربت عنها إجلالا فی حقّ اللّه و رسوله لا لأجل هذا النّجس.

قلت: إن صحّ عنه ما نقله الحافظ الذهبیّ و هو حجّة فی نقله فهو کافر زندیق مارق من الدین مطرود من رحمة اللّه تعالی. انتهی. و الرّقوطیّ نسبة إلی حصن من عمل مرسیة یقال له رقوطة.

و فیها توفی الأمیر شرف الدین أبو محمد عیسی بن محمد بن أبی القاسم بن محمد بن أحمد بن إبراهیم بن کامل الکردیّ الهکّاری، کان أحد أعیان الأمراء سمع الحدیث و حدّث، و مولده سنة ثلاث و تسعین و خمسمائة بالقدس، و کان أحد الأمراء المشهورین بالشجاعة و الإقدام و له وقائع معدودة و مواقف مشهورة مع العدوّ بأرض الساحل؛ ولی الأعمال الجلیلة و قدّمه الملک الظاهر بیبرس علی العساکر فی الحروب غیر مرّة، و مات بدمشق فی شهر ربیع الآخر. و من شعره مما کتبه للوزیر شرف الدین بن المبارک وزیر إربل:

أ أحبابنا إن غبت عنکم و کان لی إلی غیر مغناکم مراح و إیسام

فما عن رضا کانت سلیمی بدیلة بلیلی و لکن للضرورات أحکام

و فيها توفّى محمد بن عبد المنعم بن نصر [اللّه] بن جعفر بن أحمد بن حوارى الفقيه الأديب أبو المكارم تاج الدين التّنوخى المعرّىّ الأصل الحنفىّ الدّمشقى المولد

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۴

و الدار و الوفاة المعروف بابن شقير. ولد سنة ست و ستمائة و سمع و حدّث بدمشق و القاهرة، و كان فقيها محدّثا فاضلا بارعا أديبا و عنده رياسة و مكارم و دماثة أخلاق و حسن محاضرة، و هو معدود من شعراء الملك الناصر [صلاح الدين يوسف بن العزيز] و مات فى صفر. و من شعره:

قد أقبل الصيف و ولّى الشّتا و عن قريب نشتكى الحرّا

أما ترى البان بأغصانه قد قلب الفرو إلى برّا

و قال، رحمه اللّه:

وا حيرة القمرين منه إذا بدا و إذا انثنى وا خجلة الأغصان

كتب الجمال و ياله من كاتب سطرين فى خدّيه بالرّيحان

قلت: و يعجبنى قول ابن المعتزّ فى هذا المعنى و قد أبدع فى التشبيه فقال:

كأنّ خطّ عذار شقّ عارضه ميدان آس على ورد و نسرين

و خطّ فوق حجاب الدر شاربه بنصف صاد و دار الصّدغ كالنون

و لمحمد بن يوسف [بن عبد اللّه المعروف با] لخيّاط الدّمشقى فى معنى العذار:

عدار حبّى دقيق معنى تجلّ عن حسنه الصفات

حلا لرائيه و هو نبت هذا هو السكّر النّبات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۵

و لابن نباتة:

و بمهجتى رشأ يميس قوامه فكأنّه نشوان من شفتيه

شغف العذار بخدّه و رآه قد نعست لواحظه فدبّ عليه

و للصّفدىّ:

عيناه قد شهدت بأنّى مخطئ و أتت تخطّ عذاره تذكارا

يا حاكم الحبّ اتّئد فى قتلى فالخطّ زور و الشهود سكارى

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الشيخ حسن ابن أبى عبد اللّه بن صدقة الصّقلّىّ المقرئ فى شهر ربيع الأوّل و قد نيّف على سبعين.

و شيخ السّبعيتيّة قطب الدين عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين المرسىّ بمكّة فى شوّال، و له خمس و خمسون سنة. و مجد الدين محمد بن إسماعيل بن عثمان ابن مظفّر بن هبة اللّه بن عساكر فى ذى القعدة. و قاضى حماة شمس الدين إبراهيم ابن المسلم بن البارزىّ فى شعبان، و له تسع و ثمانون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع و إحدى و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا و اثنتا عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۰]

السنة الثانية عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۶

فيها توفّى الملك الأمجد مجد الدين أبو محمد الحسن ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيّوب، كان الملك الأمجد هذا من الفضلاء و عنده مشاركة جيّدة فى كثير من العلوم، و له معرفة تامّة بالأدب.

و فيها توفّى الشيخ عماد الدين عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن محمد بن الحسين الحلبىّ الشافعىّ المعروف بابن العجمىّ، كان فاضلا سمع الحديث و تفقّه و حدّث و درّس و تولّى الحكم بمدينة الفيّوم من أعمال مصر و غيرها و ناب فى الحكم بدمشق، و كان مشكور السّيرة.

و مات بحلب فى رابع عشر شهر رمضان. و مولده فى سنة خمس و ستمائة بحلب.

و فيها توفّى الأديب أمين الدين علىّ بن عثمان بن علىّ بن سليمان بن علىّ بن سليمان ابن علىّ أبو الحسن المعروف بأمين الدين السّليمانىّ الصوفى الإربلىّ الشاعر المشهور، ولد سنة اثنتين و ستمائة. و مات بمدينة الفيّوم من أعمال مصر فى جمادى الأولى، و كان فاضلا مقتدرا على النظم، و هو من أعيان شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، و كان أوّلا جنديّا ثم ترك ذلك و تزهّد. و من شعره و قد أرسل إلى بعض الرؤساء هديّة فقال:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۷

هديّة عبد مخلص فى ولائه لها شاهد منها على عدم المال

و ليست على قدرى و لا قدر مالكى و لكنّها جاءت على قدر الحال

و قال رحمه اللّه:

ألا فاحفظ لسانك فهو خير و طرفك و استمع نصحى و وعظى

فربّ عداوة حصلت بلفظ و ربّ صبابة حصلت بلحظ

و فيها توفّى الرئيس الصدر عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن سالم بن الحسن بن هبة اللّه بن محفوظ بن الحسن بن محمد بن الحسن بن أحمد بن الحسين بن صصرّى التّغلبىّ، البلدىّ الأصل الدّمشقى المولد و الدار و الوفاة العدل الكبير، مولده سنة ثمان و تسعين و خمسمائة و سمع الكثير و حدّث، و كان شيخا جليلا من بيت العلم و الحديث، و قد حدّث هو و أبوه و جدّه و جدّ أبيه و جدّ جدّه و غير واحد من بيته.

و مات فى ذى القعدة.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة الكمال سلّار بن الحسن الإربلىّ الشافعىّ فى جمادى الآخرة، و معين الدين أحمد ابن القاضى زين الدين علىّ بن يوسف الدمشقىّ العدل بمصر فى رجب. و الإمام جمال الدين عبد الرحمن بن سلمان الحرّانىّ البغدادىّ الحنبلىّ فى شعبان، و له خمس و ثمانون سنة.

و القاضى عماد الدين أبو عبد اللّه محمد بن سالم بن الحسن بن هبة اللّه الدّمشقى ابن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۸

صصرىّ فى ذى القعدة. و الملك الأمجد السيد الجليل حسن ابن الناصر داود صاحب الكرك فى جمادى الأولى كهلا. و الصدر وجيه الدين محمد بن علىّ [بن أبى طالب] ابن سويد التّكريتىّ التاجر فى ذى القعدة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إحدى عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۱]

السنة الثالثة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة إحدى و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى الأديب الفاضل مخلص الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن هبة اللّه ابن أحمد بن قرناص الخزاعى الحمویّ الشاعر المشهور، كان أديبا فاضلا و له اليد الطّولى فى النظم، و مات بحماة يوم الأحد رابع شوّال. و من شعره:

ليلى و ليلك يا سؤلى و يا أملى ضدان هذا به طول و ذا قصر

و ذاك أنّ جفونى لا يلمّ بها نوم و جفنك لا يحظى به السّهر

قلت: و هذا يشبه قول القائل و ما أدرى أيهما أسبق إلى هذا المعنى و هو:

ليلى و ليلى نفى نومى اختلافهما بالطّول و الطّول يا طوبى لو اعتدلا

يجود بالطّول ليلى كلّما بخلت بالطّول ليلى و إن جادت به بخلا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۳۹

و فيها توفّى الشريف شرف الدين أبو عبد اللّه محمد بن رضوان بن علیّ بن أبى المظفّر بن أبى العتاهية المعروف بالشريف الناسخ. مات بدمشق فى شهر ربيع الآخر، و كان من الفضلاء و له مشاركة فى كثير من العلوم و له اليد الطّولى فى النظم و النثر. و من شعره:

عانقته عند الوداع و قد جرت عينى دموعا كالنّجيع القانى

و رجعت عنه و طرفه فى فترة يملى علیّ مقاتل الفرسان

قلت: و ما أحسن قول القاضى ناصح الدين الأرّجانیّ فى هذا المعنى:

إذا رأيت الوداع فاصبر و لا يهمّنك البعاد

و انتظر العود عن قريب فإنّ قلب الوداع عادوا

و أجاد أيضا من قال فى هذا المعنى:

فإن سرت بالجثمان عنكم فإنّنى أخلّف قلبى عندكم و أسير

فكونوا عليه مشفقين فإنّه رهين لديكم فى الهوى و أسير

و فيها توفّى المحدّث شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن بدر بن الحسن ابن مفرّج بن بكّار النّابلسى الأصل الدّمشقیّ المولد و الدار و المنشأ و الوفاة المحدّث المشهور، كان فاضلا و سمع الكثير و حدّث، و كانت لديه فضيلة و مشاركة و معرفة بالأدب. و من شعره:

عرّج بعيسک و احبس أيّها الحادى عند الكثيب و عرّس يمنة الوادى

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۰

و اقر السّلام على سكّان كاظمة منّى و عرّض بتهيامى و تسهادى

و قل محبّ بنار الشّوق محترق أودى به الوجد خلّفناه بالنّادى

الذين ذكر الذهبیّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الحافظ شرف الدين أبو المظفّر يوسف بن الحسن بن النابلسى الدّمشقیّ فى المحرّم. و خطيب المقياس أبو الفتح عبد الهادى بن عبد الكريم القيسیّ المقرئ، و له أربع و تسعون سنة فى شعبان. و المحدّث شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن عمّار بن هامل الحرّانیّ فى رمضان. و أبو العبّاس أحمد بن هبة اللّه بن أحمد السّلمیّ الكهفى فى رجب.

و صاحب «التعجيز» الإمام تاج الدين أبو القاسم عبد الرحيم بن محمد بن محمد ابن يونس الموصلیّ فى جمادى الأولى ببغداد، و له ثلاث و سبعون سنة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إحدى عشرة إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۲]

السنة الرابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة اثنتين و سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۱

فيها ملك الملك الظاهر بيبرس برقة بعد حروب كثيرة.

و فيها توفّى الصاحب محيى الدين أحمد بن علىّ بن محمد بن سليم الصاحب محيى الدين أبو العباس ابن الصاحب بهاء الدين بن حنّا فى ثامن شعبان بمصر و دفن بسفح المقطّم، و وجد عليه والده وجدا شديدا، و عملت له الأعزية و الختم، و كان فاضلا و سمع من جماعة و حدّث و درّس بمدرسة والده التى أنشأها بزقاق القناديل بمصر إلى حين وفاته.

و فيها توفى المحدّث مؤيّد الدين أبو المعالى أسعد بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن أسد بن علىّ بن محمد التّميمىّ المعروف بابن القلانسىّ، مولده بدمشق سنة ثمان أو تسع و تسعين و خمسمائة، و سمع الكثير و حدّث بدمشق و مصر، و هو من البيوتات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۲

المشهورة بالحديث و العدالة و التقدّم. و مات فى ثالث [عشر] المحرّم ببستانه ظاهر دمشق، و كان وافر الحرمة متأهّلا للوزارة كثير الأملاك واسع الصدر

و فيها توفّى الأمير فارس الدين أقطاى بن عبد اللّه الأتابكىّ المعروف بالمستعرب الصالحىّ النجمىّ، كان من أكابر الأمراء و أعيانهم، و كان الملك المظفّر قطز قرّبه و جعله أتابكا و علّق جميع أمور المملكة به. فلمّا تسلطن الملك الظاهر قام معه و حلف له و سلطنه فلم يسع الملك الظاهر إلّا أن أبقاه على حاله، و صار الظاهر فى الباطن يتبرّم منه و لا يسعه إلّا تعظيمه لعدم وجود من يقوم مقامه، فإنّه كان من رجال الدهر حزما و عزما و رأيا، فلمّا أنشأ الملك الظاهر بيليك الخازندار أمره بملازمته و الاقتباس منه فلازمه مدّة، فلمّا علم الظاهر منه الاستقلال جعله مشاركا له فى الجيش، و قطع الرواتب التى كانت لأقطاى المذكور؛ فجمع أقطاى نفسه و تعلّل قريب السنة و صار يتداوى إلى أن مات، و كان أظهر أن به طرف جذام و لم يكن به شىء من ذلك، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبى الفتح التّميمىّ المصرىّ الخياط الشاعر المشهور، و كان يعرف بابن أبى الربيع. مات فى جمادى الآخرة بالقرافة الكبرى، و كان بها سكنه و بها دفن، و كان فاضلا أديبا. و من شعره فى أبى الحسين الجزّار و كان بينهما مهاجاة:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۳

أبا الحسين تأدّب ما الفخر بالشّعر فخر

و ما ترشّحت منه بقطرة و هو بحر

و فيه يقول أيضا:

إن تاه جزاركم عليكم بفطنة عنده و كيس

فليس يرجوه غير كلب و ليس يخشاه غير تيس

و من شعره قوله: لغز فى إبرة و كستبان:

ثلاثة فى أمر خصمين إلفين لكن غير إلفين

هما قريبان و إن فرّقت بينهما الأيام فرقين

فواحد يعضده واحد و يعضد الآخر باثنين

تراهما بينهما وقعة إذ تقع العين على العين

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو عبد اللّه محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] بن عبد الملك بن علىّ المعافرىّ الشاطبىّ المقرئ الزاهد نزيل الإسكندرية، قرأ بالسّبع فى الأندلس و برع فى القراءات و التفسير و له تفسير صغير. و مات فى العشرين من شهر رمضان، و له سبع و ثمانون سنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة فريد عصره جمال الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه [بن عبد اللّه] بن مالك النحوىّ الجيّانىّ الشافعىّ الطائىّ العالم المشهور

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۴

صاحب التصانيف فى النحو و العربيّة نزيل دمشق مولده سنة إحدى و ستمائة، و سمع الحديث و تصدّر بحلب لإقراء العربيّة، و صرف همّته إلى النحو حتى بلغ فيه الغاية، و صنّف التصانيف المفيدة، و كان إماما فى القراءات، و صنّف فيها أيضا قصيدة مرموزة فى مقدار الشاطبيّة، و كان إماما فى اللّغة.

قلت: و شهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره. و مات فى ثانى عشر شعبان و قد نيّف على السبعين، رحمه اللّه تعالى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى مؤيّد الدين أسعد ابن المظفّر التّميمىّ ابن القلانسىّ عن ثلاث و سبعين سنة فى المحرّم، و السيد تجيب الدين عبد اللطيف بن أبى محمد عبد المنعم [بن علىّ بن نصر بن منصور بن هبة اللّه أبو الفرج ابن الإمام الواعظ أبى محمد] بن الصّيقل الحرانىّ فى صفر، و له خمس و ثمانون سنة. و المسند تقىّ الدين إسماعيل بن إبراهيم بن أبى اليسر [شاكر بن عبد اللّه] التّنوخىّ الكاتب فى صفر، و له ثلاث و ثمانون سنة. و أبو عيسى عبد اللّه بن عبد الواحد ابن محمد [بن عبد الواحد] بن علّاق الأنصارىّ الرزاز فى شهر ربيع الأوّل عن ستّ و ثمانين سنة. و القاضى كمال الدين عمر بن بندار التّفليسىّ بمصر فى شهر ربيع الأوّل و قد جاوز السبعين. و المحدّث نجم الدين علىّ بن عبد الكافى الرّبعىّ الشافعىّ فى شهر ربيع الآخر شابّا. و الشيخ كمال الدين عبد العزيز بن عبد المنعم فى شعبان عن ثلاث و ثمانين سنة. و العلّامة جمال الدين محمد بن عبد اللّه [بن عبد اللّه] بن مالك الطائى الجيّانىّ فى شعبان عن نحو سبعين سنة. و الأمير الكبير أتابک المستعرب، و اسمه

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۵

فارس الدين أقطاى الصالحىّ، و قد ولى نيابة المظفر قطز؛ توفى فى جمادى الأولى، و الزاهد الكبير الشيخ محمد بن سليمان [بن محمد بن سليمان] الشاطبىّ بالإسكندريّة و خواجا [محمد بن محمد بن الحسن أبو عبد اللّه] نصير [الدين] الطّوسىّ فى ذى الحجة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ستّ أذرع و إحدى و عشرون إصبعا.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ست أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۳]

السنة الخامسة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة ثلاث و سبعين و ستمائة.

فيها كانت أعجوبة فى السابع و العشرين من شعبان و هو أنّه وقع رمل بمدينة الموصل ظهر من القبلة و انتشر يمينا و شمالا حتى ملأ الآفاق و عمّيت الطّرق، فخرج العالم إلى ظاهر البلد، و لم يزالوا يبتهلون إلى اللّه تعالى بالدعاء إلى أن كشف اللّه ذلک عنهم.

و فيها توفّى الأمير شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن موسى بن يغمور بن جلدک.

و قد تقدّم ذكر والده الأمير جمال الدين موسى، كان شهاب الدين هذا، مروفا بالشجاعة و الشهامة و الصّرامة و الحرمة، ولّاه الملک الظاهر المحلّة و أعمالها من الغربيّة من إقليم مصر، فهذّبها و مهّد قواعدها و أباد المفسدين بها بحيث إنّه قطع من الأيدى و الأرجل ما لا يحصى كثرة، و شنق و وسّط فخافه البرىء و السقيم. و مات بالمجلّة فى الرابع و العشرين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۶

من جمادى الأولى، و كان عنده رياسة و حشمة و برّ لمن يقصده؛ و له نظم و عنده فضيلة.

و من شعره يخاطب الأمير علم الدين الدّواداری:

إن صددتم عن منزلى فلكم فى ه ثناء كنشر روض بهىّ

أو رددتم فأنا المحبّ الذى من آل موسى فى الجانب الغربىّ

و له:

خطب أتى مسرعا فآذى أصبح جسمى به جداذا

خضّد قلبى و عمّ غيرى يا ليتنى متّ قبل هذا

و له فى مليح نحوىّ:

و مليح تعلّم النحو يحكى مشكلات له بلفظ و جيز

ما تميزت حسنه قطّ إلّا قام أيرى نصبا على التمييز

و فيها هلک بيمند الفرنجىّ متملّک طرابلس بها فى العشر الأوّل من شهر رمضان و دفن فى كنيسة بها، و نملّک بعده ابنه، و كان حسن الشكل مليح الصورة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام أبو محمد شمس الدين عبد اللّه ابن شرف الدين محمد بن عطاء الأذرعىّ الأصل الدّمشقىّ الوفاة الحنفىّ، كان إماما فقيها مفتيا عالما مفتّنا، أفتى و درّس بعدّة مدارس، و هو أوّل قاض ولى القضاء استقلالا بدمشق من الحنفيّة فى العصر الثانى. و أمّا أوّل الزمان فوليها جماعة كثيرة من العلماء فى أوائل الدولة العبّاسيّة. و حسنت سيرته فى القضاء إلى الغاية؛ و قصّته مع الملک الظاهر بيبرس مشهورة لمّا أوقع الظاهر الحوطة على الأملاک و البساتين بدمشق، و قعد

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۷

الظاهر فى دار العدل بدمشق و جرى الحديث فى هذا المعنى بحضور القضاة الأربعة و العلماء و غيرهم، فكلّ من القضاة ألان له القول و خشى سطوة الملک الظاهر إلّا شمس الدين هذا، فإنّه صدع بالحقّ و قال: ما يحلّ لمسلم أن يتعرّض لهذه الأملاک و البساتين! فإنّها بيد أربابها و يدهم ثابتة عليها. فغضب الملک الظاهر من هذا القول و قام من دار العدل و قال: إذا كنّا ما نحن مسلمون إيش قعودنا! فشرع الأمراء يتألّفوه و لا زالوا به حتى سكن غضبه؛ فلمّا رأى الظاهر صلابة دينه حظى عنده و قال: أثبتوا كتبنا عند هذا القاضى الحنفىّ و عظم فى عينه و هابه.

و كان من العلماء الأعيان تامّ الفضيلة وافر الديانة كريم الأخلاق حسن العشرة كثير التواضع عديم النظير، و انتفع بعلمه جمّ غفير، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود بن أحمد ابن محمد التّكريتىّ الجدّ، الموصلىّ الأب، الدمشقىّ المولد، المحلىّ الوفاة المعروف- بابن الطحّان الشهير بالحافظ اليغمورىّ، كان فاضلا سمع الكثير بعدّة بلاد، و كان له مشاركة فى فنون، و كان أديبا شاعرا. و من شعره:

رجع الودّ على رغم الأعادى و أتى الوصل على وفق مرادى

ما على الأيام ذنب بعد ما كفّر القرب إساءات البعاد

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفى الحافظ وجيه الدين أبو المظفّر منصور بن سليم الهمدانى بالإسكندريّة فى شوّال. و قاضى القضاة

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۸

شمس الدین عبد اللّه بن محمد بن عطاء الحنفیّ فی جمادی الأولی و هو فی عشر الثمانین.

و أبو الفتح عمر بن یعقوب الإربلیّ الصوفیّ فی یوم النحر.

أمر النیل فی هذه السنة المبارکة- الماء القدیم خمس أذرع و أربع أصابع.

مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۴]

السنة السادسة عشرة من ولایة الملک الظاهر بیبرس علی مصر، و هی سنة أربع و سبعین و ستمائة.

فیها توفّی الأمیر عزّ الدین أبو محمد أیبک بن عبد اللّه الإسکندرانیّ الصالحیّ النجمیّ، کان أستاذه الملک الصالح نجم أیّوب یبق به و یعتمد علیه و ولّاه الشّوبک، و جعل عنده جماعة کثیرة من خواصّه: منهم الأمیر عزّ الدین أیدمر الحلّیّ، و الأمیر سنجر الحصنیّ، و الأمیر أیبک الزرّاد؛ و کان عنده کفایة و خبرة تامّة و صرامة شدیدة و مهابة عظیمة یقیم الحدود علی ما تجب، ثم نقل فی عدّة وظائف إلی أن مات فی شهر رمضان بقلعة الرّحبة و دفن بظاهرها.

و فیها توفّی الحسن بن علیّ بن الحسن بن ماهک بن طاهر أبو محمد فخر الدین الحسینی نقیب الأشراف و ابن نقیبهم، مولده سنة ثمان و ستمائة، و مات یوم الأحد تاسع شهر ربیع الأوّل ببعلبکّ، و کان عنده فضیلة و معرفة بأنساب العلویّین و نظم نظما متوسّطا و کان مبذّرا للأموال.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۴۹

و فیها توفّی الأمیر الکبیر رکن الدین خاص ترک بن عبد اللّه الصالحیّ النجمیّ، و کان شجاعا مقداما مقدّما عند الملوک. مات فی شهر ربیع الأوّل بدمشق.

و فیها توفی الشیخ زین الدین أبو المظفّر عبد الملک بن عبد اللّه بن عبد الرحمن ابن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبیّ الشافعیّ المعروف بابن العجمیّ، مولده بحلب سنة إحدی و تسعین و خمسمائة، و سمع الحدیث و حدّث و کان شیخا فاضلا.

مات فی ذی القعدة بالقاهرة، و دفن بسفح المقطّم و هو خال قاضی القضاة کمال الدین أحمد بن الأستاذ.

و فیها توفّی الشیخ بهاء الدین أبو عبد اللّه محمد بن عبید اللّه [بن جبریل] کان صدرا کبیرا عالما فاضلا شاعرا. مات بالقاهرة و دفن بالفرافة و هو فی عشر الستین، و من شعره، رحمه اللّه تعالی:

و لقد شکوت لمتلفی حالی و لطّفت العباره

فکأنّنی أشکو إلی حجر و إنّ من الحجارة

و له:

یا راحلا قد کدت أقضی بعده أسفا و أحشائی علیه تقطّع

شطّ المزار فما القلوب سواکن لکنّ دمع العین بعدک ینبع

و فیها توفّی الشیخ الإمام تاج الدین أبو الثناء محمود بن عابد بن الحسین بن محمد [بن] الحسین بن جعفر بن عمارة بن عیسی بن علیّ بن عمارة التمیمی الصّرخدیّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۰

الحنفیّ، مولده سنة ثمان و سبعین و خمسمائة بصرخد. و مات لیلة الجمعة السادس و العشرین من شهر ربیع الآخر بدمشق، و دفن بمقابر الصوفیّة عند قبر شیخه جمال الدین الحصیریّ، کان من الصلحاء العلماء العاملین، کان کثیر التواضع قنوعا من الدنیا معرضا عنها، و کانت له وجاهة عظیمة عند الملوک و انتفع به جم غفیر من الطلبة، و کانت له الید الطّولی فی النظم و النثر. و من شعره قوله:

ما نلت من حبّ من كلفت به إلّا غراما عليه أو ولها

و محنتى فى هواه دائرة آخرها ما يزال أوّلها

قلت: و أرشق من هذا من قال:

محبّتى ما تنقضى لجفوة تبطلها

كأنّها دائرة آخرها أوّلها

الـذين ذكر الـذهبىّ وفاتهم فى هـذه السـنة، قال: و فيها توفّى المحـدّث مكين الدين أبو الحسن بن عبد العظيم الحصـنىّ المصـرىّ فى رجب، و له أربع و سبعون سنة.

و سـعد الـدين أبو الفضل محمـد بن مهلهل بن بدران الأنصارىّ الجبتى المصـرى سـمع الأرتاحىّ. و توفى تاج الدين محمود بن عابد التميمىّ الصّرخدى الحنفى الشاعر المشهور

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۱

فى شـهر ربيع الآخر عن نيّف و تسعين سنة. و سعد الدين الخضر بن شيخ الشيوخ تاج الدين عبد اللّه [بن شيخ الشيوخ أبى الفتح عمر] بن حمّويه الجوينى فى ذى الحجّة عن ثلاث و ثمانين سـنة. و أبو الفتح عثمان بن هبة اللّه بن عبد الرحمن [بن مكّى ابن إسماعيل] بن عوف الزهرى آخر أصحاب ابن موقا فى شهر ربيع الآخر بالإسكندرية.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم القاعدة لم تحرّر لاختلاف المؤرّخين.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و خمس عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۵]

السنة السابعة عشرة من ولاية الملك الظاهر بيبرس على مصر، و هى سنة خمس و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى إبراهيم بن سـعد [اللّه] بن جماعة بن علىّ بن جماعة بن حازم بن صـخر أبو إسحاق الحموىّ الكنانىّ المعروف بابن جماعة، سمع الفخر بن عساكر و غيره و حدّث. و مولده يوم الاثنين منتصف رجب سـنة ستّ و تسـعين و خمسـمائة بحماة، و هو والد القاضـى بدر الدين بن جماعة. مات يوم عيد النّحر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۲

و فيها توفّى الأمير ناصـر الـدين محمـد بن أيبك [بن عبد اللّه بن] الإسـكندرىّ، و كان ممّن جمع بين حسن الصورة و حسن السّـيرة و وفور العقل و الرياسة و مكارم الأخلاق. مات غريقا، مرّ بفرسه على جسـر حجر فزلق الفرس و وقع به فى النهر و خرج الفرس سباحة و مات هو. فكأنّ الجلال بن الصفّار الماردينىّ عناه بقوله:

يأيّها الرّشأ المكحول ناظره بالسّحر حسبک قد أحرقت أحشائى

إنّ انغماسک فى التّيار حقّق أنّ الشمس تغرب فى عين من الماء

أو بقوله أيضا. و قيل إنهما لأبى إسحاق الشّيرازىّ، و اللّه أعلم:

غريق كانّ الموت رقّ لحسنه فلان له فى صفحة الماء جانبه

أبى اللّه أن يسلوه قلبى فإنّه توفّاه فى الماء الذى أنا شاربه

و فيها توفّى الشـيخ المعتقـد الصالح أبو الفتيان أحمد بن علىّ بن إبراهيم [بن محمد] ابن أبى بكر المقدسـىّ الأصل البدوىّ المعروف بأبى اللّثامين السطوحىّ. مولده

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۳

سنة ستّ و تسعين و خمسمائة، و توفّى فى سنة خمس و سبعين فى شهر ربيع الأوّل، و دفن بطندتا و قبره يقصد للزيارة هناك، و كان من الأولياء المشهورين، و سمّى بأبى اللّثامين لملازمته اللّثامين صيفا و شتاء، و كان له كرامات و مناقب جمة، رحمه اللّه تعالى و نفعنا ببركاته.

و فيها توفّى العلّامة بدر الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حفّاظ السّلمىّ الحنفىّ المعروف بابن الفويرة. مات بدمشق فى يوم السبت حادى عشرين جمادى الأولى و قال الحافظ عبد القادر فى طبقاته:

رأيت بخط الحافظ الدّمياطىّ فى مشيخته أنّه توفّى ليلة الجمعة فجأة منتصف شهر ربيع الآخر سنة أربع و سبعين و ستمائة. و كان إماما عالما متبحّرا فى العلوم، درّس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۴

بالشّبليّة [بجبل] الصالحيّة و أفتى سنين و برع فى الفقه و العربيّة و سمع الكثير، و كان يكتب خطّا حسنا، و له معرفة أيضا بالأصول و الأدب و له نظم رائق، و كان رئيسا و عنده ديانة و مروءة و مكارم أخلاق. و من شعره [فى مليح شاعر]:

و شاعر يسحرنى طرفه و رقّة الألفاظ من شعره

أنشدنى نظما بديعا فما أحسن ذاك النظم من ثغره

و له فى معذّر:

عاينت حبّة خاله فى روضة من جلّنار

فغدا فؤادى طائرا فاصطاده شرك العذار

و له:

كانت دموعى حمرا يوم بينهم فمذ نأوا قصّرتها لوعة الحرق

قطفت باللّحظ وردا من خدودهم فاستقطر البعد ماء الورد من حدقى

و قيل إنّه رئى فى المنام بعد موته فسئل عمّا لقى بعد موته فكان جوابه.

ما كان لى من شافع عنده إلّا اعتقادى أنّه واحد

و فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد الوهاب بن منصور الحرّانىّ الحنبلىّ، كان فقيها إماما عالما عارفا بعلم الأصول و الخلاف و الفقه و درّس

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۵

و أفتى و اشتغل [على الشيخ علم الدين القاسم فى الأصول و العربيّة] و مات فى جمادى الأولى. و من شعره قوله:

طار قلبى يوم ساروا فرقا و سواء فاض دمعى أورقا

حار فى سقمى من بعدهم كلّ من فى الحىّ داوى أورقى

بعدهم لاطلّ وادى المنحنى و كذا بان الحمى لا أورقا

و فيها توفى الأديب الشاعر شهاب الدين أبو المكارم محمد بن يوسف بن مسعود ابن بركة الشيبانى التّلعفرىّ الشاعر المشهور، مولده سنة ثلاث و تسعين و خمسمائة بالموصل، و مات بحماة فى شوّال. كان أديبا فاضلا حافظا للأشعار و أيّام العرب و أخبارها، و كان يتشيّع، و كان من شعراء الملك الأشرف موسى شاه أرمن، و كان التّلعفرىّ هذا مع تقدّمه فى الأدب و براعته ابتلى بالقمار، و وقع له بسبب القمار أمور منها: أنه نودى بحلب من قبل السلطان: من قامر مع الشّهاب التلعفرىّ قطعنا يده، فضاقت عليه الأرض، فجاء إلى دمشق و لم يزل يستجدى و يقامر حتى بقى فى اتون من الفقر.

قلت: و ديوان شعره لطيف فى غاية الحسن و هو موجود بأيدى الناس. و من شعره قصيدته المشهورة:

أیّ دمع من الجفون أساله إذ أتته مع النسیم رساله
حمّلته الریاح أسرار عرف أودعتها السحائب الهطّاله
یا خلیلی و للخلیل حقوق واجبات الأداء فی کلّ حاله
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۶
سل عقیق الحمی و قل إذ تراه خالیا من ظبائه المختاله
أین تلک المراشف العسلیّ ات و تلک المعاطف العسّاله
و لیال قضیتها کلأل بغزال تغار منه الغزاله
بابلیّ الألحاظ و الریق و الأل فاظ کلّ مدامة سلساله
من بنی التّرک کلّما جذب القو س رأینا فی برجه بدر هاله
أوقع الوهم حین یرمی فلم ند ر یداه أم عینه النّباله
قلت لمّا لوی دیون وصالی و هو مثر و قادر لا محاله
بیننا الشرع قال سربی فعندی من صفاتی لکلّ دعوی دلاله
و شهودی من خال حدّی و [من] قد ی شهود معروفة بالعداله
أنا وکلت مقلتی فی دم الخل ق فقالت قبلت هذی الوکاله
و له موشّحة مدح بها شهاب الدین الأعزازیّ، ثم وقع بینهما و تهاجیا.
و أوّل الموشّحة:
لیس یروی ما بقلبی من ظما غیر برق لائح من إضم
إن تبدّی لک بان الأجرع و أثیلات النّقا من لعلع
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۷
یا خلیلی قف علی الدّار معی و تأمّل کم بها من مصرع
و احترز و احذر فأحداق الدّمی کم أراقت فی رباها من دم
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۲۵۷
حظّ قلبی فی الغرام الوله فعذولی فیک ما لی و له
حسبی اللیل فما أطوله لم یزل آخره أوّله
فی هوی أهیف معسول اللّمی ریقه کم قد شفی من ألم
و له فی القمار:
ینشرح الصدر لمن لاعبنی و الأرض بی ضیّقة فروجها
کم شوّشت شیوشها عقلی و کم عهدا سقتنی عامدا بنوجها
و من شعره و أجاد، عفا اللّه عنه:
أحبّ الصالحین و لست منهم رجاء أن أنال بهم شفاعه
و أبغض من به أثر المعاصی و إن کنّا سواء فی البضاعه
الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی القاضی شمس الدین علیّ بن محمود الشهرزوریّ مدرّس القیمریّة فی شوّال. و الشیخ قطب الدین أحمد بن عبد السلام [بن المطهّر بن عبد اللّه بن محمد بن هبة اللّه بن علیّ] بن أبی عصرون بحلب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۸

فی جمادی الآخرة. و الإمام شمس الدین محمد بن عبد الوهّاب بن منصور الحرّانیّ الحنبلیّ فی جمادی الأولی. و الشهاب محمد بن یوسف بن مسعود التّلّعفریّ الشاعر بحماة فی شوّال، و له ثلاث و ثمانون سنة.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ستّ أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و إحدی عشرة إصبعا.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۵۹

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۶]

ذکر ولایة السلطان الملک السعید محمد ابن الملک الظاهر بیبرس علی مصر

هو السلطان الملک السعید ناصر الدین أبو المعالی محمد المدعو برکة خان ابن السلطان الملک الظاهر بیبرس البندقداریّ الصالحیّ النّجمیّ، الخامس من ملوک التّرک بمصر. سمّی برکة خان علی اسم جدّه لأمّه برکة خان بن دولة خان الخوارزمیّ.

تسلطن الملک السعید هذا فی حیاة والده حسب ما ذکرناه فی ترجمة والده فی یوم الخمیس ثالث عشر شوّال سنة اثنتین و ستّین و ستمائة. و أقام علی ذلک سنین، و لیس له من السلطنة إلّا مجرّد الاسم، إلی أن توفّی أبوه الملک الظاهر بیبرس فی یوم الخمیس بعد صلاة الظهر التاسع و العشرین من المحرّم من سنة ستّ و سبعین و ستمائة بدمشق. اتفق رأی الأمراء [علی] إخفاء موت الظاهر، و کتب الأمیر بیلیک الخازندار عرّف الملک السعید هذا بذلک علی ید الأمیر بدر الدین بکتوت

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۰

الجوکندار الحمویّ، و علی ید الأمیر علاء الدین أیدغمش الحکیمیّ الجاشنکیر.

فلمّا بلغ الملک السعید موت والده الملک الظاهر أخفاه أیضا، و خلع علیهما و أعطی کلّ واحد منهما خمسین ألف درهم، علی أنّ ذلک بشارة بعود السلطان إلی الدیار المصریّة. و سافرت العساکر من دمشق إلی جهة الدیار المصریّة فدخلوها یوم الخمیس سادس عشرین صفر من سنة ستّ و سبعین و ستمائة، و مقدّمهم الأمیر بدر الدین بیلیک الخازندار؛ و دخلوا مصر و هم یخفون موت الملک الظاهر فی الصورة الظاهرة، و فی صدر الموکب مکان تسییر السلطان تحت العصائب، محفّة وراءها السّلحداریة و الجمداریّة و غیرهم من أرباب الوظائف توهم أنّ السلطان فی المحفّة مریض، هذا مع عمل جدّ فی إظهار ناموس السلطنة و الحرمة للمحفّة و التأدّب مع من فیها حتی تمّ لهم ذلک.

قلت: للّه درّهم من أمراء و حاشیة! و لو کان ذلک فی عصرنا هذا ما قدر الأمراء علی إخفاء ذلک من الظهر إلی العصر.

و لمّا وصلوا إلی قلعة الجبل، ترجّل الأمراء و العساکر بین یدی المحفّة، کما کانت العادة فی الطریق فی کل منزلة من حین خروجهم من دمشق إلی أن وصلوا إلی قلعة الجبل من باب السرّ، و عند دخولها إلی القلعة اجتمع الأمیر بدر الدین بیلیک الخازندار بالملک السعید هذا، و کان الملک السعید لم یرکب لتلقّیهم، و قبّل الأرض و رمی بعمامته ثم صرخ، و قام العزاء فی جمیع القلعة، و لوقتهم جمعوا الأمراء

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۱

و المقدّمین و الجند و حلّفوهم بالإیوان المجاور لجامع القلعة للملک السعید، و استثبت له الأمر علی هذه الصورة، و خطب له یوم الجمعة [سابع عشرین صفر] بجوامع القاهرة و مصر، و صلّی علی والده صلاة الغائب.

و مولد الملک السعید هذا فی صفر سنة ثمان و خمسین و ستمائة؛ و قیل: سنة سبع و خمسین بالعشّ من ضواحی مصر، و نشأ بدیار

مصر تحت كنف والده إلى أن سلطنه فى حياته؛ كما تقدّم ذكره.

و أمّا الأمير بدر الدين بيليك الخازندار فإنّه لم تطل مدّته، و مات فى ليلة الأحد سابع شهر ربيع الأوّل. و خلع الملك السعيد على الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانىّ بنيابة السلطنة عوضا عن بيليك الخازندار المذكور.

و فى سادس عشر شهر ربيع الأوّل [يوم الأربعاء] ركب السلطان الملك السعيد من القلعة تحت العصائب على عادة والده و سار إلى تحت الجبل الأحمر، و هذا أوّل ركوبه بعد قدوم العسكر، ثم عاد و شقّ القاهرة و سرّ الناس به سرورا زائدا، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۲

عمره يومئذ تسع عشرة سنة، و طلع القلعة و أقام إلى يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الأوّل المذكور قبض على الأمير سنقر الأشقر و على الأمير بدر الدين بيسرى و حبسهما بقلعة الجبل. ثم فى يوم السبت ثامن عشر شهر ربيع الآخر قبض الملك السعيد على الأمير آق سنقر الفارقانىّ نائب السلطنة بديار مصر المقدّم ذكره.

ثم فى تاسع عشر الشهر المذكور أفرج الملك السعيد عن الأمير سنقر الأشقر و بيسرى و خلع عليهما و أعادهما إلى مكانتهما.

و فى يوم الاثنين رابع جمادى الأولى فتحت المدرسة التى أنشأها الأمير آق سنقر الفارقانىّ المجاورة للوزيريّة بالقاهرة و جعل شيخها على مذهب أبى حنيفة رضى اللّه عنه.

و فى يوم الجمعة [رابع عشر جمادى الآخرة] قبض الملك السعيد على خاله الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمىّ و حبسه بقلعة الجبل لأمر

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۳

نقمه عليه، ثم أفرج عنه فى ليلة خامس عشرينه، و خلع عليه و أعاده إلى منزلته.

و كان الملك السعيد هذا أمر ببناء مدرسة لدفن أبيه فيها، حسب ما أوصى به والده، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس فى ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق إلى التربة المذكورة بدمشق داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادليّة، و التربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقى فاشتريت و هدمت، و بنى موضع بابها قبّة الدفن و فتح لها شبابيک على الطريق و جعل بقيّة الدار مدرسة على فريقين:

حنفيّة و شافعيّة. و كان دفنه بها فى نصف الليل و لم يحضره سوى الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرىّ نائب الشام، و من الخواصّ دون العشرة لا غير.

ثم وقع الاهتمام إلى السّفر للبلاد الشامية و تجهّز السلطان و العساكر. فلمّا كان يوم السبت سابع ذى القعدة برز الملك السعيد بالعساكر من قلعة الجبل إلى مسجد

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۴

التّبن خارج القاهرة فأقام به إلى يوم السبت حادى عشرينه، انتقل بخواصّه إلى الميدان الذى أنشأه بين مصر و القاهرة، و دخلت العساكر إلى منازلهم، و بطلت حركة السفر بعد أن أعاد قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان إلى قضاء دمشق و أعمالها من العريش الى سلمية، و توجّه ابن خلكان إلى الشام، و طلع الملك السعيد إلى قلعة الجبل و أبطل حركة السفر بالكليّة إلى وقت يريده حسب ما وقع الاتفاق عليه، و استمرّ بالقلعة إلى أن أمر العساكر بالتأهب إلى السفر و تجهّز هو أيضا لأمر اقتضى ذلک.

و خرج من الديار المصريّة فى العشر الأوسط من ذى القعدة من سنة سبع و سبعين و ستمائة و خرج من القاهرة بعساكره و أمرائه، و سار حتى وصل إلى الشام فى خامس ذى الحجّة، فخرج أهل دمشق إلى ملتقاه و زيّنوا له البلد و سرّوا بقدومه سرورا زائدا. و عمل عيد النّحر بقلعة دمشق و صلّى العيد بالميدان الأخضر.

و ورد عليه الخبر بموت الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حنّا بالقاهرة، فقبض السلطان على حفيده الصاحب تاج الدين

محمد، و ضرب الحوطة على موجوده بسبب موت جدّه الصاحب بهاء الدين المذكور.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۵

ثم أرسل السلطان الملك السعيد إلى برهان الدين الخضر بن الحسن السّنجارىّ باستقراره وزيرا بالديار المصرية ثم خلع السلطان على الصاحب فتح الدين عبد اللّه [ابن محمد بن أحمد بن خالد بن نصر] بن القيسرانىّ بوزارة دمشق، و بسط يده فى بلاد الشام و أمر القضاة و غيرهم بالركوب معه.

ثم جهّز السلطان العساكر إلى بلاد سيس للنّهب و الإغارة، و مقدّمهم الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ. و أقام الملك السعيد بدمشق فى نفر يسير من الأمراء و الخواصّ، فصار فى غيبة العسكر يكثر التردّد الى الربعية من قرى المرج يقيم فيها أيّاما ثمّ يعود. ثم أسقط السلطان ما كان قرّره والده الملك الظاهر على بساتين دمشق فى كلّ سنة، فسرّ الناس بذلك و تضاعفت أدعيتهم له و استمرّ السلطان بدمشق إلى أن وقع الخلف فى العشر الأوسط من شهر ربيع الأوّل من سنة ثمان و سبعين بين المماليك الخاصّكيّة الملازمين لخدمته و بين الأمراء لأمور يطول شرحها.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۶

و عجز الملك السعيد عن تلافى ذلك، و خرج عن طاعته الأمير سيف الدين كوندك الظاهرىّ نائب السلطنة و مقدّم العساكر مغاضبا للسلطان الملك السعيد، و خرج معه نحو أربعمائة مملوك من الظاهريّة: منهم جماعة كثيرة مشهورة بالشجاعة و نزلوا بمنزلة القطيّفة فى انتظار العساكر التى ببلاد سيس ففى العشر الأخير من شهر ربيع الأوّل عادت العساكر من بلاد سيس إلى جهة دمشق فنزلوا بمرج عذراء إلى القصير؛ و كان قد اتّصل بهم سيف الدين كوندك و من معه و استمالوهم فلم يدخل العسكر دمشق، و أرسلوا إلى الملك السعيد فى معنى الخلف الذى حصل بين الطائفتين، و كان كوندك مائلا إلى الأمير بيسرى. و لمّا اجتمع بالأمير سيف الدين قلاوون الألفى و الأمير بدر الدين بيسرى و الأمراء الكبار أوحى إليهم عن السلطان ما غلّت صدورهم، و خوّفهم من الخاصّكيّة و عرّفهم أنّ نيّتهم لهم غير جميلة، و أنّ الملك السعيد موافق على ذلك و أكثر من القول المختلق؛ فوقع الكلام بين الأمراء الكبار و بين السلطان الملك السعيد، و تردّدت الرّسل بينهم، فكان من جملة ما اقترح الأمراء على الملك السعيد إبعاد الخاصّكيّة عنه، و ألّا يكون لهم فى الدولة تدبير و لا حديث، بل يكونوا على أخبازهم و وظائفهم مقيمين؛ فلم يجب الملك السعيد إلى ذلك؛ فرحل العسكر من مرج عذراء إلى ذيل عقبة الشّحورة بأسرهم و لم يعبروا المدينة بل جعلوا طريقهم من المرج، و أقاموا بهذه المنزلة ثلاثة أيام، و الرّسل تتردّد بينهم و بين

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۷

الملك السعيد؛ ثم رحلوا و نزلوا بمرج الصّفّر و عند رحيلهم رجع الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرى نائب الشام و أكثر عسكر دمشق، و قدموا مدينة دمشق و دخلوا فى طاعة السلطان. و فى يوم رحيلهم من مرج الصّفّر سيّر الملك السعيد والدته بنت بركة خان فى محفّة و فى خدمتها الأمير شمس الدين قرا سنقر، و كان من الذين لم يتوجّهوا إلى بلاد سيس و لحقوا العسكر؛ فلمّا سمعوا بوصولها خرج الأمراء الأكابر المقدّمون لملتقاها، و ترجّلوا بأجمعهم و قبّلوا الأرض أمام المحفّة، و بسطوا الحرير العتّابى و غيره تحت حوافر بغال المحفّة و مشوا أمام المحفّة حتى نزلت فى المنزلة، فلمّا استقرّت بها تحدّثت معهم فى الصلح و الانقياد و اجتماع الكلمة، فذكروا ما بلغهم من تغيّر السلطان عليهم، و موافقته الخاصّكيّة على ما يرومونه من إمساكهم و إبعادهم؛ فحلفت لهم على بطلان ما نقل إليهم، فاشترطوا شروطا كثيرة التزمت لهم بها، و عادت إلى ولدها و عرّفته الصورة؛ فمنعه من حوله من الخاصّكيّة من الدخول تحت تلك الشروط، و قالوا: ما القصد إلّا إبعادنا عنك حتّى يتمكنوا منك و ينزعوك من الملك، فمال إلى كلامهم و أبى قبول تلك الشروط.

فلمّا بلغ العسكر ذلك رحل من مرج الصّفّر قاصدا الديار المصريّة؛ فخرج السلطان الملك السعيد بنفسه فيمن معه من الخاصّكيّة جريدة، و ساق فى طلبهم ليتلافى الأمر إلى أن بلغ رأس الماء، فوجدهم قد عدوه و أبعدوا، فعاد من يومه و دخل قلعة دمشق فى الليل

و هى ليلة الخميس سلخ شهر ربيع الأوّل سنة ثمان و سبعين و ستمائة. و أصبح فى يوم الجمعة مستهلّ شهر ربيع الآخر خرج السلطان

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۸

الملك السعيد بجميع من تحلّف معه من العساكر المصريّة و الشاميّة إلى جهة الديار المصريّة بعد أن صلّى الجمعة بها، و سار بمن معه فى طلب العساكر المقدّم ذكرهم، و جهّز والدته و خزائنه إلى الكرك؛ و سار حتّى وصل إلى بلبيس يوم الجمعة خامس عشر شهر ربيع الآخر المذكور، فوجد العسكر قد سبقه إلى القاهرة؛ فأمر بالرحيل من بلبيس؛ فلمّا أخذت العساكر فى الرحيل من بلبيس بعد العصر فارق الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرىّ نائب الشام و صحبته أكثر أمراء دمشق السلطان الملك السعيد، و انضاف إلى المصريّين، و بلغ الملك السعيد ذلك فلم يكترث؛ و ركب بمن بقى معه من خواصّه و عساكره و سار بهم حتّى وصل ظاهر القاهرة؛ و كان نائبه بالديار المصريّة الأمير عز الدين أيبك الأفرم، و هو بقلعة الجبل و العساكر محدقة بها، فتقدّم الملك السعيد بمن معه لقتال العساكر، و كان الذى بقى مع السلطان الملك السعيد جماعة قليلة بالنسبة إلى من يقاتلونه، و وقع المصافّ بينهم و تقاتلوا فحمل الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ من جهة الملك السعيد و شقّ الأطلاب و دخل إلى قلعة الجبل بعد أن قتل من الفريقين نفر يسير، و ملك القلعة و شال علم السلطان، ثم نزل و فتح للملك السعيد طريقا و طلع به إلى القلعة.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّه بقى فى المطريّة وحده و صار لا إلى هؤلاء و لا إلى هؤلاء.

و لمّا طلع السلطان إليها أحاطت العساكر بها و حاصروها و قاتلوا من بها قتالا شديدا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۶۹

و ضايقوها و قطعوا الماء الذى يطلع إليها و زحفوا عليها فجدّوا فى القتال، و رأى الملك السعيد تخلّى من كان معه و تخاذل من بقى معه من الخاصّكيّة، و علم أنّه لا طاقة له بهم، و كان المشار إليه فى العسكر المخامر الأمير سيف الدين قلاوون الألفىّ، و هو حمو الملك السعيد فإنّ الملك السعيد كان تزوّج ابنته قبل ذلك بمدّة، فجرت المراسلات بينهم و كثر الكلام و تردّدت الرّسل غير مرّة، حتّى استقرّ الحال على أن الملك السعيد يخلع من السلطنة و ينصّبون فى السلطنة أخاه بدر الدين سلامش ابن الملك الظاهر بيبرس، و يقطعون الملك السعيد هذا و أخاه نجم الدين خضرا الكرك و الشّوبك و أعمالهما؛ فسيّر الملك السعيد الأمير علم الدين سنجر الحلبىّ و القاضى تاج الدين محمد بن الأثير إلى الأمير سيف الدين قلاوون و أعيان الأمراء ليستوثق لنفسه منهم، فحلفوا له على الوفاء بما التزموه من إعطاء الكرك و الشّوبك له و لأخيه.

و خرج من قلعة الجبل يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر المذكور و نزل إلى دار

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۰

العدل التى على باب القلعة، و كانت مركز الأمير قلاوون فى حال المصافّ و القتال، و كان الحصار ثلاثة أيام بيوم القدوم لا غير.

و لمّا حضر الملك السعيد إلى عند قلاوون أحضر أعيان القضاة و الأمراء و المفتين و خلعوا الملك السعيد هذا من السلطنة و سلطنوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش و لقّبوه بالملك العادل سلامش، و عمره يومئذ سبع سنين و جعلوا أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النّجمىّ. و استمرّت بنت قلاوون عند زوجها الملك السعيد المذكور إلى ما سيأتى ذكره.

ثم أخذ قلاوون فى تحليف الأمراء للملك العادل فحلفوا له بأجمعهم على العادة، و ضربت السّكّة فى أحد الوجهين: اسم الملك العادل و الآخر اسم قلاوون، و خطب لهما أيضا معا على المنابر، و استمرّ الأمر على ذلك؛ و تصرّف قلاوون فى المملكة و الخزائن، و عامله الأمراء و الجيوش بما يعاملون به السلطان. ثم عمل قلاوون بخلع الملك السعيد محضرا شرعيّا و وضع الأمراء خطوطهم عليه و شهادتهم فيه، و كتب فيه المفتون و القضاة و أعطوا الملك السعيد الكرك و عملها، و أخاه نجم الدين خضرا الشّوبك و عملها. و خرج الملك السعيد من قلعة الجبل إلى بركة الحجّاج متوجّها إلى الكرك فى يوم الاثنين ثامن عشر شهر ربيع الآخر المذكور من سنة ثمان و سبعين (أعنى ثانى يوم من خلعه) و معه جماعة من العسكر صورة ترسيم، و مقدّمهم الأمير

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۱

سیف الـدین بیـدغان الرّکنی، ثم بـدا لهم أن یرجعوا به إلی القلعـة فعـادوا إلیهـا فی نهـار الاـثنین لأـمر أرادوه و قرّروه معه ثم أمروه بالتوجّه؛ فخرج و سافر لیلة الثلاثاء إلی الکرک بمن معه فوصلها یوم الاثنین خامس عشرین شـهر ربیع الآخر المذکور، و تسلّم أخوه نجم الـدین خضـر الشّوبـک، و کـان الأمیر بیـدغان و من معه قـد فارقوا الملک السـعید من غزّة و رجعوا إلی الـدیار المصـریّة؛ و أقام الملک السـعید بالکرک و زال ملکه؛ فکانت مدّة حکمه و سـلطنته بعد موت أبیه الملک الظاهر بیبرس إلی یوم خلعه سنتین و شهرین و خمسـة عشـر یومـا، و اسـتمرّ بـالکرک مع ممـالیکه و عیـاله، و قصـده النـاس و الأجنـاد، فصار ینعم علی من یقصـده، و اسـتکثر من استخدام الممالیک.

ثم رسم الأمیر سـیف الـدین قلاوون بانتقال الملک خضـر من الشّوبک إلی عند أخیه الملک السـعید بالکرک، و تسلّم نوّاب قلاوون الشّوبـک؛ و دام الملـک السـعید علی ذلـک حـتی خلـع سـلامش من السـلطنة و تسـلطن قلاـوون حسب مـا یـأتی ذکر ذلـک کلّه فی ترجمتهما.

فلمّا تسـلطن قلاوون بلغه عن الملک السـعید أنّه اسـتکثر من اسـتخدام الممالیک و أنّه ینعم علی من یقصده فاستوحش منه، و تأثّر من ذلک. فمرض الملک السـعید بعـد ذلک بمـدّة یسـیرة و توفّی، رحمه اللّه تعالی، فی یوم الجمعـة حادی عشـر ذی القعدة سـنة ثمان و سبعین و سـتمائة بالکرک، و دفن من یومه بأرض مؤتة عند جعفر بن أبی طالب، رضـی اللّه عنه، ثم نقل بعد ذلک إلی دمشق فی سنة ثمانین و ستمائة فدفن إلی جنب والده الملک الظاهر بیبرس بالتّربة التی أنشأها قبالة المدرسة العادلیّة السّیفیّة، و ألحده

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۲

قاضـی القضاة عزّ الدین محمد بن الصائغ. و کانت مدة إقامته بالکرک بعد أن خلع من السـلطنة سـتة أشـهر و خمسة و عشرین یوما. و وجد الناس علیه کثیرا و عمل عزاؤه بسائر البلاد، و خرجت الخوندات حاسـرات بجواریهنّ یلطمن بالملاهی و الدّفوف أیاما عدیدة، و یسـمعن الملک المنصور قلاوون الکلام الخشن و أنواع السبّ و هو لا یتکلّم، فإنّه نسب الیه أنه اغتاله بالسمّ لمّا سـمع کثرة اسـتخدامه للممالیک و غیرهم.

قلت: و لاـ یبعـد ذلـک عن الملـک المنصور قلاـوون لکثرة تخوّفه من عظم شوکته و کثرة ممالیک والـده و حواشـیه. و أبغض الناس الملـک المنصور قلاـوون سـنینا کثیرة إلی أن أرضـاهم بکثرة الجهـاد و الفتوحات؛ و أبغض الملک المنصور قلاوون حتی ابنته زوجة الملک السـعید المـذکور، فإنّها وجدت علی زوجها الملک السـعید وجدا عظیما و تألّمت لفقده؛ و لم تزل باکیة علیه حزینة لم تتزوّج بعده إلی أن توفّیت بعد زوجها الملک السعید بمدّة طویلة فی مستهلّ شهر رجب سنة سبع و ثمانین و ستمائة.

و کانت شقیقة الملک الأشرف خلیل بن قلاوون، و دفنت فی تربة معروفة بوالدها بین مصر و القاهرة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۳

و صلّی علی الملک السـعید بدمشق صـلاة الغائب یوم الجمعة رابع و عشـرین ذی الحجّة. ثم أنعم الملک المنصور بالکرک بعد موته علی أخیه خضر و لقّب بالملک المسعود خضر.

و کان الملک السـعید، رحمه اللّه، سـلطانا جلیلا کریما سـخیّ الکفّ، کثیر العدل فی الرعیّة، محسـنا للخاصّ و العامّ، لا یردّ سائلا و لا یخیّب آملا، و کان متواضعا بشوشا، حسن الأخلاق لیس فی طبعه عسف و لا ظلم، کثیر الشفقة و الرحمة علی الناس، لیّن الکلمة محبّا لفعل الخیر، قلیل الحجاب علی الناس یتصـدّی للأحکام بنفسه، و کان لا یمیل لسـفک الدماء مع قدرته علی ذلک، و کان یوم دخوله إلی قلعة الجبل ولد له مولود ذکر من بعض حظایاه فی شهر ربیع الآخر من هذه السنة.

و کان یحبّ التجمّل و یکثر من الإنعام علی الناس و یخلع حتّی فی الأعزیـة. و لمّا مات خاله الأمیر بدر الدین محمد بن برکة خان بن دولة خان، و کان من أعیان الأمراء بالدیار المصـریّة فی الدولة الظاهریّة، و کان حصل له عند إفضاء الملک لابن أخته الملک السعید

تقدّم كبير و مكانة عالية، و توجّه معه إلى دمشق فمرض بها إلى أن توفّى ليلة الخميس تاسع شهر ربيع الأوّل، و دفن بسفح قاسيون بالتّربة المجاورة لرباط الملك الناصر صلاح الدين يوسف؛ و مقدار عمره خمسون سنة، عمل له

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۴

عدّة أعزية و قرئ بالتّربة عدّة ختمات، حضر إحداها ابن أخته الملك السعيد، و مدّ خوان فيه من عظيم فاخر الأطعمة و الحلاوات، فأكل من حضر، و خلع الملك السعيد على والدته و مماليكه و خواصّه و هو فى العزاء فلبسوا الخلع و قبّلوا الأرض، و كانت الخلع خارجة عن الحدّ. فهذا أيضا ممّا يدلّ على كرمه و وسع نفسه و كثرة إنعامه حتّى فى الأعزية، رحمه اللّه تعالى. انتهت ترجمة الملك السعيد.

و يأتى ذكر حوادث سنين سلطنته على عادة هذا الكتاب، إن شاء اللّه تعالى.

السنة الأولى من ولاية الملك السعيد محمد بركة خان على مصر، و هى سنة ستّ و سبعين و ستمائة.

فيها توفى الشيخ كمال الدين أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل [بن إبراهيم ابن فارس] الإسكندرى المقرئ، كان عارفا بالقراءات، و انتفع به خلق كثير، و تولّى نظر حبس دمشق، و نظر بيت المال بها مضافا إلى نظر الحبس، و باشر عدّة وظائف دينيّة. و مات فى صفر. و كان رئيسا فاضلا.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه المحمّدىّ الصالحىّ النّجمىّ، كان من أعيان الأمراء و من أكابرهم، و كان الملك الظاهر بيبرس يخافه، فحبسه مدّة طويلة ثم أفرج عنه فمات فى شهر ربيع الأوّل، و دفن بتربته بالقرافة الصغرى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۵

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الموصلىّ الظاهرىّ نائب السلطنة بحمص، و كان ولى حمص مدّة ثم عزله الملك الظاهر عنها و نفاه إلى حصن الأكراد، و كان شجاعا مقداما.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الدّمياطىّ الصالحىّ النّجمىّ أحد أكابر الأمراء المقدّمين على الجيوش، كان قديم الهجرة [بينهم] فى علوّ المنزلة و سموّ المكانة، و كان الملك الظاهر أيضا حبسه مدّة طويلة ثم أطلقه و أعاده إلى مكانته.

و مات بالقاهرة فى شعبان و دفن بتربته التى أنشأها بين القاهرة و مصر فى القبّة المجاورة لحوض السبيل المعروف به.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۶

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيدمر بن عبد اللّه العلائىّ نائب قلعة صفد، حضر بعد موت الملك الظاهر إلى القاهرة و مات بها و دفن بالقرافة الصغرى، و كان ديّنا عفيفا أمينا، و هو أخو الأمير علاء الدين أيدكين الصالحىّ.

و فيها توفّى الأمير بدر الدين بيليك بن عبد اللّه الظاهرىّ الخازندار نائب السلطنة بالديار المصريّة بل بالممالك كلّها. قد تقدّم من ذكره نبذة جيّدة فى عدّة مواطن، و هو الذى أخفى موت الملك الظاهر حتى قدم به إلى مصر حسب ما تقدّم ذكره، و كانت وفاته بالقاهرة فى سادس شهر ربيع الأوّل بقلعة الجبل و دفن بتربته التى أنشأها بالقرافة الصغرى، و حزن الناس عليه حزنا شديدا حتى شمل مصابه الخاصّ و العامّ، و عمل عزاؤه بالقاهرة ثلاثة أيام، فى الليل بالشّموع و أنواع الملاهى. و صدّع موته القلوب و أبكى العيون؛ و قيل: إنّه مات مسموما، و كان عمره خمسا و أربعين سنة، و محاسنه كثيرة يطول الشرح فى ذكرها.

و فيها توفّى الشيخ المعتقد خضر بن أبى بكر [محمد] بن موسى أبو العبّاس المهرانىّ العدوىّ، كان أصله من قرية المحمّديّة من أعمال جزيرة ابن عمر، و هو شيخ الملك الظاهر بيبرس، و صاحب الزاوية التى بناها له الملك الظاهر بالحسينيّة على الخليج بالقرب من جامع الظاهر. و قد تقدّم من ذكره فى ترجمة الملك الظاهر ما يغنى عن الإعادة هاهنا. و كان الشيخ خضر بشّر الملك الظاهر قبل سلطنته بالملك، فلمّا تسلطن صار له فيه العقيدة العظيمة حتّى إنّه كان ينزل إليه فى الجمعة المرّة و المرّتين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۷

و کان یطلعه علی غوامض أسراره، و یستشیره فی أموره، و یستصحبه فی أسفاره، و فیه یقول الشریف محمد بن رضوان الناسخ.

ما الظاهر السلطان إلا مالک الد نیا بذاک لنا الملاحم تخبر

و لنا دلیل واضح کالشمس فی وسط السماء بکلّ عین تنظر

لمّا رأینا الخضر یقدم جیشه أبدا علمنا أنّه الإسکندر

و کان الشیخ یخبر الملک الظاهر بأمور قبل وقوعها فتقع علی ما یخبره، ثم تغیّر الملک الظاهر علیه لأمور بلغته عنه و أحضر السلطان من حاققه، و ذکروا عنه من القبائح ما لم یصدر عن مسلم! و اللّه أعلم بصحّة ذلک؛ فآستشار الملک الظاهر الأمراء فی أمره، فمنهم من أشار بقتله، و منهم من أشار بحبسه، فمال الظاهر إلی قتله ففهم خضر؛ فقال للظاهر: اسمع ما أقول لک، إنّ أجلی قریب من أجلک، و بینی و بینک مدّة أیّام یسیرة، فمن مات منّا لحقه صاحبه عن قریب! فوجم الملک الظاهر و کفّ عن قتله، فحبسه فی مکان لا یسمع له فیه حدیث، و کان حبسه فی شوّال سنة إحدی و سبعین و ستمائة، و توفّی یوم الخمیس أو فی لیلة الجمعة سادس المحرّم سنة ست و سبعین و ستمائة، و دفن بزوایته بالحسینیّة. و کان الملک الظاهر بدمشق، فلمّا بلغه موته اضطرب و خاف علی نفسه من الموت لما کان قال له الشیخ خضر: إنّ أجله من أجله قریب، فمرض الظاهر بعد أیام یسیرة و مات، فکان بین الشیخ خضر و بین الملک الظاهر دون الشهر. انتهی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۸

و فیها توفّی شیخ الإسلام محیی الدین أبو زکریّا یحیی بن شرف بن مری بن الحسن ابن الحسین النّووی الفقیه الشافعیّ الحافظ الزاهد صاحب المصنّفات المشهورة.

ولد فی العشر الأوسط من المحرّم سنة إحدی و ثلاثین و ستمائة، و مات لیلة الأربعاء رابع عشرین شهر رجب بقریة نوی.

قلت: و فضله و علمه و زهده أشهر من أن یذکر. و قد ذکرنا من أمره نبذة کبیرة فی تاریخنا «المنهل الصافی و المستوفی بعد الوافی»؛ إذ هو کتاب تراجم یحسن الإطناب فیه. انتهی.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی الملک القاهر عبد الملک بن المعظّم [عیسی] بن العادل [أبی بکر بن أیّوب] فی المحرّم مسموما.

و السلطان الملک الظاهر رکن الدین الصالحیّ بیبرس فی أواخر المحرّم بالقصر الأبلق،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۷۹

و له بضع و خمسون سنة. و کمال الدین إبراهیم بن الوزیری نجیب الدین [أحمد] بن إسماعیل [بن إبراهیم] بن فارس التّمیمیّ الکاتب المقرئ فی صفر، و له ثمانون سنة.

و الواعظ نجم الدین علیّ بن علیّ بن إسفندیار بدمشق فی رجب، و له خمس و أربعون سنة و أشهر. و بیلیک الظاهریّ الخازندار نائب مصر. و الصاحب معین الدین سلیمان بن علیّ [بن محمد بن حسن] البرواناه الرومیّ، قتله أبغا فی المحرّم. و الشیخ خضر بن أبی بکر العدویّ شیخ السلطان. و الشیخ الإمام شمس الدین محمد [بن إبراهیم ابن عبد الواحد بن علیّ بن سرور قاضی القضاة أبو بکر و أبو عبد اللّه المعروف ب] ابن العماد الحنبلیّ فی المحرّم بمصر. و القاضی تقیّ الدین محمد بن حیاة الرّقّیّ قاضی حلب بتبوک فی المحرّم.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم ست أذرع و ثلاث عشرة إصبعا.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و ثمانی أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۷]

اشارة

السنة الثانية من ولاية الملك السعيد على مصر، و هى سنة سبع و سبعين و ستمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۰

فيها توفّى الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس إبراهيم بن أحمد بن أبى الفرج الدّمشقىّ الحنفىّ المعروف بابن السّديد إمام مقصورة الحنفيّة شمالى جامع دمشق و ناظر وقفها. كان إماما فقيها ديّنا كثير الخير غزير المروءة. مات فى جمادى الأولى ببستانه بالمزّة و دفن بسفح قاسيون.

و فيها توفّى الأمير شمس الدّين آق سنقر بن عبد اللّه الفارقانىّ، كان أصله من مماليك الأمير نجم الدين حاجب الملك الناصر صلاح الدين يوسف صاحب الشام، ثم انتقل إلى ملك السلطان الملك الظاهر بيبرس، و تقدّم عنده و جعله أستادارا كبيرا. و كان للملك الظاهر عدّة أستادارية، و كان الملك الظاهر كثير الوثوق به فى أموره و يستنيبه فى غيبته و يقدّمه على عساكره، و لمّا صار الأمر إلى الملك السعيد جعله نائبه لسائر الممالك بعد بيليك الخازندار، فلمّا ثارت الخاصّكيّة قبضوا عليه و قتلوه، و قيل إنّه بقى فى هذه السنة، و الأصحّ أنّهم قبضوا عليه و سجنوه إلى أن مات فى جمادى الأولى من هذه السنة. و كان أميرا كبيرا جسيما شجاعا مقداما مهابا ذا رأى و تدبير و عقل و دهاء، كثير البرّ و الصدقات عالى الهمّة، و له مدرسة عند داره داخل باب سعادة بالقاهرة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۱

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه النّجيبىّ الصالحىّ النّجمىّ الأيّوبىّ، كان مقرّبا عند أستاذه الملك الصالح و ولّاه أستادارا، و كان كثير الاعتماد عليه. ثم ولّاه الملك الظاهر بيبرس نيابة دمشق فأقام بها تسع سنين، ثم عزله و تركه بطّالا بالقاهرة إلى أن مات بها فى ليلة الجمعة خامس شهر ربيع الآخر بداره بدرب ملوخيّا من القاهرة، و دفن يوم الجمعة بتربته بالقرافة الصغرى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين طه بن إبراهيم بن أبى بكر بن أحمد بن بختيار الهذبانى الإربلىّ، كان عنده فضيلة و أدب و رياسة، و له يد فى النظم. و مات فى جمادى الأولى. و من شعره فى النهى عن النظر فى النجوم:

دع النجوم لطرقىّ يعيش بها و بالعزيمة فانهض أيّها الملك

إنّ النّبىّ و أصحاب النّبىّ نهوا عن النجوم و قد أبصرت ما ملكوا

و فيها توفّى قاضى القضاة مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن هبة اللّه العقيلىّ الحلبىّ الحنفىّ ابن الصاحب كمال الدين عمر بن العديم. كان إماما

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۲

عالما فاضلا كبير الديانة و الورع، كان جمع بين العلم و العمل و الرياسة، ولى قضاء دمشق مع عدّة تداريس، و لم يزل قاضيا إلى أن توفّى بظاهر دمشق بجوسقه الذى على الشّرف [الأعلى] القبلى فى يوم الثلاثاء سادس عشر شهر ربيع الاخر، و دفن فى تربة أنشأها قبالة الجوسق المذكور. و من شعره ما كتبه لخاله عون الدين سليمان ابن العجمىّ بسبب ابن مالك، فقال:

أمولاى عون الدين يا راويا لنا حديث المعالى عن عطاء و نافع

بعيشك حدّثنى حديث ابن مالك فأنت له يا مالكى خير شافع

و فيها توفّى الشيخ موفّق الدين أبو محمد عبد اللّه بن عمر بن نصر اللّه الأنصارىّ، كان أديبا فاضلا. قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ فى الذيل على المرآة: «صاحبنا [كان أديبا فاضلا مقتدرا على النظم]، و له مشاركة فى علوم كثيرة، منها: الكحل و الطبّ، و غير ذلك من الفقه و النحو و الأدب، و يعظ الناس، حلو النادرة حسن المحاضرة». انتهى كلام قطب الدين. قلت و من شعره:

قلبى و طرفى فى ديارهم هذا يهيم بها و ذا يهمى

رسم الهوى لما وقفت بها للدمع أن يجرى على الرسم

و فيها توفّى الأديب نجم الدين أبو المعالى محمد بن سوّار بن إسرائيل بن الخضر بن إسرائيل الشّيبانىّ الدمشقىّ المولد و الدار و الوفاة، كان أديبا فاضلا قادرا على النظم

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۳

صوفيّا. و قد ذكرنا حكايته مع الشّهاب الخيمىّ لمّا ادّعى كلّ منهما القصيدة البائية التى أوّلها:

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب

و تداعيا عند الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض فأمر ابن الفارض أن يعمل كل منهما قصيدة على الوزن و القافية فعملا ذلك، فحكم ابن الفارض بالقصيدة للشهاب الخيمىّ. و قد ذكرنا القصائد الثلاث فى «المنهل الصافى» فى ترجمة شهاب الدين الخيمىّ. و ابن إسرائيل هذا ممّن تكلّموا فيه و رموه بالاتّحاد.

و اللّه أعلم بحاله. و من شعر ابن إسرائيل هذا على مذهب القوم:

خلا منه طرفى و امتلا منه خاطرى فطرفى له شاك و قلبى شاكر

و لو أنّنى أنصفت لم تشك مقلتى بعادا و دارات الوجود مظاهر

و له أيضا:

يا من تناءى و فؤادى داره مضناك قد أقلقه تذكاره

صددت عنه قبل ما وصلته و كان قبل سكره خماره

و فيها توفّى الشيخ الإمام العلّامة مجد الدين أبو عبد اللّه محمد بن أحمد بن عمر ابن أحمد بن أبى شاكر الإربلىّ الأديب الفقيه الحنفىّ المعروف بابن الظّهير. مولده بإربل فى ثانى صفر سنة اثنتين و ستمائة و نشأ بها، و طلب العلم و تفقّه و برع فى الفقه و الأصول و العربيّة، و قدم دمشق و تصدّى بها للإقراء و التدريس و درّس بالقايمازيّة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۴

بدمشق؛ و هو من أعيان شيوخ الأدب و فحول المتأخرين و له ديوان شعر، و سمع الحديث ببغداد من أبى بكر بن الخازن و الكاشغرىّ [و] بدمشق من السّخاوىّ و كريمة و تاج الدين بن حمّويه؛ و روى عنه أبو شامة و القوصىّ و الدّمياطى و الشهاب محمود، و عليه تدرّب فى الأدب، و [أبو الحسين] اليونينىّ و الحافظ جمال الدين المزّىّ.

و لمّا مات رثاه تلميذه الشّهاب محمود بقصيدة أوّلها:

تمكّن ليلى و اطمأنّت كواكبه و سدّت على صبح الغداة مذاهبه

بكته معاليه و لم ير قبله كريم مضى و المكرمات نوادبه

و من شعر ابن الظّهير:

قلبى و طرفى ذا يسيل دما و ذا دون الورى أنت العليم بقرحه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۵

و هما بحبّك شاهدان و إنّما تعديل كلّ منهما فى جرحه

و القلب منزلك القديم فإن تجد فيه سواك من الأنام فنحّه

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الأديب نجم الدين محمد [بن سوّار] بن إسرائيل الحريرى الشاعر المشهور فى شهر ربيع الآخر. و الإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر بن الظّهير الحنفىّ الأديب فى شهر ربيع الآخر أيضا.

و الأمير شمس الدين آق سنقر الفارقانىّ فى الحبس فى جمادى الأولى. و الأمير جمال الدين آقوش النّجيبىّ بالقاهرة فى شهر ربيع الآخر. و شيخ الحنفية و قاضيهم الصّدر سليمان بن أبى العزّ بن وهيب الحنفى فى شعبان، و له ثلاث و ثمانون سنة.

و الصاحب مجد الدين أبو المجد عبد الرحمن بن أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبة اللّه العقيلىّ قاضى الحنفية فى شهر ربيع الآخر، و له ثلاث و ستون سنة. و الوزير بهاء الدين علىّ بن محمد بن سليم المصرىّ بن حنّا فى ذى القعدة. و المحدّث ناصر الدين محمد ابن عربشاه الهمذانىّ فى جمادى الأولى. و المحدّث شهاب الدين أحمد بن محمد بن عيسى الجزرىّ. و أبو المرجىّ المؤمّل بن محمد بن علىّ [بن محمد بن علىّ بن منصور عزّ الدين] البالسىّ فى رجب.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم سبع أذرع و إحدى و عشرون إصبعا. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و خمس أصابع.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۶

ذكر سلطنة الملك العادل سلامش على مصر

هو السلطان الملك العادل بدر الدين سلامش ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارىّ الصالحىّ النجمىّ السادس من ملوك الترك بمصر.

تسلطن بعد خلع أخيه الملك السعيد أبى المعالى ناصر الدين محمد بركة خان باتّفاق الأمراء على سلطنته، و جلس على سرير الملك فى يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان و سبعين و ستمائة و عمره يوم تسلطن سبع سنين. و جعلوا أتابكه و مدبّر مملكته الأمير سيف الدين قلاوون الصالحى النّجمىّ. و ضربت السّكّة على أحد الوجهين باسم الملك العادل سلامش هذا، و على الوجه الآخر اسم الأمير قلاوون؛ و خطب لهما أيضا على المنابر. و استمرّ الأمر على ذلك و صار الأمير قلاوون هو المتصرّف فى الممالك و العساكر و الخزائن، و لم يكن لسلامش فى السلطنة مع قلاوون إلّا مجرّد الاسم فقط. و أخذ قلاوون فى الأمر لنفسه. فلمّا استقام له الأمر دخل إليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر و وافقه على السلطنة و أخفى ذلك لكونه كان خشداشه، و كان الأمير عزّ الدين أيدمر نائب الشام عاد إلى الشام بمن معه بعد خلع الملك السعيد، فوصل إلى دمشق يوم الأحد مستهلّ جمادى الأولى، فخرج لتلقّيه من كان تخلّف بدمشق من الأمراء و الجند، و المقدّم عليهم الأمير جمال الدين آقوش الشمسىّ. و كان قلاوون قد كاتب آقوش فى أمر أيدمر هذا و القبض عليه، فلمّا وصلوا إلى مصلّى العيد بقصر حجّاج احتاط الأمير جمال الدين آقوش الشمسى و الأمراء الذين معه على الأمير أيدمر نائب الشام و أخذوه بينهم، و فرّقوا بينه و بين عسكره الذين حضروا معه من الديار المصريّة، و دخلوا إلى

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۷

دمشق من باب الجابية، و رسموا عليه بدار فى دمشق؛ ثمّ نقلوه إلى قلعة دمشق و اعتقلوه بها. و كان الملك السعيد قبل أن يخرج من الشام سلّم قلعة دمشق للأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ و جعله النائب عنه أيضا فى البلد. ثمّ أرسل قلاوون جمال الدين آقوش الباخلى و شمس الدين سنقر جاه [الكنجىّ] إلى البلاد الشاميّة و على يدهم نسخة الأيمان بالصورة التى استقرّ الحال عليها بمصر، و أحضروا الأمراء و الجند و القضاة و العلماء و أكابر البلد للحلف، و كان معهم نسخة بالمكتوب المتضمّن خلع الملك السعيد و تولية الملك العادل سلامش، فقرئ ذلك على الناس و حلفوا و استمرّ الحلف أيّاما. ثمّ إنّ الأمير قلاوون ولّى خشداشه الذى اتّفق معه على السلطنة، و هو الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، نيابة الشام و أعمالها فتوجّه سنقر الأشقر إليها، و دخلها يوم الأربعاء ثالث جمادى الآخرة من سنة ثمان و سبعين المذكورة بتجمّل زائد، فكان موكبه يضاهى موكب السلطان، و عند وصوله إلى دمشق أمر الأمير علم الدين سنجر الدّويدارىّ بالنزول من قلعة دمشق فنزل فى الحال. و صفا الوقت للأمير قلاوون بمسك أيدمر نائب الشام، و بخروج سنقر الأشقر من الديار المصريّة و انبرم أمره مع الأمراء و الخاصّكيّة، و اتّفقوا معه على خلع الملك العادل سلامش من السلطنة و توليته إيّاها. فلمّا كان يوم الثلاثاء حادى عشرين شهر رجب سنة ثمان و سبعين و ستمائة اجتمع الأمراء و القضاة و الأعيان بقلعة الجبل و خلعوا الملك العادل بدر الدين سلامش من السلطنة لصغر سنّه، و تسلطن عوضه أتابكه الأمير سيف الدين قلاوون الألفى الصالحىّ النّجمىّ،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۸

و نعت بالملك المنصور، على أنّه كان هو المتصرّف فى المملكة منذ خلع الملك السعيد و تسلطن الملك العادل سلامش، و لم يكن لسلامش فى أيام سلطنته غير الاسم، و قلاوون هو الكلّ! و كان عدم سلطنة قلاوون قبل سلامش أنّه خاف ثورة المماليك الظاهريّة عليه، فإنّهم كانوا يوم ذاك هم معظم عسكر الديار المصريّة، و أيضا كانت بعض القلاع فى يد نوّاب الملك السعيد فلمّا مهّد أمره تسلطن. و لمّا بلغ سنقر الأشقر سلطنة قلاوون داخله الطّمع فى الملك و أظهر العصيان، على ما سيأتى ذكره فى ترجمة الملك المنصور قلاوون إن شاء اللّه تعالى.

و كانت مدّة سلطنة الملك العادل بدر الدين سلامش على مصر ثلاثة أشهر و ستّة أيام. و لزم الملك العادل سلامش داره عند أمّه إلى أن أرسله الملك المنصور قلاوون إلى الكرك، فأقام به عند أخيه الملك خضر مدّة؛ ثم رسم الملك المنصور بإحضاره إلى القاهرة فحضر إليها، و بقى خاملا إلى أن مات الملك المنصور قلاوون و تسلطن من بعده ولده الملك الأشرف خليل بن قلاوون، جهزه و أخاه الملك خضرا و أهله إلى مدينة اسطنبول بلاد الأشكرى، فأقام هناك إلى أن توفّى بها فى سنة تسعين و ستمائة. و كان شابّا مليحا جميلا تامّ الشكل رشيق القدّ طويل الشّعر ذا حياء

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۸۹

و وقار و عقل تامّ. مات و له من العمر قريب من عشرين سنة؛ قيل: إنّه كان أحسن أهل زمانه، و به افتتن جماعة من الناس، و شبّب به الشعراء و صار يضرب به المثل فى الحسن حتى يقول القائل: «ثغر سلامسىّ». انتهت ترجمة الملك العادل سلامش، رحمه اللّه.

ما وقع من الحوادث سنة السنة التى حكم فيها الملك السعيد إلى سابع عشر شهر ربيع الآخر، ثم حكم من سابع عشر شهر ربيع الآخر إلى حادى عشرين شهر رجب الملك العادل سلامش، ثم فى باقيها الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ، و هى سنة ثمان و سبعين و ستمائة.

فيها كان خلع ولدى الملك الظاهر بيبرس من السلطنة: الملك السعيد محمد بركة خان، و الملك العادل بدر الدين سلامش، و تسلطن بعد سلامش الأمير قلاوون.

و قد تقدّم ذكر ذلك كلّه.

و فيها توفّى الفقيه المحدّث صفىّ الدين أبو [محمد] إسحاق [بن] إبراهيم بن يحيى الشّقراوىّ الحنبلى، ولد بشقراء من ضياع برزة من عمل دمشق سنة خمس و ستمائة.

و مات بدمشق فى ذى الحجّة، و كان فاضلا فقيها سمع الكثير و حدّث.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الرّكنىّ المعروف بالبطاح أحد أكابر أمراء دمشق، عاد من تجريدة سيس مريضا و مات بحلب و نقل إلى حمص فدفن عند قبر خالد بن الوليد، رضى اللّه عنه. و الركنى: نسبة الى أستاذه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۰

الأمير ركن الدين بيبرس الصالحىّ النّجمىّ الذى لقى الفرنج بأرض غزّة و كسرهم، و هو غير الملك الظاهر بيبرس.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الشّهابىّ السّلحدار، كان أيضا فى تجريدة سيس و عاد مريضا، و توفّى بحماة ثم نقل إلى دمشق و دفن عند خشداشه أيدكين [بن عبد اللّه] الشهابى، نسبة إلى الطّواشى شهاب الدين رشيد الخادم الصالحىّ الكبير و هو أستاذهما.

و فيها توفّى الأمير نور الدين أبو الحسن علىّ بن عمر بن مجلّىّ الهكّارىّ، كان من أجل الأمراء و أعظمهم، ولى نيابة حلب، و كان حسن السيرة عالى الهمة كريم الأخلاق شجاعا مقداما عارفا مدبّرا معظّما فى الدّول. مات بعد عزله عن نيابة حلب فى مرض موته باستعفائه عنها بها فى شهر ربيع الآخر و دفن بها، و قد نيّف على السبعين سنة، رحمه اللّه تعالى.

و فيها توفّى الشيخ جمال الدين أبو زكريّا يحيى بن أبى المنصور بن أبى الفتح ابن رافع بن علىّ الحرّانىّ الحنبلىّ المعروف بابن الصّيرفىّ، كان إماما فقيها عالما مفتّنا فى الفقه متبحّرا فيه كثير الإفادة، و أفتى و درّس و انتفع به الطلبة، و مات فى صفر.

الذين ذكر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى السلطان الملك السعيد ناصر الدين محمد بن الظاهر بالكرك فى ذى القعدة، و له عشرون سنة و أشهر.

و المسند أبو العبّاس أحمد بن أبى الخير سلامة بن إبراهيم الحدّاد الحنبلىّ يوم عاشوراء.

و الإمام جمال الدين يحيى بن أبى المنصور بن الصّيرفىّ الحرّانىّ فى صفر، و له خمس

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۱

و تسعون سنة. و صفىّ الدين إسحاق بن إبراهيم الشّقراوىّ. و فاطمة بنت الملك المحسن ببزاعة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ست أذرع سواء. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و إصبع واحدة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۲

ذكر سلطنة الملك المنصور سيف الدين قلاوون على مصر

السلطان الملك المنصور سيف الدين أبو المعالى و أبو الفتح قلاوون بن عبد اللّه الألفىّ التركىّ الصالحىّ النّجمىّ السابع من ملوک الترک بالديار المصرية، و الرابع ممن مسّه الرّقّ.

ملک الديار المصرية بعد خلع الملک السعيد و صار مدبّر مملكة الملک العادل بدر الدين سلامش إلى أن خلع سلامش و تسلطن الملک المنصور قلاوون هذا من بعده فى حادى عشرين، و قيل عشر شهر رجب سنة ثمان و سبعين و ستمائة، و جلس على سرير الملک بأبّهة السلطنة و شعار الملک و تمّ أمره. و لمّا استقل بالمملكة أمسک جماعة كثيرة من المماليک و الأمراء الظاهريّة و غيرهم، و استعمل مماليكه على البلاد و القلاع، فلم يبلع ريقه حتّى خرج عليه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر نائب دمشق، فإنّه لمّا وصل إليه البريد إلى دمشق بسلطنة المنصور قلاوون فى يوم الأحد سادس عشرى رجب، و على يده نسخة يمين التّحليف للأمراء و الجند و أرباب الدولة و أعيان الناس، فأحضروا إلى دار السعادة بدمشق و حلفوا إلّا الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، فإنّه لم يحلف و لا رضى بما جرى من خلع سلامش و سلطنة قلاوون،

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۳

فلم يلتفت أهل دمشق إلى كلامه. و خطب بجامع دمشق للملک المنصور قلاوون و جوامع الشام بأسرها خلا مواضع يسيرة توقّفوا، ثم خطبوا بعد ذلک.

و أمّا الملک المنصور قلاوون فإنّه فى شهر رمضان عزل الصاحب برهان الدين السّنجارىّ عن الوزارة بالديار المصريّة، و أمره بلزوم مدرسة أخيه قاضى القضاة بدر الدين السّنجارىّ بالقرافة الصغرى، و استقرّ مكانه فى الوزاره الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالديار المصريّة، و تولّى عوضه صحابة الديوان القاضى فتح الدين محمد ابن القاضى محيى الدين [عبد اللّه] بن عبد الظاهر، و هو أوّل كاتب سرّ كان فى الدولة التّركية و غيرها، و إنما كانت هذه الوظيفة فى ضمن الوزارة، و الوزير هو المتصرّف فى الديوان، و تحت يده جماعة من الكتاب الموقّعين، و فيهم رجل كبير كنائب كاتب السّر الآن، سمّى فى الآخر صاحب ديوان الإنشاء. و من الناس من قال: إنّ هذه الوظيفة قديمة. و استدلّ بقول صاحب صبح الأعشى و غيره ممّن كتب للنبىّ، صلى اللّه عليه و سلم، و من بعده.

و ردّ على من قال ذلک جماعة أخر، و قالوا: ليس فى ذكر من كتب للنبىّ، صلّى اللّه عليه و سلّم، و غيره من الخلفاء دلاله على وظيفة كتابة السّر، و إنّما هو دليل لكلّ كاتب كتب لملک أو سلطان أو غيرهما كائنا من كان، فكلّ كاتب كتب عند رجل يقول: هو أنا

ذاک الکاتب، و إذا الأمر احتمل و احتمل سقط الاحتجاج به. و من قال: إنّ هذه الوظیفة ما أحدثها إلّا الملک المنصور قلاوون فهو الأصح، و نبيّن ذلک، إن شاء اللّه تعالی، فی أواخر هذه الترجمة، و تذكر من ذكره

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۴

صاحب صبح الأعشی و غیره من الكتّاب من عهد النبیّ، صلّی اللّه علیه و سلّم، إلی یومنا هذا علی سبیل الاختصار. انتهی. و قد خرجنا عن المقصود.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّه فی یوم الجمعة رابع عشری ذی القعدة من السنة رکب من دار السعادة بدمشق بعد صلاة العصر و معه جماعة من الأمراء و الجند، و هم رجّالة و هو راکب وحده و قصد القلعة من الباب الذی یلی المدینة فهجمها بمن کان معه، و طلعها و جلس بها من ساعته و حلّف الأمراء و الجند و من حضر و تسلطن و تلقب «بالملک الکامل»، و نادت المنادیة فی المدینة بسلطنته و استقلاله بالممالک الشامیّة، و فی بکرة یوم السبت خامس عشرین ذی القعدة طلب القضاة و العلماء و رؤساء البلد و أکابره و أعیانه إلی مسجد أبی الدّرداء، رضی اللّه عنه، بقلعة دمشق و حلّفهم و حلّف بقیّة الناس علی طاعته؛ ثم وجّه العساکر فی یوم الأربعاء تاسع عشرینه إلی بلاد غزّة لحفظ البلاد و مغلّها و دفع من یأتی إلیها من الدیار المصریّة. و خرجت سنة ثمان و سبعین و لیس للملک المنصور قلاوون حکم إلّا علی الدیار المصریة و أعمالها فقط.

و لمّا استهلت سنة تسع و سبعین و الملک المنصور سلطان مصر، و الملک الکامل شمس الدین سنقر الأشقر سلطان دمشق و ما والاها، و صاحب الکرک الملک المسعود خضر ابن الملک الظاهر بیبرس، و صاحب حماة و المعرّة الملک المنصور ناصر الدین محمد ابن الملک تقی الدین محمود الأیّوبیّ؛ و العراق و الجزیرة و الموصل و إربل و أذربیجان و دیابکر و خلاط و خراسان و العجم و ما وراء ذلک بید التّتار و الروم؛ و صاحب الیمن الملک المظفّر شمس الدین یوسف بن عمر [بن علیّ بن رسول]، و صاحب مکّة، شرّفها اللّه تعالی، الشریف نجم الدین أبو نمیّ الحسنیّ، و صاحب المدینة الشریفة،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۵

علی ساکنها أفضل الصلاة و السلام، الأمیر عزّ الدین جمّاز بن شیحة الحسینیّ؛ ذکرنا هؤلاء تنبیها للناظر فی الحوادث الآتیة، لیکون فیما یأتی علی بصیرة. انتهی.

ثم إنّ السلطان الملک المنصور قلاوون فی أوّل سنة تسع و سبعین و ستّمائة المذکورة جهّز عسکرا لغزّة، فلمّا قاربوها لقیهم عسکر الملک الکامل سنقر الأشقر و قاتلوهم حتّی نزحوهم عنها، و انکسر العسکر المصریّ و قصد الرّمل و اطمأنّ الشامیّون بغزّة و نزلوا بها ساعة من النهار، و کانوا فی قلّة، فکرّ علیهم عساکر الدیار المصریّة ثانیا و کبسوهم و نالوا منهم منالا کبیرا، و رجع عسکر الشام منهزما إلی مدینة الرّملة.

و أمّا الملک الکامل سنقر الأشقر فإنّه قدم علیه بدمشق الأمیر شرف الدین عیسی ابن مهنّا ملک العرب بالبلاد الشرقیّة و الشمالیّة؛ و دخل علی الکامل و هو علی السّماط فقام له الکامل، فقبّل عیسی الأرض و جلس عن یمینه فوق من حضر.

ثم وصل إلی الملک الکامل أیضا الأمیر شهاب الدین أحمد بن حجّیّ بن برید ملک العرب بالبلاد الحجازیّة فأکرمه الملک الکامل غایة الإکرام.

و أمّا الملک المنصور لما بلغه ما وقع لعسکره بغزّة جهّز عسکرا آخر کثیفا إلی دمشق لقتال الملک الکامل سنقر الأشقر، و مقدّمهم الأمیر علم الدین سنجر الحلبیّ، و خرجوا من مصر و ساروا إلی جهة الشام، فصار عسکر دمشق الذی بالرّملة کلّما تقدّم العسکر المصریّ منزلة تأخّر هو منزلة إلی أن وصل أوائلهم إلی دمشق فی أوائل صفر. و فی یوم الأربعاء ثانی عشر صفر المذکور خرج الملک الکامل من دمشق بنفسه بجمیع من عنده من العساکر، و ضرب دهلیزه بالجسورة و خیّم هناک

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۶

بجمیع الجیش، و استخدم الممالیک و أنفق الأموال، و جمع خلقا عظیما و حضر عنده عرب الأمیرین: ابن مهنّا و ابن حجّیّ و نجدة حلب و نجدة حماة، مقدّمهما الملک الأفضل نور الدین علیّ أخو صاحب حماة؛ و رجّالة کثیرة من جبال بعلبکّ، و رتّب العساکر و الأطلاب بنفسه وصفّ العساکر میمنة و میسرة و وقف هو تحت عصائبه؛ و سار العسکر المصری أیضا بترتیب هائل و عساکر کثیرة، و الأطلاب أیضا مرتّبة، و التقی الجیشان فی یوم الأحد [سادس عشر صفر] وقت طلوع الشمس فی المکان المذکور و تقاتلا أشدّ قتال، و ثبت کلّ من الطائفتین ثباتا لم یسمع بمثله إلّا نادرا لا سیّما الملک الکامل سنقر الأشقر، فإنّه ثبت و قاتل بنفسه قتالا شدیدا، و استمرّ المصافّ بین الطائفتین إلی الرابعة من النهار و لم یقتل من الفریقین إلا نفر یسیر جدّا، و أمّا الجراح فکثیرة. فلمّا کانت الساعة الرابعة من النهار خامر أکثر عسکر دمشق علی الملک الکامل سنقر الأشقر و غدروا به و انضافوا إلی العسکر المصریّ، و کان لما وقع العین علی العین قبل أن یلتحم القتال انهزم عساکر حماة و تخاذل عسکر الشام علی الکامل، فمنهم: من دخل بساتین دمشق و اختفی بها، و منهم من دخل دمشق راجعا، و منهم من ذهب إلی طریق بعلبکّ، فلم یلتفت الملک الکامل لمن ذهب منه من العساکر و قاتل، فلمّا انهزم عنه من ذکرنا فی حال القتال ضعف أمره و مع هذا استمرّ یقاتل بنفسه و ممالیکه إلی أن رأی الأمیر عیسی بن مهنّا الهزیمة علی الملک الکامل أخذه و مضی به إلی الرّحبة، و أنزله عنده و نصب له بیوت الشّعر.

و أمّا الأمیر شهاب الدین أحمد بن حجّیّ فإنّه دخل إلی دمشق بالأمان، و دخل و طاعة الملک المنصور قلاوون.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۷

و أمّا عساکر الشام فإنهم اجتمعوا علی القصب من عمل حمص، ثم عاد أکثر الأمراء إلی جهة دمشق و طلبوا الأمان من مقدّم العساکر المصریة الأمیر علم الدین سنجر الحلبیّ.

و أمّا العساکر المصریة فإنّهم ساقوا من وقتهم إلی مدینة دمشق و أحاطوا بها، و نزلوا بخیامهم و لم یتعرّضوا للزحف، و راسلوا من بالقلعة إلی العصر من ذلک النهار، و فتح من المدینة باب الفرج و دخل منه إلی دمشق بعض مقدّمی الجیش؛ ثم طلب من بالقلعة الأمان فأمّنهم سنجر الحلبی، ففتحت القلعة فدخلوا إلیها من الباب الذی داخل المدینة و تسلّموها بالأمان و أفرجوا عن جماعة کثیرة من الأمراء و غیرهم، کان اعتقلهم سنقر الأشقر، منهم: الأمیر رکن الدین بیبرس العجمیّ المعروف بالجالق، و الجالق: اسم للفرس الحادّ المزاج باللغة الترکیة، و الأمیر حسام الدین لاچین المنصوریّ، و القاضی تقیّ الدین توبة التّکریتیّ و غیرهم.

و کتب الأمیر علم الدین سنجر الحلبیّ بالنصر إلی الملک المنصور قلاوون فسرّ المنصور بذلک، و دقّت البشائر لذلک أیاما بالدیار المصریة و زیّنت القاهرة و مصر.

و أما سنجر الحلبیّ فإنه لما ملک دمشق و قلعتها جهز فی الحال قطعة جیّدة من الجیش المصریّ تقارب ثلاثة آلاف فارس فی طلب سنقر الأشقر و من معه من الأمراء و الجند. ثم حضر جواب الملک المنصور قلاوون بسرعة یتضمّن: بأننا قد عفونا عن جمیع الناس الخاصّ و العام أرباب السیوف و الأقلام، و أمّناهم علی أنفسهم و أهلیهم و أموالهم؛ و حضر التشریف للأمیر حسام الدین لاچین المنصوری

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۸

السّلحدار بنیابة دمشق، فلبس الخلعة و قبّل الأرض؛ ثم أردف الأمیر سنجر الحلبیّ العسکر الذی کان توجّه لقتال سنقر الأشقر بعسکر آخر، مقدّمه الأمیر عزّ الدین الأفرم، فلحق بمن کان توجّه قبله و سار الجمیع فی طلب سنقر الأشقر. فلّما بلغ سنقر ذلک رحل عن عیسی بن مهنّا و توجّه فی البرّیّة إلی الحصون التی کانت بقیت فی ید نوّابه، فتحصّن هو و من معه بها فی أواخر الشهر المذکور و هی: صهیون، کان بها أولاده و خزائنه و دخلها هو أیضا، و بلاطنس و حصن برزیه و حصن عکّار و جبلة و اللّاذقیّة و غیرها؛ ثم عادت العساکر إلی دمشق و تردّدت الرسل بینهم و بین سنقر الأشقر.

و بینما هم فی ذلک وردت الأخبار فی أوائل جمادی الآخرة أنّ التّتار قصدوا البلاد الشامیّة، فخرج من کان بدمشق من العساکر

الشامیّة و المصریّة، و مقدّمهم الأمیر رکن الدین ایاجی، و لحقهم العساکر الذین کانوا فی طلب سنقر الأشقر، و نزل الجمیع بظاهر حماة؛ و کانوا کاتبوا الملک المنصور قلاوون بمجیء التّتار. فجهّز إلیهم فی الحال عسکرا علیه الأمیر بدر الدین بکتاش النّجمیّ، فلحق بهم الأمیر بکتاش المذکور بمن معه من العسکر المصریّ، و اجتمع الجمیع علی حماة و أرسلوا کشّافة فی العشر الأوسط من جمادی الآخرة إلی بلاد التّتار. هذا و قد جفل غالب من بالبلاد الشامیّة و خرجوا عن دورهم و منازلهم و لم یبق هناک إلّا من عجز عن الحرکة. و کان سبب حرکة التّتار أنّهم لمّا سمعوا اختلاف الکلمة، و ظنّوا أنّ

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۲۹۹

سنقر الأشقر بمن معه یتّفق معهم علی قتال الملک المنصور قلاوون. فأرسل أمراء العساکر المصریّة إلی سنقر الأشقر یقولون له: هذا العدوّ قد دهمنا و ما سببه إلا الخلف بیننا! و ما ینبغی هلاک الإسلام، و المصلحة أنّنا نجتمع علی دفعه؛ فامتثل سنقر ذلک و أنزل عسکره من صهیون و أمر رفیقه الحاج أزدمر أن یفعل کذلک من شیزر، و خیّمت کلّ طائفة تحت قلعتها، و لم یجتمعوا بالمصریین، غیر أنهم اتّفقوا علی اجتماع الکلمة و دفع العدوّ المخذول عن الشام؛ و استمرّوا علی ذلک إلی یوم الجمعة حادی عشرین جمادی الآخرة. وصل طائفة کبیرة من عساکر التّتار إلی حلب و دخلوها من غیر مانع یمنعهم عنها، و أحرقوا الجوامع و المساجد و المدارس المعتبرة و دار السلطنة و دور الأمراء، و أفسدوا إفسادا کبیرا علی عادة أفعالهم القبیحة، و أقاموا بها یومین علی هذه الصورة؛ ثم رحلوا عنها فی یوم الأحد ثالث عشرینه راجعین إلی بلادهم بعد أن تقدّمتهم الغنائم التی کسبوها و کان شیئا کثیرا. و کان سبب رجوعهم لمّا بلغهم اتّفاق الطائفتین علی قتالهم؛ و قیل فی رجوعهم وجه آخر، و هو أن بعض من کان استتر بحلب یئس عن نفسه من الحیاة؛ فطلع منارة الجامع و کبر بأعلی صوته علی التّتار، و قال: جاء النّصر من عند اللّه و أشار بمندیل کان معه إلی ظاهر البلد، و أوهم أنّه أشار به إلی عسکر المسلمین، و جعل یقول فی خلال ذلک: اقبضوهم من البیوت مثل النّساء! فتوهّم التّتار من ذلک و خرجوا من البلد علی وجوههم و سلم الذی فعل ذلک.

و أمّا سنقر الأشقر فإنّ جماعة من الأمراء و الأعیان الذین کانوا معه فرّوا إلی العسکر المصریّ و دخلوا تحت طاعة الملک المنصور قلاوون.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۰

و أمّا الملک المنصور قلاوون فإنّه لما طال علیه أمر سنقر الأشقر و أمر التّتار جمع أعیان مملکته فی هذا الشهر بقلعة الجبل، و جعل ولده الأمیر علاء الدین علیّا ولیّ عهده، و لقبه «الملک الصالح»، و خطب له علی المنابر. ثم تجهّز السلطان و خرج من الدیار المصریّة بعساکره، و سار حتی وصل إلی غزّة بلغه رجوع العدو المخذول، فأقام بالرّملة و توقّف عن التوجّه إلی دمشق لعدم الحاجة إلی ذلک، و قصد تخفیف الوطأة عن البلاد و أهلها. ثم رحل یوم الخمیس عاشر شعبان راجعا من الرّملة إلی الدیار المصریّة، فدخلها و أقام بها أقلّ من أربعة أشهر. ثم بدا له التوجّه إلی الشام ثانیا، فتجهّز و تجهّزت عساکره و خرج بهم من مصر فی یوم الأحد مستهلّ ذی الحجّة قاصدا الشام، و ترک ولده الملک الصالح علیّا یباشر الأمور عنه بالدیار المصریّة.

و سار الملک المنصور قلاوون حتی وصل إلی الرّوحاء من عمل الساحل، و نزل علیها فی یوم الثلاثاء سابع عشر ذی الحجّة، و أقام قبالة عکّا، فراسلته الفرنج من عکّا فی تجدید الهدنة، فإنّها کانت انقضت مدّتها، و أقام بهذه المنزلة حتی استهلّت سنة ثمانین و ستّمائة رحل عنها یوم الخمیس عاشر المحرّم. و نزل اللّجون، و حضر رسل الفرنج بها بحضرة الأمراء، و سمعوا رسالة الفرنج، فآستشارهم السلطان فحصل الاتّفاق علی الهدنة، و حلف لهم الملک المنصور علی الصورة التی وقع الاتّفاق علیها، و انبرم الصلح و انعقدت الهدنة فی یوم الأحد ثالث عشر المحرّم. ثم قبض الملک المنصور علی الأمیر کوندک الظاهریّ و علی جماعة من الأمراء الظاهریّة لمصلحة اقتضاها الحال، و عند قبضهم هرب الأمیر سیف الدین بلبان الهارونیّ و معه

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۱

جماعة و قصدوا صهیون إلی عند سنقر الأشقر، و رکبت الخیل فی طلبهم فلم یدرکوهم، ثم هرب الأمیر أیتمش السّعدیّ أیضا و معه جماعة إلی صهیون من منزلة خربة اللّصوص.

ثم سار الملک المنصور إلی دمشق فدخلها فی یوم السبت تاسع عشره، و أقام بدمشق الی أن قدم علیه فی صفر الملک المنصور محمد صاحب حماة، فخرج الملک المنصور قلاوون لتلقّیه و أکرمه. ثم تردّدت الرسل بین السلطان الملک المنصور قلاوون و بین سنقر الأشقر فی تقریر قواعد الصلح. فلمّا کان یوم الأحد رابع شهر ربیع الأوّل من سنة ثمانین و ستمائة وصل من جهة سنقر الأشقر الأمیر علم الدین سنجر الدّویداریّ و معه خازندار سنقر الأشقر فی معنی الصلح و الوقوف علی الیمین، فحلف الملک المنصور قلاوون یوم الاثنین خامسه، و نادت المنادیة فی دمشق بانتظام الصلح و اجتماع الکلمة، فرجع رسل سنقر الأشقر و معهم الأمیر فخر الدین ایاز المقرئ لیحضر یمین سنقر الأشقر، فحلفه و عاد إلی دمشق یوم الاثنین ثانی عشره، فضربت البشائر بالقلعة و سرّ الناس بذلک غایة السرور. و صورة ما انتظم الصلح علیه أنّ سنقر الأشقر یرفع یده عن شیزر و یسلّمها إلی نوّاب الملک المنصور قلاوون، و عوّضه قلاوون عنها فامیة و کفر طاب و أنطاکیة و السّویدیّة و بکاس و درکوش بأعمالها کلّها و عدّة ضیاع معروفة، و أن یقیم علی ذلک، و علی ما کان استقرّ بیده عند الصلح، و هو صهیون و بلاطنس و حصن برزة و جبلة و اللّاذقیّة

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۲

بستمائة فارس، و أنه یسلّم الأمر إلی الملک المنصور قلاوون؛ و خوطب سنقر الأشقر فی مکاتباته «بالمقرّ العالی المولوی السّیّدیّ العالمیّ العادلیّ الشمسیّ» و لم یصرح فی مخاطباته بالملک و لا بالأمیر، و کان یخاطب قبل ذلک فی مکاتباته من الملک المنصور قلاوون إلی الجناب العالی الأمیری الشمسیّ. انتهی.

و بینما السلطان فی ذلک ورد علیه مجیء التّتار إلی البلاد الشامیة و هو بدمشق، فتهیّأ لقتالهم و أرسل یطلب العساکر المصریة، و بعد قلیل حضرت عساکر مصر إلی دمشق و اجتمعت العساکر عند السلطان، و لم یتأخر أحد من التّرکمان و العربان و سائر الطوائف. و وصل الخبر بوصول التّتار إلی أطراف بلاد حلب، فخلت حلب من أهلها و جندها و نزحوا إلی جهة حماة و حمص، و ترکوا الغلال و الحواصل و الأمتعة، و خرجوا جرائد علی وجوههم؛ ثم ورد الخبر بوصول منکوتمر بن هولاکو ملک التّتار إلی عینتاب و ما جاورها فی یوم الأحد سادس عشرین جمادی [الاخرة] فخرج الملک المنصور قلاوون بعساکره فی یوم الأحد المذکور و خیّم بالمرج، و وصل التتار الی بغراس، فقدّم الملک المنصور عسکره أمامه، ثم سافر هو بنفسه فی سلخ جمادی الآخرة المذکور، و سار حتی نزل السلطان بعساکره علی حمص فی یوم الأحد ثالث عشرین شهر رجب، و راسل سنقر الأشقر بالحضور إلیه بمن معه من الأمراء و العساکر، و کذلک الأمیر أیتمش السّعدیّ الذی کان هرب من عند السلطان لما قبض علی الأمراء الظاهریّة؛ فامتثل سنقر الأشقر أمر السلطان بالسمع و الطاعة و رکب من وقته بجماعته، و حضر إلی عند الملک المنصور قلاوون، و استحلفه لأیتمش السّعدیّ یمینا ثانیة لیزداد طمأنینة، ثم أحضره و تکامل حضورهم

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۳

عند السلطان، و عامل السلطان سنقر الأشقر بالاحترام التامّ و الخدمة البالغة و الإقامات العظیمة و الرّواتب الجلیلة. و شرعت التّتار تتقدّم قلیلا قلیلا بخلاف عادتهم، فلمّا وصلوا حماة أفسدوا بنواحیها، و شعّثوا و أحرقوا بستان الملک المنصور صاحب حماة و جوسقه و ما به من الأبنیة. و استمرّ عسکر السلطان بظاهر حمص علی حاله إلی أن وصلت التّتار إلیه فی یوم الخمیس رابع عشر شعبان، فرکب الملک المنصور بعساکره و صافف العدوّ، و التقی الجمعان عند طلوع الشمس، و کان عدد التّتار علی ما قیل مائة ألف فارس أو یزیدون، و عسکر المسلمین علی مقدار النّصف من ذلک أو أقلّ، و تواقعوا من ضحوة النهار إلی آخره، و عظم القتال بین الفریقین و ثبت کلّ منهم.

قال الشیخ قطب الدین الیونینیّ: «و کانت وقعة عظیمة لم یشهد مثلها فی هذه الأزمان و لا من سنین کثیرة، و کان الملتقی فیما بین

مشهد خالد بن الوليد، رضى اللّه عنه، إلى الرّستن و العاصى، و اضطربت ميمنة المسلمين، و حملت التّتار على ميسرة المسلمين فكسروها و انهزم من كان بها، و كذلك انكسر جناح القلب الأيسر و ثبت الملك المنصور سيف الدين قلاوون، رحمه اللّه تعالى، فى جمع قليل بالقلب ثباتا عظيما، و وصل جماعة كثيرة من التّتار خلف المنكسرين من المسلمين إلى بحيرة حمص، و أحدق جماعة من التّتار بحمص، و هى مغلقة الأبواب، و بذلوا نفوسهم و سيوفهم فيمن وجدوه من العوامّ و السّوقة و الغلمان و الرّجّالة المجاهدين بظاهرها، فقتلوا منهم جماعة كثيرة، و أشرف الإسلام على خطّة صعبة! ثم إنّ أعيان الأمراء و مشاهيرهم و شجعانهم: مثل سنقر الأشقر المقدّم ذكره، و بدر الدين بيسرى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۴

و علم الدين سنجر الدّويدارىّ، و علاء الدين طيبرس الوزيرى، و بدر الدين بيليك أمير سلاح، و سيف الدين أيتمش السّعدىّ، و حسام الدين لاچين المنصورىّ، و الأمير حسام الدين طرنطاى و أمثالهم لمّا رأوا ثبات السلطان ردّوا على التّتار و حملوا عليهم حملات حتّى كسروهم كسرة عظيمة، و جرح منكوتمر مقدّم التّتار، و جاءهم الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا فى عربه عرضا فتّمت هزيمتهم، و قتلوا منهم مقتلة عظيمة تجاوز الوصف، و اتّفق أنّ ميسرة المسلمين كانت انكسرت كما ذكرنا، و الميمنة ساقت على العدوّ و لم يبق مع السلطان إلّا النّفر اليسير، و الأمير حسام الدّين طرنطاى قدّامه بالسناجق، فعادت الميمنة الذين كسروا ميسرة المسلمين فى خلق عظيم و مرّوا به، و هو فى ذلك النّفر تحت السناجق (يعنى الملك المنصور قلاوون) و الكوسات تضرب. قال: و لقد مررت به فى ذلك الوقت و ما حوله من المقاتلة ألف فارس إلا دون ذلك، فلمّا مرّوا به (يعنى ميمنة التّتار التى كانت كسرت ميسرة المسلمين) ثبت لهم ثباتا عظيما، ثم ساق عليهم بنفسه فانهزموا أمامه لا- يلوون على شىء، و كان ذلك تمام النّصر؛ و كان انهزامهم عن آخرهم قبل الغروب، و افترقوا فرقتين: فرقة أخذت جهة سلمية و البرّيّة، و فرقة أخذت جهة حلب و الفرات.

و لمّا انقضى الحرب فى ذلك النهار عاد السلطان إلى منزلته، و أصبح بكرة يوم الجمعة سادس عشر رجب جهّز السلطان وراءهم جماعة كثيرة من العسكر و العربان، و مقدّمهم الأمير بدر الدين بيليك الأيدمرىّ، و كان لمّا لاحت الكسرة على المسلمين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۵

نهب لهم من الأقمشة و الأمتعة و الخزائن و السلاح ما لا يحصى كثرة، و ذهب ذلك كلّه أخذته الحرافشة من المسلمين مثل الغلمان و غيرهم. و كتبت البشائر بهذا النصر العظيم إلى سائر البلاد، و حصل للناس السرور الذى لا مزيد عليه، و عملت القلاع و زيّنت المدن».

و أمّا أهل دمشق فإنّه كان ورد عليهم الخبر أوّلا- بكسرة المسلمين، و وصل إليهم جماعة ممّن كان انهزم؛ فلمّا بلغهم النصر كان سرورهم أضعاف سرور غيرهم.

و كان أهل البلاد الشامية من يوم خرج السلطان من عندهم إلى ملتقى التّتار و هم يدعون اللّه تعالى فى كلّ يوم و يبتهلون إليه، و خرج أهل البلاد بالنساء و الأطفال إلى الصّحارى و الجوامع و المساجد، و أكثروا من الابتهال إلى اللّه، عزّ و جلّ، فى تلك الأيام لا يفترون عن ذلك حتى ورد عليهم هذا النصر العظيم و للّه الحمد، و طابت قلوب الناس، و ردّ من كان نزح عن بلاده و أوطانه و اطمأنّ كلّ أحد و تضاعف شكر الناس لذلك. و قتل فى هذه الوقعة من التّتار ما لا يحصى كثرة؛ و كان من استشهد من عسكر المسلمين دون المائتين على ما قيل؛ و ممّن قتل الأمير الحاج أزدمر، و سيف الدين بلبان الرّومىّ، و شهاب الدين توتل الشّهرزورىّ، [و ناصر الدين بن جمال الدين الكاملىّ]، و [عزّ الدين بن النّصرة] من بيت الأتابك صاحب الموصل و كان أحد الشّجعان المفرطين فى الشجاعة، رحمهم اللّه تعالى أجمعين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۰۶

ثم إن السلطان انتقل من منزلته بظاهر حمص إلى البحيرة التى بحمص ليبعد عن الجيف، ثم توجّه عائدا إلى دمشق فدخلها يوم الجمعة الثانى و العشرين من شعبان قبل الصلاة، و خرج الناس إلى ظاهر البلد للقائه، فدخل دمشق و بين يديه جماعة من أسرى التّتار و

بأیـدیهم رماح علیها رءوس القتلی من التّتار، فکان یوما مشـهودا. و دخل السـلطان الشام و فی خدمته جماعهٔ من الأعیان، منهم: سـنقر الأشـقر الـذی کان تسـلطن و تلقّب بالملک الکامل، و أیتمش السـعدیّ، و [الأمیر علم الدین سـنجر] الدّویداریّ، و بلبان الهارونیّ؛ ثم قـدم بعـد ذلک [الأمیر بـدر الـدین] الأیـدمریّ بمن معه من العسـکر عائـدا من تتبع التّتار بعد ما أنکی فیهم نکایهٔ عظیمهٔ، و وصل إلی حلب و أقام بها، و سیّر أکثر من معه یتبعونهم، فهلک من التّتار خلق کثیر غرقوا بالفرات عنـد عبورهم. و عنـد ما عدوه نزل إلیهم أهل البیرهٔ فقتلوا منهم مقتلهٔ عظیمهٔ و أسروا منهم جمعا کثیرا، و تفرّق جمع التّتار و أخذت أموالهم.

و أقام السلطان بدمشق إلی ثانی شهر رمضان خرج منه عائدا إلی الدیار المصریّهٔ، و خرج الناس لوداعه مبتهلین بالدعاء له، و سار حتی دخل الدیار المصریّهٔ یوم ثانی عشرین الشهر بعد أن احتفل أهل مصر لملاقاته، و زیّنت الدیار المصریهٔ زینهٔ لم یر مثلها من مدّهٔ سنین، و عملت بهـا القلاـع، و شقّ القاهرهٔ فی مروره إلی قلعـهٔ الجبل حتی طلع إلیها؛ فکان هـذا الیوم من الأیام المشـهودهٔ، و تضاعف سـرور الناس بسلامته و بنصر المسلمین علی العدوّ المخذول.

ثمّ إنّ السـلطان عقیب دخوله إلی مصـر قبض علی الأمیر رکن الـدین اياجی الحاجب، و بهاء الـدین یعقوب مقـدّم الشّـهرزوریّهٔ بقلعهٔ الجبل. و استمرّ السلطان

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۷، ص: ۳۰۷

بمصـر إلی خامس ذی القعدهٔ من السـنهٔ قبض علی الأمیر أیتمش السّـعدیّ بقلعهٔ الجبل و حبسه بها، ثم أرسل إلی نائب دمشق بالقبض علی الأمیر بلبان الهارونیّ بدمشق فقبض علیه.

و فی هذه السنهٔ (أعنی سنهٔ ثمانین و ستمائهٔ) تربت جزیرهٔ کبیرهٔ ببحر النیل تجاه قریهٔ بولاق

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۷، ص: ۳۰۸

و اللّوق، و انقطع بسببها مجری البحر ما بین قلعهٔ المکس و ساحل

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۷، ص: ۳۰۹

باب البحر، و الرّملـهٔ [و] بین جزیرهٔ الفیل و هو المار تحت منیـهٔ السّـیرج، و انسـدّ هـذا البحر و نشف بالکلّیـهٔ، و اتصل ما بین المقس و جزیرهٔ الفیل بالمشی، و لم یعهد

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۷، ص: ۳۱۰

فیما تقدّم، و حصل لأهل القاهرهٔ مشقّهٔ من نقل الماء الحلو لبعد البحر، فأراد السلطان حفره فنهوه عن ذلک، و قالوا له: هذا ینشف إلی الأبد، فتأسّف السلطان و غیره علی ذلک.

قلت: و کـذا وقع، و نحن الآن لا نعرف أین کان جریان البحر المـذکور إلّا بالحـدس، لإنشاء الأملاک و البساتین و العمائر و الحارات فی محلّ مجری البحر المذکور، فسبحان القادر علی کلّ شیء!

ثم فی أوّل سـنهٔ إحدی و ثمانین و سـتمائهٔ ورد الخبر علی السلطان أنّه تسلطن فی مملکهٔ التّتار مکان أبغا بن هولاکو أخوه لأبیه أحمد بن هولاکو، و هو مسـلم حسن الإسلام و عمره یومئذ مقدار ثلاثین سنهٔ، و أنّه وصلت أوامره إلی بغداد تتضمّن إظهار شعائر الإسلام و إقامـهٔ مناره، و أنّه أعلی کلمهٔ الدین، و بنی الجوامع و المساجد و الأوقاف و رتّب القضاهٔ، و أنه انقاد إلی الأحکام الشـرعیهٔ، و أنّه ألزم أهل الذّمّهٔ بلبس الغیار، و ضـرب الجزیهٔ علیهم، و یقال إنّ إسـلامه کان فی حیاهٔ والده هولاکو، فسـرّ السـلطان بذلک سرورا عظیما. و بعد مدّهٔ قبض السلطان علی

النجوم الزاهرهٔ فی ملوک مصر و القاهرهٔ، ج۷، ص: ۳۱۱

الأمیر بدر الدین بیسـری، و علی علاء الدین کشـتغدی الشّمسیّ و اعتقلهما بقلعهٔ الجبل، و ذلک فی یوم الأحد مستهلّ صفر من السنهٔ. و اسـتمرّ السـلطان علی ذلـک إلی یوم الأربعـاء ثـانی عشـرین شـعبان طـافوا بکسوهٔ البیت العتیق التی عملت برسم الکعبـهٔ، عظّمها اللّه

تعالى، بمصر و القاهرة على العادة، و لعبت مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون أمام الكسوة بالرّماح و السلاح.

قلت: و أظنّ هذا هو أوّل ابتداء سوق المحمل المعهود الآن، فإنّنا لم نقف فيما مضى على شىء من ذلك مع كثرة التفاتنا إلى هذا المعنى، و لهذا غلب على ظنّى من يوم ذاك بدأ السوق المعهود الآن، و لم يكن إذ ذاك على هيئة يومنا هذا، و إنّما ازداد بحسب اجتهاد المعلّمين، كما وقع ذلك فى غيره من الفنون و الملاعيب و العلوم، فإن مبدأ كلّ أمر ليس كنهايته، و إنّما شرع كلّ معلّم فى اقتراح نوع من أنواع السّوق إلى أن انتهى إلى ما نحن عليه الآن، و لا سبيل إلى غير ذلك.

يعرف ما قلته من له إلمام بالفنون و العلوم إذا كان له ذوق و عقل. و على هذه الصيغة أيضا اللعب بالرمح فإنّ مماليك قلاوون هم أيضا أحدثوه، و إن كانت الأوائل كانت تلعبه، فليس كان لعبهم على هذه الطريقة؛ و أنا أضرب لك مثلا لمصداق قولى فى هذا الفنّ، و هو أنّ مماليك الملك الظاهر برقوق كان أكثرهم قد حاز من هذا الفنّ طرفا جيّدا، و صار فيهم من يضرب بلعبه المثل، و هم جماعة كثيرة يطول الشرح فى ذكرهم، و مع هذا أحدث معلّمو زماننا هذا أشياء لم يعهدوها أولئك من تغيير القبض على الرمح فى مواطن كثيرة فى اللّعب، حتى إنّ لعب زماننا هذا يكاد أنّه يخالف لعب أولئك فى غالب قبوضاتهم و حركاتهم. و هذا أكبر شاهد لى على ما نقلته من أمر المحمل، و تعداد فنونه، و كثرة ميادينه، و اختلاف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۲

أسمائها لتغيير لعب الرمح فى هذه المدّة اليسيرة من صفة إلى أخرى، فكيف و هذا الذى ذكرناه من ابتداء السوق من سنة إحدى و ثمانين و ستمائة! فمن باب أولى تكون زيادات أنواع سوق المحمل أحقّ بهذا لطول السنين، و لكثرة من باشره من المعلّمين الأستاذين، و لتغير الدّول، و لمحبّة الملوك و تعظيمهم لهذا الفن، و لإنفاق سوق من كان حاذقا فى هذا الفن. و قد صنّفت أنا ثمانية ميادين كلّ واحد يخالف الآخر فى نوعه لم أسبق إلى مثلها قديما و لا حديثا، لكنّنى لم أظهرها لكساد هذا الفنّ و غيره فى زماننا هذا، و لعدم الإنصاف فيه و كثرة حسّاده ممّن يدّعى فيه المعرفة و هو أجنبىّ عنها، لا يعرف اسم نوع من أندابه على جليّته بل يدّعيه جهلا، و يقوى على دعواه بالشّوكة و العصبيّة. و للّه درّ القائل:

أيّها المدّعى سليمى كفاحا لست منها و لا قلامة ظفر

إنّما أنت من سليمى كواو ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

و شاهدى أيضا قول العلّامة جار اللّه محمود الزّمخشرىّ و أجاد، رحمه اللّه تعالى:

و أخّرنى دهرى و قدّم معشرا على أنّهم لا يعلمون و أعلم

و مذ أفلح الجهّال أيقنت أنّنى أنا الميم و الأيام أفلح أعلم

قلت: و تفسير الأفلح هو مشقوق الشّفة العليا، و الأعلم مشقوق الشّفة السّفلى، و فائدة ذلك أن مشقوق الشفتين العليا و السّفلى لا يقدر أن يتلفّظ بالميم و لا ينطق بها. فانظر إلى حسن هذا التخيّل و الغوص على المعانى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۳

و ما أحسن قول الإمام العلّامة القاضى الفاضل عبد الرحيم وزير السلطان صلاح الدّين، و هو:

ما ضرّ جهل الجاهلى ن و لا انتفعت أنا بحذقى

و زيادة فى الحذق فه ى زيادة فى نقص رزقى

و قول الشّريف الرّضى فى المعنى:

ما قدر فضلك ما أصبحت ترزقه ليس الحظوظ على الأقدار و المهن

قد كنت قبلك من دهرى على حنق فزاد ما بك فى غيظى على الزمن

و فى المعنى:

كم فاضل فاضل أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذی ترک الألباب حائرة و صيّر العالم النّحرير زنديقا

قلت: و يعجبنی المقالة السادسة عشرة من كتاب «أطباق الذهب» للعلّامة شرف الدين عبد المؤمن الأصفهانیّ المعروف بشوروة، و هی: «طبع الكريم لا يحتمل حمة الضّيم، و هواء الصيف لا يقبل غمّة الغيم؛ و النّبيل يرضی النّبال و الحسام، و يأبی أن يسام؛ و لأن يقتل صبرا، و يودع قبرا؛ أحبّ إليه من أن يصيبه نشّاب الجفاء، من جفير الأكفاء؛ يهوی المنيّة، و لا يرضی الدّنيّة؛ يستقبل السيف، و لا يقبل الحيف؛ إن سيم أخذته الهزّة، و إن ضيم أخذته

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۴

العزّة؛ إن عاشرته سال عذبا، و إن عاسرته سلّ عضبا؛ إن شاربته تخمّر، و إن حاربته تنمّر؛ يری العزّ مغنما، و الذّل مغرما، و كان كأنف اللّيث لا يشتمّ مرغما!.

فيا هذا كن فی الدنيا میّ الأنف منيع الجناب، أبیّ النفس طرير النّاب؛ و لا تصحب الدنيا صحبة بعال، و لا تنظر إلی أبنائها إلّا من عال؛ و لا تخفض جناحک لبنيها، و لا تضعضع ركنک لبانيها؛ و لا تمدّن عينيک إلی زخارفها، و لا تبسط يدک إلی مخارفها؛ و كن من الأكياس، و اتل علی اللّئام سورة الناس، و لا تصعّر خدّک للناس». انتهی.

قلت: و قد خرجنا عن المقصود غير أنّنا وجدنا المقال فقلنا. و لنعد إلی ما نحن فيه من ترجمة الملک المنصور قلاوون.

و دام السلطان الملک المنصور بديار مصر إلی سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة، توفّی صاحب حماة الملک المنصور محمد الأيّوبیّ، فأنعم السلطان الملک المنصور علی ولده بسلطنة حماة، و ولّاه مكان والده المنصور. ثم تجهّز السلطان فی السنة المذكورة و خرج من الديار المصريّة بعسكره متوجّها إلی الشام فی أواخر جمادی الأولی، و سار حتی دخل دمشق فی ثانی عشر جمادی الآخرة، و أقام بدمشق إلی أن عاد إلی جهة الديار المصريّة فی الثّلث الأخير من ليلة السبت ثالث عشرين شعبان، و سار حتی دخل مصر فی النصف من شهر رمضان، و أقام بديار مصر إلی أوّل سنة أربع و ثمانين و ستمائة تجهز و خرج منها بعساكره إلی جهة الشام، و سافر حتی دخل دمشق يوم السبت ثانی عشرين المحرّم من السنة المذكورة، و عرض العسكر الشامی عدّة أيّام، و خرجوا جميعا قاصدين المرقب فی يوم الاثنين ثانی صفر. و كان

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۵

قد بقی فی يد سنقر الأشقر قطعة من البلاد، منها: بلاطنس و صهيون و برزيه و غير ذلک، و كان عمل السلطان فی الباطن انتزاع ما يمكن انتزاعه من يد سنقر الأشقر المذكور و إفساد نوّابه. فاتّفق الحال بين نوّاب السلطان و بين نوّاب سنقر الأشقر علی تسليم بلاطنس فسلّمت فی أوّل صفر. و وافی السلطان البشری بتسليمها و هو علی عيون القصب فی توجّهه إلی حصار المرقب فسرّ بذلک و استبشر بنيل مقصوده من المرقب؛ و كان فی نفس السلطان من أهل المرقب لما فعلوا مع عسكره ما فعلوا فی السنين الماضية، فنازل السلطان حصن المرقب فی يوم الأربعاء عاشر صفر، و شرع العسكر فی عمل الستائر و المجانيق. فلمّا انتهت الستائر التی للمجانيق حملتها المقاتلة لباب الحصن، فسقطت السّتارة إلی بركة كبيرة كان عليها جماعة من أصحاب الأمير علم الدين سنجر الدّويداریّ، منهم شمس الدين سنقر أستاداره و عدّة من مماليكه فاستشهدوا جميعهم، رحمهم اللّه تعالی.

ثمّ فی يوم الأحد رابع عشره، حضر رسل الفرنج من عند ملكهم الإسبتار، و سألوا السلطان الصّلح و الأمان لأهل المرقب علی نفوسهم و أموالهم و يسلّمون الحصن المذكور، فلم يجبهم السلطان إلی ذلک، و كمل نصب المجانيق و رمی بها و شعّث الحصن و هدم معظم أبراجه و استمرّ الحال إلی سادس عشر شهر ربيع الأوّل، زحف السلطان علی الحصن فأذعن من فيه بالتسليم؛ و حصلت المراسلة فی معنی ذلک.

فلمّا كان يوم الجمعة ثامن عشر شهر ربيع الأوّل المذكور سلّم، و رفعت عليه الأعلام الإسلاميّة و نزل من به بالأمان علی أرواحهم

فركبوا، و جهّز معهم من أوصلهم إلى أنطرطوس. [و] بالقرب من هذا الحصن [مرقيّة] و هى بلدة صغيرة على البحر، و كان

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۶

صاحبها قد بنى فى البحر برجا عظيما لا يرام و لا تصله النّشّاب و لا حجر المنجنيق و حصّنه؛ و اتفق حضور رسل صاحب طرابلس إلى السلطان بطلب مراضيه، فآقترح عليه خراب هذا البرج و إحضار من كان فيه أسيرا من الجبيليّين الذين كانوا مع صاحب جبيل فأحضر من بقى منهم فى قيد الحياة و اعتذر عن هدم البرج بأنّه ليس له، و لا هو تحت حكمه؛ فلم يقبل السلطان اعتذاره و صمّم على طلبه منه، فقيل: إنّه اشتراه من صاحبه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۷

بعدّة قرى و ذهب كثير، و دفعه إلى السلطان، فأمر بهدمه فهدم و استراح الناس منه. و حصل الاستيلاء فى هذه الغزوة على المرقب و أعماله و مرقيّة. و المرقب هو من الحصون المشهورة بالمنعة و الحصانة و هو كبير جدا، و لم يفتحه السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتح، فأبقاه السلطان الملك المنصور بعد أن أشير عليه بهدمه، و رمّم شعثه و استناب فيه بعض أمرائه و رتّب أحواله. و كتبت البشائر بهذا الفتح إلى الأقطار.

و لمّا كان السلطان الملك المنصور على حصار المرقب جاءته البشرى بولادة ولده «الملك الناصر محمد بن قلاوون»، فمولد الملك الناصر محمد هذه السنة، فيحفظ إلى ما يأتى ذكره فى ترجمته، إن شاء اللّه تعالى، فإنّه أعظم ملوك الترك بلا مدافعة.

و لمّا فتح السلطان الملك المنصور المرقب عملت الشعراء فى ذلك عدّة قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود، و هى قصيدة طنّانة أوّلها:

اللّه أكبر هذا النّصر و الظّفر هذا هو الفتح لا ما تزعم السّير

هذا الذى كانت الآمال إن طمحت إلى الكواكب ترجوه و تنتظر

فانهض و سر و املك الدّنيا فقد نحلت شوقا منابرها و ارتاحت السّرر

كم رام قبلك هذا الحصن من ملك فطال عنه و ما فى باعه قصر

و كيف تمنحه الأيّام مملكة كانت لدولتك الغرّاء تدّخر

و كيف يسمو إليها من تأخّر عن إسعاده منجداك القدر و القدر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۸

غرّ العدا منك حلم تحته همم لأشقر البرق من تحجيلها غرر

لها و إن أشبهت لطف النّسيم سرى معنى العواصف لا تبقى و لا تذر

أوردتها المرقب العالى و ليس سوى ماء المجرّة فى أرجائها نهر

كأنّه و كأنّ الجوّ يكنفه و هم تمثّله فى طيّها الفكر

يختال كالغادة العذراء قد نظمت منه مكان اللآلى الأنجم الزّهر

له الهلال سوار و السّها شنف و القلب قلب و مسودّ الدّجى طرر

تعلو الرياح إليه كى تحيط به [خبرا] و تدنو و ما فى ضمنها خبر

و يومض البرق يهفو نحوه ليرى أدنى رباه و يأتى و هو معتذر

و ليس يروى بماء السّحب مصعدة إليه من فيه إلّا و هو منحدر

و منها:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۳۱۸

و أضرمت حوله نار لها لهب من السّيوف و من نبل الوغى شرر

و منها:

كأنّها و مجانيق الفرنج لها فرائس الأسد فى أظفارها الظّفر

و كم شكا الحصن ما يلقى فما اكترثت يا قلبها أ حديد أنت أم حجر

و للنقوب دبيب فى مفاصله تثير سقما و لا يبدو له أثر

أضحى به مثل صبّ لا تبين به نار الهوى و هى فى الأحشاء تستعر

و منها:

ركبت فى جندك الأولى إليه ضحا و النصر يتلوك منه جندك الأخر

قد زال تجلى قواه عن قواعده و خرّ أعلاه نحو الأرض يبتدر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۱۹

و ساخ و انكشفت أقباؤه و بدا لديك من مضمرات النصر ما ستروا

فمال يهوى إليهم كلّ ليث وغى له من البيض ناب و القنا ظفر

و منها بعد أبيات كثيرة براعة المقطع:

إن لم يوفّ الورى بالشكر ما فتحت يداك فاللّه و الأملاك قد شكروا

ثم سار الملك المنصور قلاوون من المرقب إلى دمشق و أقام بها أياما، ثم خرج منها عائدا إلى نحو الديار المصريّة فى بكرة الاثنين ثانى عشر جمادى الأولى؛ فدخل الديار المصريّة فى أوائل شهر رجب.

و لمّا دخل القاهرة و أقام بها أخذ فى عمل أخذ الكرك من الملك المسعود نجم الدين خضر ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارىّ حتى أخذت، و ورد عليه الخبر بأخذها فى ليلة الجمعة سابع صفر [سنة خمس و ثمانين و ستمائة] و دقّت البشائر بالديار المصريّة ثلاثة أيام.

ثمّ فى سنة ستّ و ثمانين و ستمائة جهّز السلطان طائفة من العسكر بالديار المصريّة صحبة الأمير حسام الدين طرنطاى إلى الشام لحصار صهيون و برزيه و انتزاعهما من يد سنقر الأشقر، فسار حسام الدين المذكور بمن معه حتى وصل دمشق فى أثناء المحرّم، و استصحب معه الأمير حسام الدين لاچين نائب الشام، و توجّه الجميع إلى صهيون بالمجانيق فوصلوها و شرعوا فى حصارها؛ و كان سنقر الأشقر قد استعدّ لهم و جمع إلى القلعة خلقا كثيرا؛ فحاصروه أيّاما، ثم بعد ذلك توجّه الأمير حسام الدين إلى برزيه و حصرها و استولى عليها، و هى ممّا يضرب المثل بحصانتها. و لمّا فتحها وجد فيها خيولا لسنقر الأشقر. و لمّا فتحت برزيه لانت عريكة سنقر الأشقر،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۰

و أجاب إلى تسليم صهيون على شروط اشترطها، فأجابه طرنطاى إليها، و حلف له بما وثق به من الأيمان، و نزل من قلعة صهيون بعد حصرها شهرا واحدا، و أعين على نقل أثقاله بجمال كثيرة و حضر بنفسه و أولاده و أثقاله و أتباعه إلى دمشق. ثم توجّه إلى الديار المصريّة صحبة طرنطاى المذكور و وفّى له بجميع ما حلف عليه؛ و لم يزل يذبّ عنه أيام حياته أشدّ ذبّ. و أعطى السلطان لسنقر الأشقر بالديار المصريّة خبز مائة فارس، و بقى وافر الحرمة إلى آخر أيام الملك المنصور قلاوون. و انتظمت صهيون و برزيه فى سلك الممالك المنصوريّة.

ثم خرج الملك المنصور من الديار المصرية قاصدا الشام فى يوم سابع عشرين شهر رجب سنة ستّ و ثمانين و سار حتى وصل غزّة أقام بتلّ العجول أياما إلى شوّال، ثم رجع إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين ثالث عشرين شوّال، و لم يعلم أحد ما كان غرضه

فی هذه السّفرة. و فی شوّال هذا سلطن الملک المنصور ولده الملک الأشرف صلاح الدین خلیلا و جعله مکان أخیه الملک الصالح علاء الدین علیّ بعد موته، و دقّت البشائر لذلک سبعة أیام بالدیار المصریة و غیرها، و حلف الناس له و العساکر، و خطب له بولایة العهد.

ثمّ فی سنة ثمان و ثمانین و ستّمائة فتحت طرابلس، و هو أنّ صاحب طرابلس کان وقع بینه و بین سیر تلمیه الفرنجیّ، و کان من أصحاب صاحب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۱

الحصن الذی أخربه صاحب طرابلس رضاء للملک المنصور قلاوون حسب ما تقدّم ذکره.

فحصلت بینه و بین صاحب طرابلس وحشة بسبب ذلک، و اتّفق موت صاحب الحصن، و سأل سیر تلمیه من السلطان الملک المنصور المساعدة، و أن یتقدّم للأمیر بلبان الطّبّاخی السّلحدار أن یساعده علی تملّک طرابلس، علی أن تکون مناصفة، و بذل فی ذلک بذولا کثیرة، فسوعد إلی أن تمّ له مراده، و رأی أنّ الذی بذله للسلطان لا یوافقه الفرنج علیه، فشرع فی باب التّسویف و المغالطة و مدافعة الأوقات؛ فلمّا علم السلطان باطن أمره عزم علی قتاله قبل استحکام أمره، فتجهّز و خرج من الدیار المصریّة بعساکره لحصار طرابلس، و سار حتّی وصل دمشق و أقام بها، ثم تهیّأ و خرج منها، و نازل طرابلس فی مستهلّ شهر ربیع الأوّل، و نصب علیها المجانیق و ضایقها مضایقة شدیدة إلی أن ملکها بالسیف فی الرابعة من نهار الثلاثاء رابع شهر ربیع الآخر، و شمل القتل و الأسر لسائر من کان بها، و غرق منهم فی الماء جماعة کثیرة، و نهب من الأموال و الذخائر و المتاجر و غیر ذلک ما لا یوصف، ثم أحرقت و خرّب سورها، و کان من أعظم الأسوار و أمنعها. ثم تسلّم حصن أنفة و کان أیضا لصاحب طرابلس

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۲

فأمر السلطان بتخریبه، ثم تسلّم السلطان البترون و جمیع ما هناک من الحصون.

و کان لطرابلس مدّة طویلة بأیدی الفرنج من سنة ثلاث و خمسمائة إلی الآن.

قلت: و کان فتح طرابلس الأوّل فی زمن معاویة بن أبی سفیان، رضی اللّه عنه، و تنّقلت فی أیدی الملوک، و عظمت فی زمن بنی عمّار قضاة طرابلس و حکّامها. فلمّا کان فی آخر المائة الخامسة ظهرت طوائف الفرنج فی الشام و استولوا علی البلاد فامتنعت علیهم طرابلس مدّة حتّی ملکوها بعد أمور فی سنة ثلاث و خمسمائة، و استمرّت فی أیدیهم إلی أن فتحها الملک المنصور قلاوون فی هذه السنة.

و قال شرف الدین محمد بن موسی المقدسیّ الکاتب فی «السّیرة المنصوریّة»:

إن طرابلس کانت عبارة عن ثلاثة حصون مجتمعة باللسان الرومی، و کان فتحها علی ید سفیان بن مجیب الأزدیّ، بعثه لحصارها معاویة بن أبی سفیان فی خلافة عثمان بن عفّان، رضی اللّه عنه، انتهی کلام شرف الدین باختصار.

قلت: و أما طرابلس القدیمة کانت من أحسن المدن و أطیبها، ثمّ بعد ذلک اتخذوا مکانا علی میل من البلدة و بنوه مدینة صغیرة بلا سور، فجاء مکانا ردیء الهوی و المزاج من الوخم. انتهی.

و لمّا فتحت طرابلس کتبت الشائر إلی الآفاق بهذا النصر العظیم، و دقّت البشائر و التهانی و زیّنت المدن و عملت القلاع فی الشوارع و سرّ الناس بهذا النصر غایة السّرور. و أنشأ فی هذا المعنی القاضی تاج الدین ابن الأثیر کتابا إلی صاحب الیمن بأمر الملک المنصور یعرّفه بهذا الفتح العظیم و بالبشارة به. و أوّله:

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۳

[بسم اللّه الرحمن الرحیم أعزّ اللّه] نصر المقام العالیّ السلطانیّ الملکیّ المظفّریّ الشمسیّ. ثم استطرد و حکی أمر الفتح و غیره إلی أن قال فأحسن فیما قال: و کانت الخلفاء و الملوک فی ذلک الوقت ما فیهم إلا من هو مشغول بنفسه، مکبّ علی مجلس أنسه؛ یری

السلامة غنيمة، و إذا عنّ له وصف الحرب لم يسأل [منها إلا] عن طرق الهزيمة؛ قد بلغ أمله من الرتبة، و قنع [من ملكه كما يقال با] لسكة و الخطبة؛ أموال تنهب، و ممالك تذهب؛ لا يبالون بما سلبوا، و هم كما قيل:

إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا أو حاربوا حربوا أو غالبوا غلبوا

إلى أن أوجد اللّه من نصر دينه، و أذلّ الكفر و شياطينه. انتهى.

قلت: و الكتاب هذا خلاصته و الذى أعجبنى منه.

و عمل الشعراء فى هذا الفتح عدّة قصائد، فمن ذلك ما قاله العلّامة شهاب الدين أبو الثّناء محمود كاتب الدّرج المقدّم ذكره يمدح الملك المنصور قلاوون و يذكر فتحه طرابلس، و القصيدة أولها:

علينا لمن أولاك نعمته الشكر لأنّك للإسلام يا سيفه ذخر

و منّا لك الإخلاص فى صالح الدّعا إلى من له فى أمر نصرتك الأمر

و للّه فى إعلاء ملكك فى الورى مراد و فى التأييد يوم الوغى سرّ

ألا هكذا يا وارث الملك فليكن جهاد العدا لا ما توالى به الدّهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۴

و منها:

نهضت إلى عليا طرابلس التى أقلّ عناها أنّ خندقها البحر

و القصيدة طويلة كلّها على هذا المنوال، أضربت عنها خوف الإطالة. انتهى.

ثم عاد الملك المنصور إلى الديار المصريّة فى جمادى الآخرة من السنة، و استمرّ بالقاهرة إلى أوّل سنة تسع و ثمانين و ستمائة، جهّز الأمير حسام الدين طرنطاى كافل الممالك الشاميّة إلى بلاد الصّعيد، و معه عسكر جيّد من الأمراء و الجند، فسكّن تلك النواحى و أباد المفسدين و أخذ خلقا عظيما من أعيانهم رهائن، و أخذ جميع أسلحتهم و خيولهم، و كان معظم سلاحهم السيوف و الحجف و الرماح، و أحضروا إلى السلطان من ذلك عدّة أحمال، ففرّق السلطان من الخيول و السلاح فيمن أراد من الأمراء و الجند و أودع الرهائن الحبوس.

و فى هذه السنة أيضا عاد الأمير عزّ الدين أيبك الأفرم من غزو بلاد السودان بمغانم كثيرة و رقيق كثير من النساء و الرجال و فيل صغير.

ثم فى هذه السنة أيضا رسم السلطان ألّا يستخدم أحد من الأمراء و غيرهم فى دواوينهم أحدا من النصارى و اليهود و حرّض على ذلك، فامتثل ذلك الأمراء جميعهم.

و فى هذه السنة عزم السلطان الملك المنصور على الحجّ فبلغه خبر فرنج عكّا، ففتر عزمه و تهيّأ للخروج إلى البلاد الشاميّة، و رأى أن يقدّم غزوهم و الانتقام على الحجّ؛ و أخذ فى تجهيز العساكر و البعوث، و ضرب دهليزه خارج القاهرة، و باب الدهليز إلى

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۵

جهة عكّا. و خرج من القاهرة إلى مخيّمه و هو متوعّك لأيام خلت من شوّال، و لا زال متمرّضا بمخيّمه عند مسجد التبن خارج القاهرة إلى أن توفّى به فى يوم السبت سادس ذى القعدة من سنة تسع و ثمانين و ستمائة، و حمل إلى القلعة ليلة الأحد.

و تسلطن من بعده ولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل الذى كان عهد له بالسلطنة قبل تاريخه حسب ما ذكرناه. و كثر أسف الناس عليه.

قال الحافظ أبو عبد اللّه شمس الدين محمد الذهبىّ فى «تاريخ الإسلام» بعد ما سماه و لقّبه قال: اشترى بألف دينار، و لهذا كان فى حال إمرته يسمّى بالألفىّ، و كان من أحسن الناس صورة فى صباه، و أبهاهم و أهيبهم فى رجوليّته، كان تامّ الشكل مستدير اللّحية قد

و خطه الشّيب، على وجهه هيبة الملك و على أكتافه حشمة السلطنة، و عليه سكينة و وقار، رأيته مرات آخرها منصرفه من فتح طرابلس. و كان من أبناء الستين. ثم قال: و حدّثنى أبى أنه كان معجم اللسان لا يكاد يفصح بالعربية، و ذلك لأنه أتى به من بلاد التّرك و هو كبير. ثم قال بعد كلام آخر:

و عمل بالقاهرة ببين القصرين تربة عظيمة و مدرسة كبيرة، قال: و بيمارستانا للمرضى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۶

قلت: و من عمارته البيمارستان المذكور و عظم أوقافه تعرّف همّته، و نذكر عمارة البيمارستان إن شاء اللّه تعالى بعد ذلك. انتهى.

و قال غيره: و كان يعرف أيضا قلاوون الآقسنقرىّ الكاملىّ الصالحىّ النّجمىّ، لأن الأمير آق سنقر الكاملى كان اشتراه من تاجره بألف دينار، ثم مات الأمير آق سنقر المذكور بعد مدّة يسيرة، فارتجع هو و خشداشيته إلى الملك الصالح نجم الدين أيّوب فى سنة سبع و أربعين و ستمائة، و هى السنة التى مات فيها الملك الصالح أيّوب، و هذا القول هو الصحيح فى أصل مشتراه.

قلت: و لمّا طلع الملك المنصور قلاوون إلى قلعة الجبل ميّتا، أخذوا فى تجهيزه و غسله و تكفينه إلى أن تمّ أمره، و حملوه و أنزلوه إلى تربته ببين القصرين فدفن بها. و كانت مدّة ملكه إحدى عشرة سنة و ثلاثة أشهر، رحمه اللّه تعالى، و كان سلطانا كريما حليما شجاعا مقداما عادلا عفيفا عن سفك الدماء مائلا إلى فعل الخير و الأمر بالمعرف، و له مآثر كثيرة:

منها البيمارستان الذى أنشأه ببين القصرين، و تمّم عمارته فى مدة يسيرة، و كان مشدّ عمارته الأمير علم الدين سنجر الشّجاعىّ المنصورى وزير الديار المصرية و مشدّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۷

دواوينها، ثمّ ولى نيابة دمشق و نهض بهذا العمل العظيم و فرغ منه فى أيّام قلائل، و لمّا كمل عمارة الجميع امتدحه معين الدين بن تولوا بقصيدة أوّلها:

أنشأت مدرسة و مارستانا لتصحّح الأديان و الأبدانا

قلت: و هذا البيمارستان و أوقافه و ما شرطه فيه لم يسبقه إلى ذلك أحد قديما و لا حديثا شرقا و لا غربا. و جدّد عمارة قلعة حلب و قلعة كركر و غير موضع.

و أمّا غزواته فقد ذكرناها فى وقتها. و جمع من المماليك خلقا عظيما لم يجمعهم أحد قبله، فبلغت عدّتهم اثنى عشر ألفا، و صار منهم الأمراء الكبار و النوّاب، و منهم من تسلطن من بعده على ما يأتى ذكره. و تسلطن أيضا من ذريّته سلاطين كثيرة آخرهم الملك المنصور حاجّىّ الذى خلعه الملك الظاهر برقوق. و أعظم من هذا أنّه من تسلطن من بعده من يوم مات إلى يومنا هذا، إمّا من ذريته، و إمّا من مماليكه أو مماليك مماليك أولاده و ذريّته، لأنّ يلبغا مملوك السلطان حسن، و حسن ابن محمد بن قلاوون، و برقوق مملوك يلبغا، و السلاطين بأجمعهم مماليك برقوق و أولاده. انتهى. و كان من محاسن الملك المنصور قلاوون أنّه لا يميل إلى جنس بعينه بل كان ميله لمن يتخيّل فيه النّجابة كائنا من كان.

قلت: و لهذا طالت مدّة مماليكه و ذرّيته باختلاف أجناس مماليكه، و كانت حرمته عظيمة على مماليكه لا يستطيع الواحد منهم أن ينهر غلامه و لا خادمه خوفا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۸

منه، و لا يتجاهر أحد منهم بفاحشة، و لا يتزوّج إلا إن زوّجه هو بعض جواريه؛ هذا مع كثرة عددهم.

قلت رحمه اللّه تعالى: لو لم يكن من محاسنه إلّا تربية مماليكه و كفّ شرّهم عن الناس لكفاه ذلك عند اللّه تعالى، فإنّه كان بهم منفعة للمسلمين، و مضرّة للمشركين و قيامهم فى الغزوات معروف، و شرّهم عن الرعيّة مكفوف؛ بخلاف زماننا هذا، فإنّه مع قلّتهم و ضعف بنيتهم و عدم شجاعتهم، شرّهم فى الرّعية معروف، و نفعهم عن الناس مكفوف؛ هذا مع عدم التجاريد و التقاء الخوارج و قلّة

الغزوات، فإنّه لم يقع فی هذا القرن، و هو القرن التاسع، لقاء مع خارجیّ غير وقعة تيمور، و افتضحوا منه غاية الفضيحة، و سلّموا البلاد و العباد و تسحّب أكثرهم من غير قتال.

و أمّا الغزوات فأعظم ما وقع فی هـذا القرن فتـح قبرس، و كان النصـر فيها من اللّه سـبحانه و تعالى، انكسـر صاحبها و أخـذ من جماعة يسيرة، تلقّاهم بعض

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۲۹

عساكره. خذلان من اللّه تعالى! وقع ذلک كلّه قبل وصول غالب عسكر المسلمين.

و أمّا غير ذلک من الغزوات فسـفر فی البحر ذهابا و إيابا، فكيف لو كان هؤلاء أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيّوب عند ما غزا الساحل، و غاب عن الديار المصـريّة نحو العشـر سـنين، لا يفارق فيها الخيم و التّشتّت عن الأوطان و اتّصال الغزوة بالغزوة! أو لو كانوا أيّام الملک الكامل محمـد لمّا قاتل الفرنـج على دمياط نحو الثلاث سـنين لم يـدخل فيها مصـر إلى أن فتـح اللّه عليه، أو لو كانوا أيّام الملک الظاهر بيبرس و هو يتجرّد و يغزو فی السـنة الواحدة المرّة و المرّتين و الثلاث و هلمّ جرّا! إلى أيّام الملک الأشـرف شـعبان بن حسين لمّا أخذت الإسكندرية. و هذا شیء معروف لا يشاحّ فيه أحد. و أعجب من هذا كلّه أنّ أولئک كانوا على حظّ وافر من الأدب و الحشمة و التواضع مع الأكابر، و إظهار الناموس و عدم الازدراء بمن هو دونهم، و هؤلاء است فی الماء و أنف فی السماء، لا يهتدی أحدهم لمسک لجام الفرس، و إن تكلّم تكلّم بنفس؛ ليس لهم صـناعة، إلّا نهب البضاعة؛ يتقوّون على الضـعيف، و يشرهون حتّى فی الرّغيف؛ جهادهم الإخراق بالرئيس، و غزوهم فی التّبن و الدريس؛ و حظّهم منقام، و لا مروءة لهم و السلام. انتهى.

قال ابن كثير فی حقّ الملک المنصور قلاوون المـذكور: اشتراه الملک الصالـح نجم الدين أيّوب من الملک الكامل محمد بن العادل أبی بكر بن أيّوب بألف دينار، فلذلک سمّی بالألفیّ.

قلت: و هـذا بخلاف مـا نقله الشيخ صـلاح الـدين خليل بن أيبک الصّـفدیّ فی أنّ الـذی اشتراه بألف دينار إنّما هو الأمير آق سـنقر الكاملیّ، و الأرجح عندی ما قاله الصّفدیّ فی أنّ الذی اشتراه بألف دينار إنما هو الأمير آق سنقر من وجوه عديدة.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۰

قـال ابن كثير أيضـا: و كـان الملـک المنصور قـد أفرد من مماليكه ثلاثـة آلاف و سبعمائة مملوک من الأمراء و الجراكسـة و جعلهم بالقلعة، و سمّاهم «البرجيّة»، و أقام نوّابه فی البلدان من مماليكه، و هم الذين غيروا ملابس الدولة الماضية.

قال الصـلاح الصّفدیّ: و لبسوا أحسن الملابس، لأنّ فی الدولة الماضية الصلاحيّة كان الجميع يلبسون كلّوتات صفر مضرّبة بكلبندات بغير شاشات،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۱

و شـعورهم مضـفورة ديـابيق فی أكيـاس حرير ملوّنـة، و كان فی خواصـرهم موضع الحوائص بنود ملوّنـة أو بعلبكّيـة، و أكمام أقبيتهم ضيّقـة على زی ملاـبس الفرنـج، و أخفـافهم برغالی أو سـقامين و من فوق قماشـهم كمرات بحلق و إبزيم، و صوالقهم كبار يسع كلّ صولق نصف و يبـة أو أكثر، و منديلهم كبير طوله ثلاث أذرع، فأبطل المنصور ذلک كلّه بأحسن منه، و كانت الخلع للأمراء المقدّمين المروزیّ،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۲

فخصّـص الملک المنصور من الأمراء بلبس الطّرد وحش أربعة من خشداشـيته، و هم: سـنقر الأشـقر الذی كان تسلطن و لقّب بالملک الكامـل و البيسـری و الأيـدمریّ و الأـفرم. و بـاقی الأـمراء و الخاصّـكيّة و البرّانيّـة تلبس المروزیّ و الطبلخانـات بـالملّون، و العشـرات بالعتّابی.

قلت: و هذا أيضا بخلاف زماننا فإنّه لبس فيه أوباش الناس الخلع السّـنيّة، و أعجب من هذا أنّه لمّا لبس هؤلاء الخلع السّنيّة زالت تلک

الأبّهة و الحشمة عن الخلع المذکورة و صارت کمن دونها من الخلع فی أعین الناس لمعرفتهم بمقام اللابس. انتهی.
قلت: و الآن نـذکر ما وعدنا بذکره فی أوائل ترجمة الملک المنصور قلاوون من أمر کتّاب السّرّ، لأنّه هو الذی أحدث هذه الوظیفة و سمّی صاحبها بکاتب السّرّ علی ما نبیّنه من أقوال کثیرة:
منها أنّه لمّا کان أیّام الملک الظاهر بیبرس کان الدّوادار یوم ذاک بلبان بن عبد اللّه الرومی. قال الشیخ صلاح الدین خلیل الصّفدیّ: کان من أعیان الأمراء (یعنی عن بلبان المـذکور) و من نجبائهم، و کان الملک الظاهر بیبرس یعتمد علیه و یحمّله أسراره إلی القصّاد. و لم یؤمّره إلا الملک السعید ابن الملک الظاهر بیبرس.
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۳
و استشـهد بمصافّ حمص سنة ثمانین و ستمائة، و کان یباشر وظیفة الدّواداریّة و لم یکن معه کاتب سرّ، فاتّفق أنّه قال یوما لمحیی الـدین بن عبـد الظاهر: اکتب إلی فلان مرسوما أن یطلق له من الخزانة العالیة بدمشق عشرة آلاف درهم، نصـفها عشرون ألفا، فکتب المرسوم کمـا قال له و جهّزه إلی دمشق، فأنکروه و أعادوه إلی السـلطان، و قالوا: ما نعلم! هل هـذا المرسوم بعشرین نصـفها عشرة أو بعشرة نصـفها خمسة؟ فطلب السلطان محیی الدین و أنکر علیه ذلک، فقال: یا خوند، هکذا قال لی الأمیر سیف الدین بلبان الدّوادار؛ فقال السـلطان: ینبغی أن یکون للملک کاتب سرّ یتلقّی المرسوم منه شـفاها. و کان الملک المنصور قلاوون حاضـرا من جملة الأمراء فسـمع هـذا الکلام. و خرج الملـک الظاهر عقیب ذلک إلی نوبـة أبلستین، فلمّا توفّی الملک الظاهر و ملک الملک المنصور قلاوون اتّخذ کاتب سرّ. انتهی.
کلام الصّفدیّ باختصار.
قلت: و فی هـذه الحکایـة دلالـة علی أن وظیفة کتابة السرّ لم تکن قبل ذلک أبدا، لقوله: ینبغی للملک أن یکون له کاتب سرّ یتلقّی المرسوم منه شفاها. و أیضا تحقیق ما قلناه: أنّ وظیفة کتابة السرّ لم تکن قدیما، و إنّما کانت الملوک لا یتلقّی الأمور عنهم إلّا الوزراء. قضیة فخر الـدین بن لقمان مع القاضـی فتح الدین محمد بن عبد الظاهر فی الدولة الأشـرفیّة خلیل بن قلاوون، و هو أنه لمّا توزّر فخر الدین بن لقمان قال له الملک المنصور:
من یکون عوضک فی الإنشاء؟ قال: فتح الدین بن عبد الظاهر، فولّی فتح الدین و تمکّن عند السلطان و حظی عنده؛ و فتح الدین هذا هو الذی قلنا عنه فی أوّل الکتاب إنه أوّل کاتب سرّ کان، و ظهر اسم هذه الوظیفة من ثمّ. انتهی. و حظی فتح الدین
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۴
عنـد السـلطان إلی الغایـة. فلمّـا کان بعض الأیام دخل فخر الـدین بن لقمان علی السـلطان فأعطاه السـلطان کتابا یقرؤه، فلمّا دخل فتح الدین أخذ السلطان الکتاب منه و أعطاه لفتح الدین، و قال لفخر الدین: تأخّر! فعظم ذلک علی فخر الدین بن لقمان.
قلت: و لو لا أنّ هـذه الواقعـة خرق العـادة ما غضب ابن لقمان من ذلک، لأنّ العادة کانت یوم ذاک لا یقرأ أحـد علی السـلطان کتابا بحضرة الوزیر. انتهی.
و منها واقعة القاضـی فتح الدین المذکور مع شـمس الدین ابن السّـلعوس لمّا ولی الوزارة للملک الأشـرف خلیل بن قلاوون، فإنّه قال لفتح الدین: اعرض علیّ کلّ ما تکتبه عن السلطان کما هی العادة، فقال فتح الدین: لا سبیل إلی ذلک، فلما بلغ الملک الأشـرف هذا الخبر من الوزیر المذکور، قال: صدق فتح الدین، فغضب من ذلک الوزیر ابن السّلعوس.
قلت: و عندی دلیل آخر أقوی من جمیع ما ذکرته، أنّه لم أقف علی ترجمة رجل فی الإسلام شرقا و لا غربا نعت بکاتب السرّ قبل فتح الدین هذا، و فی هذا کفایة. و ما ذکره صاحب صـبح الأعشی و غیره ممّن کتبوا للنبیّ صلّی اللّه علیه و سلّم و من بعده لیس فی ذلک دلیـل علی أنّهم کتّاب السّـرّ؛ بل ذلک دلیل لکلّ کاتب کتب عن مخـدومه کائنا من کان. و نحن أیضا نـذکر الـذین ذکرهم صاحب صبـح الأعشـی و غیره من الکتّاب، و نذکر أیضا من ألحقناه بهم من کتّاب السّـرّ إلی یومنا هذا، لیعلم بذلک صدق مقالتی بذکرهم و

ألقابهم و زمانهم. انتهى. قال: اعلم أنّ كتّاب النّبيّ، صلّى اللّه عليه و سلّم، كانوا نيّفا على ستة و ثلاثين كاتبا، لكن المشهور منهم: أبو بكر و عمر و عثمان و عليّ و معاوية بن أبى سفيان و مروان بن الحكم.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۵

قلت: و فى مروان خلاف، لأنّ الحافظ أبا عبد اللّه الذهبيّ قال فى ترجمة مروان بن الحكم: له رؤية إن شاء اللّه، و لم يعدّه من الصحابة، فكيف يكون من الكتّاب! و أيضا حذف جماعة من كبار الصحابة كتّاب النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و أثبت مروان هذا، و فى صحبته خلاف. و لو لا خشية الإطالة لذكرنا من ذكره الحافظ العلامة مغلطاى ممّن كتب للنبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم ليعلم بذلك غلط من عدّ مروان من الكتّاب. انتهى. قال: و لمّا توفّى النّبيّ، صلّى اللّه عليه و سلّم و صارت الخلافة إلى أبى بكر كتب عنه عمر بن الخطّاب و عثمان و عليّ رضى اللّه عنهم. فلمّا استخلف عمر كتب عنه عثمان و عليّ و معاوية و عبد اللّه بن خلف الخزاعيّ، و كان زيد بن ثابت و زيد بن أرقم يكتبان على بيت المال. فلمّا استخلف عثمان كتب عنه مروان بن الحكم. فلمّا استخلف عليّ كتب عنه عبد اللّه بن رافع مولى النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم و سعيد بن نمران. فلمّا استخلف الحسن كتب عنه كتّاب أبيه. فلمّا بايعوا معاوية كتب عنه عبد اللّه بن أوس، و كتب عبد اللّه المذكور عن ابنه يزيد أيضا، و ابن أبيه معاوية بن يزيد. فلمّا خلع معاوية ابن يزيد نفسه و تولّى مروان بن الحكم كتب عنه سفيان الأحول و قيل عبيد اللّه بن أوس.

فلمّا استخلف عبد الملك بن مروان كتب عنه روح بن زنباع الجذاميّ. فلما استخلف الوليد كتب عنه قرّة بن شريك، ثم قبيصة بن ذؤيب، ثم الضحّاك ابن زمل. فلما استخلف سليمان كتب عنه يزيد بن المهلّب، ثم عبد العزيز بن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۶

الحارث. فلما استخلف الإمام عمر بن عبد العزيز رضى اللّه عنه كتب عنه رجاء بن حيوة الكنديّ، ثم ابن أبى رقيّة؛ فلما استخلف يزيد بن عبد الملك كتب عنه سعيد بن الوليد الأبرش، ثم محمد بن عبد اللّه بن حارثة الأنصاريّ.

فلما استخلف هشام بن عبد الملك أبقاهما على عادتهما، و استكتب معهما سالما مولاه. فلما استخلف الوليد بن يزيد كتب عنه العباس بن مسلم. فلما استخلف يزيد بن الوليد كتب عنه ثابت بن سليمان. فلما استخلف إبراهيم بن الوليد كتب عنه أيضا ثابت على عادته. فلما صارت الخلافة إلى مروان بن محمد بن مروان كتب عنه عبد الحميد بن يحيى مولى بنى عامر إلى حين انقراض الدول الأمويّة. ثم صارت الخلافة لبنى العباس فاتخذوا كتّابهم وزراء، و كان أوّل خلفاء بنى العباس أبو العباس عبد اللّه ابن محمد السفّاح فاتخذ أبا سلمة [حفص بن سليمان] الخلّال، و هو أوّل وزير وزر فى الإسلام؛ ثم استوزر معه [خالد بن] برمك و سليمان بن مخلد و الربيع بن يونس، فتراكمت عليهم الأشغال، و اتّسعت عليهم الأمور، فأفردوا للمكاتبات ديوانا، و كانوا يعبّرون عنه تارة بصاحب ديوان الرسائل، و تارة بصاحب ديوان المكاتبات، و تفرّقت دواوين الإنشاء فى الأقطار، فكان بكلّ مملكة ديوان إنشاء؛ و كانت الديار المصريّة من حين الفتح الإسلامى و إلى الدولة الطّولونية إمارة، و لم يكن لديوان الإنشاء فيها كبير أمر. فلما استولى أحمد بن طولون عظمت مملكتها و قوى أمرها فكتب عنه أبو جعفر محمد بن أحمد بن مودود. و كتب لولده خمارويه إسحاق بن نصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۷

العباديّ. و توالت دواوين الإنشاء بذلك إلى حين انقراض الدولة الإخشيدية.

ثم كانت الدولة الفاطمية فعظم ديوان الإنشاء بها، و وقع الاعتناء به و اختيار بلغاء الكتّاب ما بين مسلم و ذمّيّ، فكتب للعزيز بن المعزّ فى الدولة الفاطمية أبو المنصور بن جورس النّصرانيّ، ثم كتب لابنه الحاكم و مات فى أيامه، و كتب للحاكم بعده القاضى أبو الطاهر النهركيّ. ثم تولى الظاهر بن الحاكم فكتب عنه أبو الطاهر المذكور. ثم تولى المستنصر فكتب عنه القاضى ولى الدين بن خيران، و ولىّ الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله إلى الوزارة، و أبو سعيد العميديّ.

ثم تولى الآمر و الحافظ فكتب عنهما الشيخ أبو الحسن علىّ بن أبى أسامة الحلبيّ إلى أن توفّى فى أيام الحافظ، فكتب بعده ولده أبو

المكارم إلى أن توفّى، و معه الشيخ أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علىّ بن سليمان بن منجب المعروف بابن الصّيرفىّ، و القاضى كافى الكفاة محمود ابن القاضى الموفّق أسعد بن قادوس، و ابن أبى الدّم اليهودىّ، ثم كتب بعد أبى المكارم القاضى الموفّق بن الخلّال بقية أيام الحافظ إلى آخر أيام العاضد آخر خلفائهم، و به تخرّج القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانىّ.

ثم أشرك العاضد مع الموفّق بن الخلّال فى ديوان الإنشاء القاضى جلال الدين محمودا

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۸

الأنصارىّ. ثم كتب القاضى الفاضل بين يدى الموفّق بن الخلّال فى وزارة صلاح الدين يوسف بن أيّوب. ثم كانت الدولة الأيّوبية، فكتب للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القاضى الفاضل المذكور، ثم أضيفت اليه الوزارة. ثم كتب بعد الناصر لابنه العزيز و لأخيه العادل أبى بكر، ثم مات العادل و الفاضل.

قلت: هنا مجازفة لم يكتب القاضى الفاضل للعادل و كان بينهما مشاحنة، و مات الفاضل قبل وصول العادل إلى مصر، و قيل وقت دخول العادل من باب النصر إلى القاهرة كانت جنازة القاضى الفاضل خارجة. و قد ذكرنا ذلك كلّه فى هذا الكتاب، و إنما كتب الفاضل للعزيز عثمان و لولده الملك المنصور محمد، فالتبس المنصور على الناقل بالعادل. انتهى.

قال: ثم تولّى الكامل بن العادل فكتب له أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدّرج إلى أن توفّى، فكتب له بعده الشيخ أمين الدين عبد المحسن [بن حمود] الحلبى مدّة قليلة؛ ثم كتب للصالح نجم الدين أيّوب، ثم ولى ديوان الإنشاء الصاحب بهاء الدين زهير، ثم صرف و ولى بعده الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الإسعردىّ، فبقى إلى انقراض الدولة الأيّوبية. فلما كانت الدولة التركية كتب للمعز أيبك الصاحب فخر الدين المذكور، ثم بعده للمظفر قطز، ثم للظاهر بيبرس، ثم للمنصور قلاوون، ثم نقله قلاوون من ديوان الإنشاء للوزارة، و ولى ديوان الإنشاء مكانه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر فكتب عنه بقية أيامه؛ ثم كتب لابنه الأشرف خليل إلى أن توفّى، فولّى مكانه القاضى تاج الدين [أحمد] بن الأثير فكتب إلى أن

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۳۹

توفّى؛ فكتب بعده القاضى شرف الدين عبد الوهاب بن فضل اللّه فكتب بقية أيام الأشرف. فلما تولّى أخوه الناصر محمد كتب عنه القاضى شرف الدين المذكور فى سلطنته الأولى ثم فى أيام العادل كتبغا ثم أيام المنصور لاچين ثم فى أيام سلطنة الناصر محمد الثانية؛ ثم نقله إلى كتابة السّرّ بدمشق عوضا عن أخيه القاضى محيى الدين، و تولى مكانه بمصر القاضى علاء الدين [بن تاج الدين] بن الأثير فبقى حتى مرض بالفالج فاستدعى الملك الناصر محيى الدين بن فضل اللّه من دمشق و ولده شهاب الدين [أحمد] و ولّاهما ديوان الإنشاء بمصر. ثم ولّى بعدهما القاضى شمس الدين ابن الشهاب محمود فبقى إلى عود السلطان من الحجّ فأعاد القاضى محيى الدين و ولده القاضى شهاب الدين إلى ديوان الإنشاء بمصر فبقيا مدّة. ثم تغيّر السلطان على القاضى شهاب الدين و صرفه عن المباشرة، و أقام أخاه القاضى علاء الدين و كلاهما معين لوالده لكبر سنّه، ثم سأل القاضى محيى الدين السلطان فى العود إلى دمشق فأعاده و صحبته ولده شهاب الدين؛ و استمرّ ولده القاضى علاء الدين بالديار المصريّة فباشر بقيّة أيام الناصر، ثم أيّام ولده الملك المنصور، ثم أيام الأشرف كجك، ثم أيام الناصر أحمد إلى أن خلع نفسه و توجّه إلى الكرك توجه معه القاضى علاء الدين؛ فلمّا تولّى الملك الصالح إسماعيل السلطنة

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۰

بمصر بعد أخيه الناصر أحمد قرّر القاضى بدر الدين محمد ابن القاضى محيى الدين بن فضل اللّه عوضا عن أخيه علاء الدين.

قلت: لم يل بدر الدين محمد بعد أخيه علاء الدين الوظيفة استقلالا و إنّما ناب عنه إلى حين حضوره. انتهى.

قال: ثم أعيد علاء الدين أيّام الصالح إسماعيل و أيام الكامل شعبان، ثم أيام المظفّر حاجّى ثم أيّام الناصر حسن فى سلطنته الأولى، ثم فى أيّام الصالح صالح، ثم فى أيّام الناصر حسن فى سلطنته الثانية، ثم أيام المنصور محمد ابن المظفر حاجّى، ثم فى أيّام الأشرف

شعبان و توفّى فى أيّامه.

قلت: و كانت وفاته فى شهر رمضان سنة تسع و ستين و سبعمائة بعد أن باشر كتابة السر نيّفا و ثلاثين سنة لأحد عشر سلطانا.

قال: ثم ولى الوظيفة بعده ولده بدر الدين محمد ابن القاضى علاء الدين، فباشر بقيّة أيام الأشرف شعبان، ثم ولده المنصور علىّ، ثم أخيه الملك الصالح حاجّى بن شعبان إلى أن خلع بالظاهر برقوق، فاستقرّ برقوق بالقاضى أوحد الدين عبد الواحد ابن إسماعيل التّركمانىّ إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته فى ذى الحجة سنة ستّ و ثمانين و سبعمائة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۱

قال: ثم أعيد بدر الدين فباشر حتى خلع الظاهر برقوق بالمنصور حاجّىّ، فاستمر بدر الدين إلى أن عاد برقوق إلى سلطنته الثانية، صرفه بالقاضى علاء الدين على بن عيسى الكركى، ثم صرف الكركىّ.

قلت: و مات معزولا فى شهر ربيع الأوّل فى سنة أربع و تسعين و سبعمائة.

قال: ثم أعيد القاضى بدر الدين من بعد عزل القاضى علاء الدين فاستمرّ بدر الدين إلى أن عاد برقوق فتوفّى بدمشق.

قلت: و وفاته فى شوّال سنة ست و تسعين و سبعمائة.

قال: و ولى بعده القاضى بدر الدين محمود الكلستانىّ فباشر إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته فى عاشر جمادى الأولى سنة إحدى و ثمانمائة.

قال: فتولى بعده القاضى فتح الدين فتح اللّه [التّبريزىّ] فباشر بقية أيام الظاهر، و مدّة من أيام الناصر إلى أن صرفه الناصر فرج بالقاضى سعد الدين بن غراب مدّة يسيرة، ثم صرف ابن غراب و أعيد القاضى فتح اللّه ثانيا، فباشر إلى أن صرف بالقاضى فخر الدين بن المزوّق، فباشر مدة يسيرة، ثم صرف و أعيد فتح اللّه فباشر إلى أن صرفه الملك المؤيّد شيخ و قبض عليه و صادره.

قلت: و مات تحت العقوبة خنقا فى ليلة الأحد خامس عشر شهر ربيع الأوّل سنة ست عشرة و ثمانمائة، و هو فتح اللّه بن مستعصم بن نفيس التّبريزى الحنفى الداوودى، يأتى ذكره هو و غيره من كتّاب السّرّ فى محلهم من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۲

قال: و تولّى بعده القاضى ناصر الدين محمد البارزىّ فباشر إلى أن توفّى.

قلت: و كانت وفاته يوم الأربعاء ثامن شوّال سنة ثلاث و عشرين و ثمانمائة، و مولده بحماة فى يوم الاثنين رابع شوّال سنة تسع و ستين و سبعمائة. و تولى بعده ولده القاضى كمال الدين محمد بن البارزى، فباشر إلى أن صرفه الملك الظاهر ططر و ولّى علم الدين داود [بن عبد الرحمن] بن الكويز، فباشر إلى أن توفّى سنة ست و عشرين و ثمانمائة فى دولة الملك الأشرف برسباى. و ولّى بعده جمال الدين يوسف بن الصّفىّ الكركىّ فباشر قليلا إلى أن صرف بقاضى القضاة شمس الدين محمد الهروىّ، و دام الكركىّ بعد ذلك و باشر عدّة وظائف بالبلاد الشامية إلى أن توفّى فى حدود سنة خمس و خمسين و ثمانمائة، و باشر الهروى إلى أن عزل بقاضى القضاة نجم الدين عمر ابن حجّى، فباشر ابن حجّى إلى أن عزل و توجّه إلى دمشق على قضائها، و دام إلى أن قتل بها فى ذى القعدة سنة ثلاثين و ثمانمائة، و ولّى بعده القاضى بدر الدين محمد [ابن محمد بن أحمد] بن مزهر، و استمرّ إلى أن مات فى ليلة الأحد سابع عشرين جمادى الآخرة من سنة اثنتين و ثلاثين و ثمانمائة. و ولى بعده ابنه جلال الدين؛ و قيل بدر الدين محمد مدّة يسيرة. و صرف بالشريف شهاب الدين أحمد [بن علىّ بن إبراهيم ابن عدنان] الحسينى الدمشقى، فباشر مدة يسيرة و توفّى بالطاعون فى سنة ثلاث و ثلاثين،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۳

و ولى بعده أخوه نحو الجمعة بغير خلعة و توفّى بالطاعون أيضا. و ولى بعدهما شهاب الدين أحمد [بن صالح بن أحمد بن عمر

المعروف با] بن السّيفاح الحلبى فباشر إلى أن مات فى سنة خمس و ثلاثين. و ولى بعده الوزير كريم الدين عبد الكريم ابن كاتب المناخ مضافا للوزارة، فباشر أشهرا و صرف؛ و أعيد القاضى كمال الدين محمد بن البارزىّ فى يوم السبت العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ستّ و ثلاثين، فباشر إلى أن صرف يوم الخميس سابع شهر رجب سنة تسع و ثلاثين؛ و ولى مكانه الشيخ محبّ الدين محمد ابن الأشقر فباشر إلى أن صرف، و ولى صلاح الدين محمد ابن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر اللّه، فباشر إلى أن توفّى بالطاعون فى سنة إحدى و أربعين، و ولى مكانه والده الصاحب بدر الدين حسن فباشر إلى أن صرف، و أعيد القاضى كمال الدين بن البارزىّ فى يوم الثلاثاء سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين و أربعين و ثمانمائة، و هى ولايته الثالثة؛ فباشر إلى أن توفّى بكرة يوم الأحد سادس عشرين صفر سنة ستّ و خمسين و ثمانمائة. و لم يخلّف بعده مثله، و ولى بعده القاضى محب الدين محمد بن الأشقر المقدّم ذكره، و باشر إلى أن صرفه الملك الأشرف إينال بالقاضى محب الدين محمد بن الشّحنة الحلبىّ، فباشر ابن الشّحنة أشهرا ثم صرف، و أعيد القاضى محب الدين محمد بن الأشقر و هى ولايته الثالثة. انتهى.

قلت: و غالب من ذكرناه من هؤلاء الكتّاب قد تقدّم ذكر أكثرهم، و يأتى ذكر باقيهم فى محلّهم من هذا الكتاب إن شاء اللّه تعالى. و قد استطردنا من ترجمة الملك المنصور إلى غيرها، و لكن لا بأس بالتطويل فى تحصيل الفوائد. انتهى.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۴

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۷۹]

السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور قلاوون على مصر و قد تقدّم ذكرها فى ترجمة الملك السعيد، و الملك العادل سلامش ولدى الملك الظاهر بيبرس، و هى سنة ثمان و سبعين و ستمائة، فإنه حكم فيها من شهر رجب إلى آخرها.

و هذه السنة الثانية من ولاته الملك المنصور قلاوون المذكور، و هى سنة تسع و سبعين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ محيى الدين أبو العباس أحمد [بن علىّ] بن عبد الواحد بن السابق الحلبى العدل الكبير، كان من أكابر بيوت حلب، و كان عنده فضيلة و رياسة و مات بدمشق فى ذى الحجة.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين، و قيل صارم الدين، أزبك بن عبد اللّه الحلبى العدل الكبير، كان من أعيان أمراء دمشق، و هو منسوب إلى أستاذه الأمير عزّ الدين أيبك الحلبى، و كان قد تجرّد إلى بعلبكّ فتمرّض بها، فحمل فى محفّة إلى دمشق، فمات بها فى شوّال.

و فيها توفّى الأمير جمال الدين آقوش بن عبد اللّه الشّمسىّ، كان من أعيان الامراء و أماثلهم و شجعانهم، و هو الذى أمسك الأمير عزّ الدين أيدمر الظاهرى، و هو الذى باشر قتل كتبغا نوين مقدّم التّتار يوم عين جالوت، و كان ولى نيابة حلب فى السنة الخالية؛ و مات بها فى يوم الاثنين خامس المحرّم و دفن بحلب، و هو فى عشر الخمسين.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۵

و فيها توفّى الشيخ الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الحنفىّ الفقيه العدل، كان من أعيان الفقهاء العدول، و كان كثير الديانة و التعبّد، و هو أخو قاضى القضاة شمس الدين الحنفىّ.

و فيها توفّى الشيخ شمس الدين أبو عبد اللّه محمد [بن أيّوب بن أبى رحلة] الحمصى المولد و الدار البعلبكّى الوفاة، كان فاضلا ظريفا أديبا شاعرا، و مما ينسب إليه من الشعر قوله:

و الدهر كالطيف بؤساه و أنعمه عن غير قصد فلا تحمد و لا تلم

لا تسأل الدهر فى البأساء يكشفها فلو سألت دوام البؤس لم يدم

و فيها توفّى الأديب الفاضل الشاعر المفتنّ جمال الدين أبو الحسين يحيى ابن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علىّ المصرىّ المولد و الوفاة، المعروف بالجزّار، الشاعر المشهور أحد فحول الشعراء فى زمانه. مولده سنة إحدى و ستمائة. و مات يوم الثلاثاء ثانى عشر

شوّال و دفن بالقرافة، و كان من محاسن الدنيا، و له نوادر مستظرفة و مداعبات و مفاوضات مع شعراء عصره، و له ديوان شعر كبير.

قال الشيخ صلاح الدين الصّفدىّ: لم يكن فى عصره من يقاربه فى جودة النظم غير السّراج الورّاق، و هو كان فارس تلك الحلبة، و منه أخذوا، [و] على نمطه نسجوا، و من مادّته استمدّوا. انتهى كلام الصّفدىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۶

قلت: و نذكر قطعة من شعره فمن ذلك قوله:

أكلّف نفسى كلّ يوم و ليلة هموما على من لا أفوز بخيره

كما سوّد القصار بالشمس وجهه ليجهد فى تبييض أثواب غيره

و قيل: إنه بات ليلة فى رمضان عند الصاحب بهاء الدين بن حنّا، فصلّى عنده التراويح و قرأ الإمام فى تلك الليلة سورة الأنعام فى ركعة واحدة؛ فقال أبو الحسين:

ما لى على الأنعام من قدرة لا سيّما فى ركعة واحده

فلا تسومونى حضورا سوى فى ليلة الأنفال و المائدة

و من شعره:

طرف المحبّ فم يذاع به الجوى و الدمع إن صمت اللسان لسان

تبكى الجفون على الكرى فاعجب لمن تبكى عليه إذا نأى الأوطان

و فيها توفّى الشيخ الإمام عماد الدين أبو بكر بن هلال بن عبّاد الجيلىّ الحنفى معيد المدرسة الشّبليّة. كان إماما عالما صالحا منقطعا عن الناس مشتغلا بنفسه، و كان معدودا من العلماء، أفتى و أعاد و درّس و انتفع به الناس و مات فى تاسع عشر شهر رجب، و قد كمل له مائة سنة و أربع سنين. و روى عنه ابن الزّبيدىّ؛ و روى بالإجازة العامّة عن السّلفىّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۷

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الفقيه شمس الدين محمد بن عبد اللّه [بن محمد بن عمر بن مسعود] بن النّنّ. و الأديب البارع أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزّار بمصر. و شيخ الرافضة النّجيب أبو القاسم بن الحسين ابن العود الحلّىّ بجزّين فى شعبان. و الشيخ الزاهد يوسف [بن نجاح بن موهوب] الفقّاعىّ بزاويته بقاسيون.

أمر فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و خمس أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و ثلاث و عشرون إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۰]

السنة الثالثة من ولاية السلطان الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ثمانين و ستمائة.

فيها تربت جزيرة كبيرة ببحر النيل تجاه قرية بولاق و اللّوق، و انقطع بسببها مجرى البحر ما بين قلعة المقس و ساحل باب البحر و الرّملة و بين جزيرة الفيل؛ و لم يعهد هذا فيما تقدّم، و حصل لأهل القاهرة مشقّة يسيرة من نقل الماء لبعد البحر عنهم؛ و أراد السلطان حفره فمنعوه، و قالوا له: هذا نشف إلى الأبد.

قلت: و كذا وقع، و غالب أملاك باب البحر و البساتين خارج باب البحر و داخله هى مكان البحر الذى نشف، و التصقت المبانى و البساتين بجزيرة الفيل و صارت غير جزيرة، فسبحان القادر على كل شىء!.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۸

و فيها توفّى الشيخ الصالح المولّه المعتقد إبراهيم بن سعيد الشّاغورىّ المعروف بجيعانة فى يوم الأحد سابع جمادى الأولى بدمشق، و دفن بمقبرة المولّهين بسفح قاسيون، و له من العمر نحو سبعين سنة، و كانت له جنازة عظيمة، و كان له أحوال و مكاشفات، رحمه

اللّه.

و فيها توفّى ملك التّتار أبغا بن هولاكو بن تولى خان بن چنكز خان ملك التّتار و طاغيتهم، كان ملكا جليل القدر على الهمّة شجاعا مقداما خبيرا بالحروب، لم يكن بعد والده مثله، و كان على مذهب التّتار و اعتقادهم، و مملكته متّسعة جدّا و عساكره كثيرة، و كان مع ذلك كلمته مسموعة فى جنده مع كثرتهم. و لمّا توجّه أخوه منكوتمر بالعساكر إلى جهة الشام لم يكن ذلك عن رأيه بل أشير عليه فوافق، و نزل فى ذلك الوقت الرّحبة، أو بالقرب منها، فلما بلغ أبغا كسرة منكوتمر رجع الى همذان فمات غمّا و كمدا و مات منكوتمر بعد أخيه أبغا بمدّة يسيرة بين العيدين، و له من العمر نحو خمسين سنة، و قيل: ثلاثين سنة و الثانى أرجح. و مات بعده بيومين أخوه آجاى على ما يأتى ذكر منكوتمر فى القابلة.

و فيها توفّى التاجر نجم الدين أبو العبّاس أحمد بن علىّ بن المظفّر بن الحلّىّ، كان ذا نعمة ضخمة و ثروة ظاهرة، و أمول جمّة، و له التقدّم فى الدولة.

و فيها توفّى الشيخ موفّق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف المعروف بالكواشىّ الإمام العالم المفسّر صاحب التفسير الكبير و التفسير الصغير و هما من أحسن التفاسير، و كانت له اليد الطّولى فى القراءات و مشاركة فى غير ذلك من العلوم، و كان مقيما

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۴۹

بالجامع العتيق بالموصل منقطعا عن الناس مجتهدا فى العبادة لا يقبل لأحد شيئا، و كان يزوره الملك و من دونه فلا يقوم لهم و لا يعبأ بهم، و كان له مجاهدات و كشوف و كرامات، و لأهل تلك البلاد فيه عقيدة. و مات و له تسعون سنة تقريبا، و كانت وفاته فى سابع عشر جمادى الآخرة بالموصل و دفن بها.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين المعروف بالحاجّ أزدمر بن عبد اللّه الجمدار، كان من أعيان الأمراء، و كان ممن انضاف إلى سنقر الأشقر لمّا تسلطن، و كان سنقر جعله نائبا بدمشق، و وقع له أمور ذكرنا بعضها فى أوّل ترجمة الملك المنصور قلاوون إلى أن استشهد فى واقعة التّتار مع المنصور قلاوون بظاهر حمص مقبلا غير مدبر رحمه اللّه و تقبّل منه.

و فيها توفّى الأمير عزّ الدين أيبك بن عبد اللّه الشّجاعىّ الصالحى العمادى والى الولاة بالجهات القبلية، كان ديّنا خيّرا ليّن الجانب شديدا على أهل الرّيب وجيها عند الملوك، و كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه فى أموره؛ ثم إنه ترك الأمر باختياره و لزم داره إلى أن مات بدمشق فى جمادى الآخرة، و قد بلغ خمسا و ثمانين سنة.

و فيها توفّى الأمير بدر الدين بكتوت بن عبد اللّه الخازندار، استشهد أيضا فى وقعة التّتار بحمص و كان أميرا جليلا.

و فيها توفّى الأمير سيف الدين بلبان الرّومى الدّوادار المقدّم ذكره فى قضيّة كتّاب السرّ، كان الملك الظاهر بيبرس يعتمد عليه و ولّاه دوادارا، و كان المطّلع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۰

على أسراره، و تدبير أمور القصّاد و الجواسيس و المكاتبات لا يشاركه فى ذلك وزير و لا نائب سلطنة، بل كان هو و الأمير حسام الدين لاچين الأيدمرىّ المعروف بالدّرفيل، فلما توفّى لا چين المذكور انفرد بلبان بذلك وحده، و كان مع هذه الخصوصية عند الملك الظاهر أمير عشرة، و قيل جنديا.

قال الصّفدى: لم يؤمّره طبلخاناه إلى أن مات الملك الظاهر أنعم عليه ولده الملك السعيد بإمرة ستين فارسا بالشام، و بقى بعد ذلك إلى أن استشهد بظاهر حمص رحمه اللّه و قد نيّف على ستين سنة.

و فيها توفّى الأمير شمس الدين سنقر بن عبد اللّه الألفى، كان من أعيان الأمراء الظاهريّة، و ولى نيابة السلطنة بمصر للملك السعيد بعد موت الأمير بدر الدين بيليك الخازندار، و باشر النّيابة أحسن مباشرة إلى أن استعفى فأعفى، و ولى النيابة عوضه الأمير كوندك، فكان ذهاب الدولة على يده. ثم قبض الملك المنصور على سنقر هذا و اعتقله بالإسكندرية، و قيل بقلعة الجبل، إلى أن مات، و له

من العمر نحو أربعين سنة.

و فيها توفّى الشيخ علاء الدين أبو الحسن علىّ بن محمود بن الحسن بن نبهان اليشكرى ثم الربعىّ، كان له اليد الطّولى فى علم الفلك، و تفرّد بحلّ الأزياج و عمل التقاويم، و غلب ذلك عليه مع فضلية تامة فى علم الأدب و جودة النظم. و من شعره:

و لما أتانى العاذلون عدمتهم و ما منهم إلا للحمى قارض

و قد بهتوا لما رأونى شاحبا و قالوا به عين فقلت و عارض

و له:

إنى أغار من النّسيم إذا سرى بأريج عرفك خيفة من ناشق

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۱

و أودّ لو سهّرت لا من علّة حذرا عليک من الخيال الطارق

قلت: و أجاد الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح فى هذا المعنى حيث قال:

فلو أمسى على تلفى مصرّا لقلت معذّبى بالله زدنى

و لا تسمح بوصلک لى فإنّى أغار عليک منک فكيف منّى

و مثل هذا أيضا قول حفصة المغربية، رحمها اللّه:

أغار عليک من غيرى و منّى و منک و من مكانک و الزمان

و لو أنّى خبأتک فى جفونى إلى يوم القيامة ما كفانى

و فيها توفّى الشيخ الإمام الأديب البارع بدر الدين يوسف بن لؤلؤ بن عبد اللّه الذّهبىّ الشاعر المشهور، كان أبوه لؤلؤ عتيق الأمير بدر الدين صاحب تلّ باشر.

و كان بدر الدين هذا فاضلا شاعرا ماهرا. و من شعره ممّا كتبه للشيخ نجم الدين [محمد] بن إسرائيل و له صاحب يميل إليه يسمّى بالجارح:

قلبک اليوم طائر عنک فى الجوائح

كيف يرجى خلاصه و هو فى كفّ جارح

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۲

و من شعره فى دولاب:

و روضة دولابها إلى الغصون قد شكا

من حين ضاع زهرها دار عليه و بكى

و له:

يا عاذلى فيه قل لى إذا بدا كيف أسلو

يمرّ بى كلّ حين و كلما مرّ يحلو

و له:

حلا نبات الشّعر يا عاذلى لمّا بدا فى خدّه الأحمر

فشاقنى ذاک العذار الذى نباته أحلى من السّكّر

و له فى غلام على وجهه حبّ شباب:

تعشّقته لدن القوام مهفهفا شهىّ اللمى أحوى المراشف أشنبا

و قالوا بدا حبّ الشباب بوجهه فيا حسنه وجها إلىّ محبّبا

و له:

رفقا بصبّ مغرم أبليته صدّا و هجرا

وافاك سائل دمعه فرددته فى الحال نهرا

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة الزاهد موفّق الدين أحمد بن يوسف الكواشىّ المفسّر بالموصل فى جمادى الآخرة، و قد جاوز التسعين. و القاضى نجم الدين محمد ابن القاضى صدر الدين بن سنىّ الدولة بدمشق

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۳

فى المحرّم. و العلّامة قاضى القضاة تقىّ الدين محمد بن الحسين بن رزين العامرىّ بالقاهرة فى رجب، و له سبع و سبعون سنة. و الحافظ المسند جمال الدين أبو حامد محمد بن علىّ بن محمود بن الصابونىّ فى ذى القعدة. و المسند شمس الدين أبو الغنائم المسلم بن محمد بن المسلم بن علّان فى ذى الحجّة، و له سبع و ثمانون سنة. و العدل أمين الدين القاسم بن أبى بكر بن القاسم الإربلىّ فى جمادى الأولى. و العارف الزاهد ولىّ الدين علىّ بن أحمد بن بدر الجزرىّ المقيم بجامع بيت لهيا فى شوّال.

و أبغا بن هولاكو ملك التّتار ببلاد همذان. و الحاج أزدمر الأمير بمصافّ حمص شهيدا.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمسة أذرع و ثلاث أصابع. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۱]

السنة الرابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة إحدى و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلّكان بن باول بن عبد اللّه بن شاكل بن الحسين بن مالك بن جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكىّ الإربلىّ الشافعىّ قاضى قضاة دمشق و عالمها و مؤرّخها.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۴

مولده فى ليلة الأحد حادى عشر جمادى الآخرة سنة ثمان و ستمائة بإربل و بها نشأ.

ذكره ابن العديم فى تاريخه فقال: من بيت معروف بالفقه و المناصب الدينية. و قال غيره: كان إماما عالما فقيها أديبا شاعرا مفتّنا مجموع الفضائل معدوم النظير فى علوم شتّى، حجّة فيما ينقله محقّقا لما يورده منفردا فى علم الأدب و التاريخ، و كانت وفاته فى شهر رجب و له ثلاث و سبعون سنة.

قلت: و هو صاحب التاريخ المشهور، و قد استوعبنا من حاله نبذة جيّدة فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى». انتهى.

و كان ولى قضاء دمشق مرّتين: الأولى فى حدود الستين و ستمائة و عزل و قدم القاهرة، و ناب فى الحكم بها عن قاضى القضاة بدر الدين السّنجارىّ، و أفتى بها و درّس و دام بها نحو سبع سنين؛ ثم أعيد إلى قضاء دمشق بعد عزّ الدين بن الصائغ، و سرّ الناس بعوده. و مدحته الشعراء بعدّة قصائد؛ من ذلك ما أنشده الشيخ رشيد الدين عمر بن إسماعيل [بن مسعود بن سعد بن سعيد] الفارقىّ فقال:

أنت فى الشام مثل يوسف فى مص ر و عندى أنّ الكرام جناس

و لكلّ سبع شداد و بعد السّب ع عام فيه يغاث الناس

و قال فيه أيضا نور الدين علىّ بن مصعب.

رأيت أهل الشآم طرّا ما فيهم قطّ غير راض

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۵

أتاهم الخير بعد شرّ فالوقت بسط بلا انقباض

و عوّضوا فرحة بحزن قد أنصف الدهر فى التقاضى

و سرّهم بعد طول غمّ قدوم قاض و عزل قاض

فكلّهم شاكر و شاك لحال مستقبل و ماض

و من شعر ابن خلّكان المذكور قوله:

تمثّلتم لى و البلاد بعيدة فخيّل لى أنّ الفؤاد لكم مغنى

و ناجا كم قلبى على البعد و النّوى فآنستمو لفظا و أوحشتمو معنى

و له دو بيت:

قاسوك ببدر التّمّ قوم ظلموا لا ذنب لهم لأنّهم ما علموا

من أين لبدر التّمّ يا ويحهم جيد و عيون و قوام و فم

و له:

يا رب إنّ العبد يخفى عيبه فاستر بحلمك ما بدا من عيبه

و لقد أتاك و ما له من شافع لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

قلت و يعجبنى فى هذا المعنى قول القائل:

إن كانت الأعضاء خالفت الّذى أمرت به فى سالف الأزمان

فسلوا الفؤاد عن الذى أودعتم فيه من التوحيد و الإيمان

تجدوه قد أدّى الأمانة فيهما فهبوا له ما خلّ فى الأركان

و فيها توفّى ملك التّتار منكوتمر بن هولاكو خان بن تولى خان بن چنكز خان، هو أخو أبغا ملك التّتار؛ و منكوتمر هذا هو الذى ضرب المصافّ مع السلطان الملك المنصور قلاوون على حمص حسب ما تقدّم ذكره و انكسرت عساكره، فلمّا وقع

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۶

ذلك عظم عليه و حصل عنده غمّ شديد و كمد زائد، و حدّثته نفسه بجمع العساكر من سائر ممالك بيت هولاكو، و استنجد بأخيه أبغا على غزو الشام، فقدّر اللّه سبحانه و تعالى موت أبغا، ثم مات هو بعده فى محرّم هذه السنة، و أراح اللّه المسلمين من شرّهما. و كان منكوتمر شجاعا مقداما و عنده بطش و جبروت و سفك للدّماء، و كان نصرانيّا، و كان جرح يوم مصافّ حمص، و الذى جرحه الأمير علم الدين سنجر الدّويداريّ.

الذين ذكر الذهبيّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام زين الدين عبد السلام بن علىّ الزّواوىّ المالكىّ شيخ القرّاء فى رجب، عن اثنتين و تسعين سنة.

و قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان الإربلىّ فى رجب، و له ثلاث و سبعون سنة. و نجيب الدين المقداد بن هبة اللّه القيسىّ العدل فى شعبان.

و أبو الطاهر إسماعيل بن هبة اللّه المليجىّ آخر من قرأ القرآن على أبى الجود فى رمضان بالقرافة. و البرهان إبراهيم بن إسماعيل [بن إبراهيم بن يحيى بن علوىّ المعروف ب] ابن الدّرجىّ إمام المدرسة المعزّيّة فى صفر، و له اثنتان و ثمانون سنة.

و العماد إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكّىّ. و العلّامة برهان الدين محمود ابن عبد اللّه المراغى فى شهر ربيع الآخر، و له ستّ و سبعون سنة. و الإمام أمين الدين

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۷

أحمد بن عبد اللّه [بن محمد بن عبد الجبّار] بن الأشترىّ الشافعى فى شهر ربيع الأوّل.

و الشيخ الزاهد عبد اللّه [بن أبى بكر بن أبى البدر البغدادىّ و يعرف] بكتيلة ببغداد.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم خمس أذرع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى عشرة إصبعا.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۲]

السنة الخامسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة اثنتين و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجّىّ بن بريد البرمكىّ أمير آل مرى، كان من فرسان العرب المشهورين، كانت سراياه تغير إلى أقصى نجد و بلاد الحجاز و يؤدّون له الخفر، و كذلك صاحب المدينة الشريفة، و كانت له المنزلة العالية عند الظاهر و المنصور قلاوون و غيرهما من الملوك، كانوا يدارونه و يتّقون شرّه، و كان يزعم أنّه من نسل الوزير جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكىّ من أخت الخليفة هارون الرشيد الذى امتحن جعفر بسببها و قتل. و كان بين شهاب الدين هذا و بين عيسى بن مهنّا أمير آل فضل منافسة، فكتب إليه شهاب الدين هذا مرّة كتابا و أغلظ فيه، و كان عند عيسى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم فسأله عيسى بن مهنّا المجاوبة، فكتب عنه يقول:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۸

زعموا أنّا هجونا جمعهم بالافتراء

كذبوا فيما ادّعوه و افتروا بالادّعاء

إنّما قلنا مقالا لا كقول السّفهاء

آل فضل آل فضل و انتم آل مراء

و فيها توفّى شرف بن مرى بن حسن بن حسين بن محمد النّواوى والد الشيخ محيى الدين النّواوىّ، كان مقتنعا بالحلال يزرع أرضا يقتات منها هو و أهله، و كان يموّن ولده الشيخ محيى الدين منها، و مات فى صفر.

و فيها توفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن أحمد ابن محمد بن قدامة الحنبلىّ المقدسىّ، كان إماما فقيها ورعا زاهدا كبير القدر جمّ الفضائل، انتهت إليه رياسة مذهب الإمام أحمد بن حنبل، رضى اللّه عنه، فى زمانه، و شرح كتاب «المقنع» فى الفقه تأليف عمّه شيخ الإسلام موفّق الدين، رحمه اللّه:

و فيها توفّى الأمير علاء الدين كشتغدى بن عبد اللّه الشرفىّ الظاهرىّ المعروف بأمير مجلس، كان من أعيان الأمراء و أكابرهم بالديار المصريّة و كان بطلا شجاعا و له مواقف مشهورة و نكايات فى العدوّ المخذول. و مات بقلعة الجبل و قد نيّف على خمسين سنة، و حضر الملك المنصور قلاوون جنازته.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۵۹

و فيها توفّى الكاتب المجوّد عماد الدين أبو عبد اللّه، و قيل أبو الفضل، محمد ابن محمد بن هبة اللّه بن محمد بن هبة اللّه الشّيرازىّ الدمشقىّ صاحب الخطّ المنسوب. انتهت إليه الرياسة فى براعة الخط لا سيّما فى [القلم] المحقّق و [قلم] النّسخ.

سمع الكثير و روى عنه الحافظ جمال الدين المزّىّ و غيره، و تصدّى للكتابة و انتفع به الناس. و قدم القاهرة و اتّفق أنّه ركب النيل مرّة مع الصاحب بهاء الدين بن حنّا، و كان معه جماعة من أصحابه و فيهم شخص معروف بابن الفقّاعى ممّن له عناية بالكتابة، فسأل الصاحب بهاء الدين، و قال: عندى لمولانا الصاحب و هؤلاء الجماعة يوم كامل الدّعوة، و مولانا يدعو المولى عماد الدين يفيدنى قطّة القلم، فقال الصاحب:

و اللّه ما فى هذا شىء، مولانا يتفضّل عليه بذلك، فأطرق عماد الدين مغضبا، ثم رفع رأسه و قال: أو خير لك من ذلك؟ قال: و ما هو؟ قال: أحمل إليك ربعة بخطّى، و يعفينى من هذا، فقال الصاحب: لا و اللّه، الرّبعة بخطّ مولانا تساوى ألفى درهم، و أنا ما آكل

من هذه الضيافة شيئا يساوى عشرة دراهم.

و فيها توفّى الشيخ أبو محمد، و قيل أبو المحاسن، عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيميّة الحرّانىّ أحد علماء الحنابلة و والد الشيخ تقىّ الدين بن تيميّة. مولده بحرّان فى ثانى عشر شوّال سنة سبع و عشرين و ستمائة، و سمع الكثير و تفقه و برع فى الفقه و تميّز فى عدّة فنون، و درّس ببلده و أفتى و خطب و وعظ و فسّر، ولى هذه الوظائف

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۰

عقيب موت والده مجد الدين، و عمره خمس و عشرون سنة، و كان أبوه أيضا من العلماء. و مات فى سلخ ذى الحجّة و دفن بمقابر الصوفيّة بدمشق.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام عماد الدين علىّ بن يعقوب [بن شجاع بن علىّ بن إبراهيم بن محمد] بن أبى زهران الموصلىّ الشافعىّ شيخ القرّاء بدمشق فى صفر، و قد قارب الستين. و شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر المقدسى [محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة] فى شهر ربيع الآخر، و له خمس و ثمانون سنة. و الإمام شهاب الدين عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميّة الحرّانىّ والد شيخنا فى سلخ السنة، و له ستّ و خمسون سنة. و الشيخ محيى الدين عمر بن محمد بن أبى سعد [عبد اللّه بن محمد بن هبة اللّه بن على بن المطهر] بن أبى عصرون التّميمىّ فى ذى القعدة عن ثلاث و ثمانين سنة. و الإمام شمس الدين محمد ابن أحمد بن نعمة المقدسىّ مدرّس الشاميّة فى ذى القعدة. و خطيب دمشق محيى الدين محمد بن الخطيب عماد الدين عبد الكريم [ابن القاضى أبى القاسم عبد الصمد] ابن الحرستانىّ فى جمادى الآخرة، و له ثمان و ستون سنة. و الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن عبّاس [بن أبى بكر] بن جعوان الأديب فى جمادى الأولى.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۱

و الرئيس محيى الدين يحيى بن على بن القلانسىّ فى شوّال. و الرئيس عماد الدين أبو الفضل محمد [بن محمد] ابن القاضى شمس الدين هبة اللّه بن الشّيرازى فى صفر.

و شرف الدين محمد بن عبد المنعم بن القوّاس فى شهر ربيع الآخر. و المحدّث جمال الدين عبد اللّه بن يحيى الجزائرى فى شوّال. و الرشيد محمد بن أبى بكر بن محمد العامرىّ فى ذى الحجّة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و خمس أصابع.

مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثمانى أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۳]

السنة السادسة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ثلاث و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى قاضى القضاة ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن منصور الجذامىّ المالكىّ المعروف بابن المنيّر قاضى الإسكندرية، مولده فى ذى القعدة سنة عشرين و ستمائة، و مات بالإسكندرية ليلة الخميس مستهلّ شهر ربيع الأوّل، و دفن عند تربة والده عند الجامع المغربىّ، و كان إماما فاضلا متبحّرا فى العلوم و له اليد الطّولى فى علم الأدب و النظم و النثر. و من شعره ما كتبه لقاضى القضاة شمس الدين ابن خلّكان فى صدر كتاب:

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۲

ليس شمس الضّحا كأوصاف شمس الد ين قاضى القضاة حاشا و كلّا

تلك مهما علت محلّا ثنت ظلّا و هذا مهما علا مدّ ظلّا

و له يهجو القاضى زين الدين بن أبى الفرج لمّا نازعه فى الحكم:

قل لمن يدّعى المناصب بالجه ل تنحّ عنها لمن هو أعلم

إن تكن فى ربيع ولّيت يوما فعليك القضاء أمسى محرّم

و له فى صدر كتاب كتبه إلى الفائزى يسأله رفع التصقيع عن ثغر الإسكندريّة:

إذا اعتلّ الزمان فمنك يرجو بنو الأيام عاقبة الشّفاء

و إن ينزل بساحتهم قضاء فأنت اللّطف فى ذاك القضاء

و فيها توفّى ملك التتار أحمد بن هولاكو قان بن تولى قان بن چنكز قان، كان ملكا شهما خبيرا بأمور الرعيّة سالكا أحسن المسالك، أسلم و حسن إسلامه و بنى بممالكه الجوامع و المساجد، و كان متّبعا دين الإسلام لا يصدر عنه إلّا ما يوافق الشريعة، و كان لمّا حسن إسلامه صالح السلطان الملك المنصور قلاوون، و فرح السلطان بذلك، فمات أحمد بعد مدّة يسيرة، و ملك بعده أرغون بن أبغا.

و فيها توفّى القاضى نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم بن إبراهيم بن هبة اللّه بن المسلم ابن هبة اللّه بن حسّان بن محمد بن منصور بن أحمد الجهنىّ الشافعىّ المعروف بابن البارزىّ، ولد بحماة سنة ثمان و ستمائة، و روى الحديث و برع فى الفقه و الحديث و النحو و الأدب و الكلام و الحكمة، و صنّف فى كثير من العلوم، و تولّى القضاء بحماة نيابة عن والده، ثم استقلّ بعده و لم يأخذ على القضاء رزقا، و صرف قبل موته بسنين.

و من شعره تضمينا لأوّل قصيدة البهاء زهير البائية:

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۳

و كان الرّضا منى إليه و لم يكن رسول فأخشى أن ينم و يكذبا

و ناديت أهلا بالحبيب و لم أقل رسول الرّضا أهلا و سهلا و مرحبا

و فيها توفّى الأمير شرف الدين عيسى بن مهنّا أمير آل فضل و ملك العرب فى وقته؛ و كان له منزلة عظيمة عند الملوك لا سيّما عند الملك الظاهر بيبرس البندقدارىّ، ثم تضاعفت عند الملك المنصور قلاوون، و كان كريم الأخلاق حسن الجوار مكفوف الشر مبذول الخير، لم يكن فى العرب و ملوكها من يضاهيه، و كان عنده ديانة و صدق. و لمّا مات ولّى الملك المنصور قلاوون ولده مهنّا عوضه، و كان بين وفاته و وفاة عدوّه الأمير أحمد بن حجّىّ أمير آل مرى دون السنة.

و فيها توفّى الشيخ الإمام شمس الدين أبو عبد اللّه محمد بن موسى بن النّعمان التّلمسانىّ، سمع الكثير بعدّة بلاد و حدّث، و مولده بتلمسان فى سنة ستّ أو سبع و ستمائة، و مات بمصر و دفن بالقرافة الكبرى، و هو غير شمس الدين محمد بن العفيف التّلمسانىّ.

و فيها توفّى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك المظفّر محمود ابن الملك المنصور محمد بن تقىّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيّوب صاحب حماة و المعرّة و ابن صاحبهما، ملكهما بعد وفاة أبيه سنة اثنتين و أربعين و ستمائة، و والدته الصاحبة غازية خاتون بنت الملك الكامل محمد صاحب مصر ابن الملك العادل أبى بكر ابن أيوب. و كان مولده سنة اثنتين و ثلاثين و ستمائة، و ولّى الملك المنصور قلاوون ابنه بعد وفاته.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى القاضى ناصر الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن منصور الجذامىّ ابن المنيّر بالإسكندريّة فى شهر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۴

ربيع الأوّل، و له ثلاث و ستون سنة. و الملك أحمد بن هولاكو ملك التّتار.

و قاضى حماة نجم الدين عبد الرحيم بن إبراهيم بن البارزىّ الشافعىّ فى ذى القعدة، و حمل و دفن بالبقيع، و له خمس و سبعون سنة.

و قاضى دمشق عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبد القادر بن عبد الخالق الأنصارى بن الصائغ فى شهر ربيع الآخر فى آخر الكهولية.

و صاحب حماة الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن المظفّر محمود عن إحدى و خمسين سنة. و الشيخ العارف أبو عبد اللّه محمد

بن موسى بن النّعمان التّلمسانىّ بمصر فى رمضان، و له سبع و سبعون سنة. و ملك العرب عيسى بن مهنّا فى شهر ربيع الأوّل.
أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و عدّة أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و ثلاث أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۴]

السنة السابعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة أربع و ثمانين و ستمائة.
فيها كان فتوح المرقب و غيره من القلاع بالساحل حسب ما ذكرناه فى أوّل الترجمة.
و فيها ولد الملك الناصر محمد بن قلاوون، و والده على حصار المرقب؛ و قد تقدّم ذكر ذلك أيضا.
و فيها توفّى الشيخ زين الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد بن أحمد الأندلسىّ الإشبيلىّ الأصل المعروف بكتاكت المصرى الواعظ المقرئ الأديب الشاعر، مولده سنة خمس و ستمائة، و قيل غير ذلك، و مات بالقاهرة فى شهر ربيع الأوّل. و كان إماما فى الوعظ ولد به فضيلة و مشاركة. و له شعر جيّد. من ذلك قوله.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۵
من أنت محبوبه ما ذا يغيّره و من صفوت له ما ذا يكدّره
هيهات عنك ملاح الكون تشغلنى و الكلّ أعراض حسن أنت جوهره
و له القصيدة المشهورة عند الفقراء التى أوّلها:
حضروا فمذ نظروا جمالك غابوا و الكلّ مذ سمعوا خطابك طابوا
و فيها توفّى الأمير علاء الدين أيدكين بن عبد اللّه البندقدارىّ الصالحىّ النجمىّ أستاذ الملك الظاهر بيبرس البندقدارى، كان أصل أيدكين هذا من مماليك الأمير جمال الدين موسى بن يغمور، ثم انتقل عنه للملك الصالح نجم الدين أيّوب و جعله بندقداره و أمّره ثم نكبه، و أخذ منه الملك الظاهر بيبرس ثم أعاده. ثم ترقّى بعد موت أستاذه و ولى نيابة الشام من قبل مملوكه الملك الظاهر بيبرس، و كان الملك الظاهر بيبرس يعظّمه و يقول له: أنت أستاذى و يعرف له حقّ التربية! و كان هو أيضا يبالغ فى خدمة الملك الظاهر و النّصح له؛ و هو الذى انتزع له دمشق من يد الأمير سنجر الحلبىّ كما تقدّم ذكره. و عاش أيدكين إلى دولة الملك المنصور قلاوون، و هو من أكابر الأمراء و أعيانهم إلى أن مات فى القاهرة فى شهر ربيع الاخر، و دفن بتربته قريب بركة الفيل و قد ناهر السبعين.
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۶
قلت: و ما العجب أنّ أيدكين هذا كان من جملة أمراء مملوكه الملك الظاهر بيبرس، و العجب أن أستاذ أيدكين هذا الأمير جمال الدين بن يغمور كان أيضا من جملة أمراء الظاهر بيبرس فكان الظاهر أستاذ أستاذه فى خدمته و من جملة أمرائه فانظر إلى تقلبات الدهر بالملوك و غيرها!
و فيها توفّى الشيخ الإمام رشيد الدين أبو محمد سعيد بن علىّ بن سعيد البصراوىّ الحنفىّ مدرّس الشّبليّة؛ كان إماما عالما فاضلا مدرّسا كثير الدّيانة و الورع، عرض عليه القضاء غير مرّة فامتنع، و كانت له اليد الطّولى فى العربيّة و النظم، و كانت وفاته فى شعبان و دفن بقاسيون. و من شعره:
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۷
أرى عناصر طيب العيش أربعة ما زال منها فطيب العيش قد زالا
أمنّا و صحّة جسم لا يخالطها مغاير و الشّباب الغضّ و المالا
و له مواليا:
كيف اعتمدت على الدنيا و تجريبك أراك فلك تراها كيف تجرى بك

ما زالت الخادعه تدنو فتغرى بک حتى رمتک بإبعادک و تغریبک
و فیها توفّى الأدیب البارع مجیر الدین أبو عبد اللّه محمد بن یعقوب بن علیّ المعروف بابن تمیم الشاعر المشهور، و هو سبط ابن تمیم، کان أصله دمشقیّا و انتقل إلى حماة و خدم صاحبها الملک المنصور جندیّا، و کان له به اختصاص، و کان فاضلا شجاعا عاقلا، و کان من الشعراء المعدودین. و من شعره فى الشجاعة و الإقدام قوله:
دعنى أخاطر فى الحروب بمهجتى إمّا أموت بها و إمّا أرزق
فسواد عیشى لا أراه أبیضا إلّا إذا احمرّ السّنان الأزرق
النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۸
و له:
لم لا أهیم إلى الرّیاض و زهرها و أقیم منها تحت ظل ضافى
و الغصن یلقانى بثغر باسم و الماء یلقانى بقلب صافى
و له:
عاینت ورد الرّوض یلطم خدّه و یقول و هو على البنفسج محنق
لا تقربوه و إن تضوّع نشره ما بینکم فهوا العدوّ الأزرق
قلت: و قریب من هذا قول القائل:
بنفسج الروض تاه عجبا و قال طیبى للجوّ ضمّخ
فأقبل الزهر فى احتفال و البان من غیظه تنفّخ
النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة؛ ج۷؛ ص۳۶۸
ذین ذکر الذهبى وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فیها توفّیت أمّ الخیر ستّ العرب بنت یحیى بن قیماز الکندیّة فى المحرّم. و المحدّث أبو القاسم علیّ بن بلبان الناصریّ فى رمضان. و أبو بکر محمد بن إسماعیل بن عبد اللّه الأنماطیّ فى ذى الحجّة. و القدوة الشیخ محمد بن الحسن الإخمیمىّ بقاسیون فى جمادى الأولى. و الشیخ الزاهد شرف الدین محمد ابن الشیخ عثمان [بن علیّ] الرّومیّ. و الإمام الرشید سعید بن علیّ [ابن سعید] الحنفیّ فى رمضان. و العلّامة رضیّ الدین محمد بن على بن یوسف الشاطبیّ اللغوى بمصر، و له نیّف و ثمانون سنة.
أمر النیل فى هذه السنة- الماء القدیم لم یحرّر. مبلغ الزیادة ستّ عشرة ذراعا و عشرون إصبعا.
النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۶۹

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۵]

السنة الثامنة من ولایة الملک المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة خمس و ثمانین و ستمائة.
فیها استولى الملک المنصور قلاوون على الکرک و انتزعها من ید الملک المسعود خضر ابن الملک الظاهر بیبرس.
و فیها توفّى الشیخ معین الدین أبو عمرو عثمان بن سعید بن عبد الرحمن بن أحمد ابن تولوا الفهریّ، مولده بتنّیس سنة خمس و ستمائة، و مات بمصر فى شهر ربیع الأوّل، و دفن بالقرافة الصغرى، و سمع الحدیث و تفقّه و کان له معرفة بالأدب و له ید طولى فى النظم، و شعره فى غایة الجودة. و من شعره و قد أمر قاضى مصر بقطع أرزاق الشعراء من الصدقات سوى أبى الحسین الجزّار. فقال:
تقدّم القاضى لنوّابه بقطع رزق البرّ و الفاجر
و وفّر الجزّار من بینهم فاعجب للطف التّیس بالجازر

و فيها توفّى الشيخ شهاب الدين أبو عبد اللّه محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ الصوفى الفقيه الشافعى، الشاعر المشهور المعروف بابن الخيمىّ، كان إمام عصره فى الأدب و نظم الشعر مع مشاركة فى كثير من العلوم. و مولده سنة اثنتين و ستمائة، و توفى بمشهد الحسين بالقاهرة فى شهر رجب، و قد أوضحنا أمره مع نجم الدين ابن إسرائيل لمّا تداعيا القصيدة التى أوّلها:

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۰

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب إليك آل التّقصّى و انتهى الطّلب

فى تاريخنا «المنهل الصافى و المستوفى بعد الوافى» و ذكرنا أمرهما لمّا أمرهما ابن الفارض بنظم قصيدتين فى الرّوىّ و القافية و ذكرنا القصيدتين أيضا بكمالهما، ثم حكم ابن الفارض بالقصيدة لشهاب الدين هذا. و القصيدة التى نظمها شهاب الدين ابن الخيمىّ هذا لمّا أمره ابن الفارض بالنظم أوّلها:

للّه قوم بجرعاء الحمى غيب جنوا علىّ و لمّا أن جنوا عتبوا

و التى نظمها ابن إسرائيل.

لم يقض من حبّكم بعض الذى يجب قلب متى ما جرى تذكاركم يجب

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى المسند أبو العبّاس أحمد بن شيبان الصالحىّ فى صفر، و قد قارب التسعين. و العلّامة جمال الدين محمد ابن أحمد بن محمد البكرىّ. و الشهاب محمد بن عبد المنعم بن محمد الأنصارىّ ابن الخيمىّ الشاعر فى رجب، و له ثلاث و ثمانون سنة. و الشيخ عبد الرحيم بن محمد ابن أحمد بن فارس العلثىّ بن الزّجّاج فى المحرّم. و أمة الحقّ شاميّة ابنة صدر الدين الحسن بن محمد بن محمد البكرىّ فى رمضان. و الإمام صفىّ الدين خليل بن أبى بكر ابن محمد المراغىّ فى ذى القعدة. و قاضى القضاة بهاء الدين يوسف ابن القاضى محيى الدين [يحيى] بن الزكى فى ذى الحجّة، و له ستّ و أربعون سنة. و المقرئ برهان الدين إبراهيم بن إسحاق بن المظفّر الوريرىّ فى ذى الحجّة قافلا من الحجّ. و خطيب كفر بطنا

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۱

جمال الدين محمد بن عمر الدّينورىّ فى رجب، و له اثنتان و سبعون سنة.

و المقرئ الشيخ حسن بن عبد اللّه بن ويحيان الرّاشدىّ فى صفر.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع، و قيل خمس، و ست أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۶]

السنة التاسعة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة ست و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ الإمام العارف بالله تعالى قطب زمانه شهاب الدين أبو العبّاس أحمد بن عمر المرسىّ الأنصارىّ الإسكندرىّ المالكىّ الصالح المشهور، كان علّامة زمانه فى العلوم الإسلاميّة، و له القدم الراسخة فى علم التحقيق، و له الكرامات الباهرة، و كان يقول: شاركنا الفقهاء فيما هم فيه، و لم يشاركونا فيما نحن فيه. و قال الشيخ أبو الحسن الشاذلىّ: أبو العبّاس بطرق السماء أعلم منه بطرق الأرض. انتهى.

قلت: و كان لديه فضيلة و مشاركة، و له كرامات و أحوال مشهورة عنه، و للناس فيه اعتقاد كبير لا سيّما أهل الإسكندرية، و قد شاع ذكره و بعد صيته بالصلاح و الزّهد، و كان من جملة الشهود بالثّغر، و بها توفّى و دفن و قبره يقصد للزيارة.

النجوم الزاهرة فى ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۲

و فيها توفّى الشيخ شرف الدين أبو الربيع سليمان بن بليمان بن أبى الجيش ابن عبد الجبّار بن بليمان الهمذانىّ الأصل الرّعبانىّ المولد، الإربلىّ المنشأ، الشاعر المشهور صاحب النوادر، كان من شعراء الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن محمد صاحب الشام، و كان

أبوه صائغا و تعانى هو أيضا الصّياغة، قيل إنّه جاء إليه مملوك مليح من مماليك الملك الأشرف موسى، و قال له: عندك خاتم لإصبعى؟ فقال له: لا، إلا عندى إصبع مليح لخاتمك. و مات بدمشق فى ليلة عاشر صفر. و من شعره:

و ما زالت الرّكبان تخبر عنكم أحاديث كالمسك الذّكىّ بلامين

إلى أن تلاقينا فكان الذى وعت من القول أذنى دون ما أبصرت عينى

و لمّا قامر التّلعفرىّ بثيابه و أخفافه قال فيه شرف الدين هذا قصيدة و أنشدها للملك الناصر بحضرة التّلعفرىّ. فلمّا فرغ من إنشادها قال له التّلعفرىّ: ما أنا جندىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۳

حتى أقامر بأخفافى. فقال له شرف الدين: بخفاف امرأتك. فقال: مالى امرأة، فقال له: لك مقامرة من بين الحجرين إمّا بالخفاف أو بالنّعال. انتهى.

قلت: و أنا مسامح التّلعفرىّ على القمار، لحسن ما قاله من رائق الأشعار:

فمن كان ذا عذر قبلت اعتذاره و من لاله عذر فعندى له عذر

و فيها توفّى الشيخ الإمام المحدّث قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ بن محمد بن الحسن بن أحمد بن عبد اللّه بن ميمون القيسىّ الشّاطبىّ المحدّث الإمام العلّامة، كان شيخ الكامليّة بالقاهرة المعروف بابن القسطلانىّ التّوزرىّ الأصل المصرى المولد المكّىّ المنشأ الشافعىّ المذهب، مولده سنة أربع عشرة و ستمائة، و مات يوم السبت ثامن عشر المحرّم، و دفن بالقرافة الصغرى، و كان مجموع الفضائل، رحمه اللّه.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى الإمام النّحوىّ بدر الدين محمد ابن الشيخ جمال الدين بن مالك فى المحرّم. و الإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد بن علىّ القسطلانىّ بالقاهرة فى المحرّم. و قاضى القضاة برهان الدين الخضر بن الحسن بن علىّ السّنجارىّ بمصر فى صفر. و الحكيم عماد الدين محمد بن عبّاس الرّبغىّ الدّنيسرىّ، و له إحدى و ثمانون سنة. و شرف الدين سليمان ابن بليمان الإربلىّ الشاعر. و المحدث وجيه الدين عبد الرحمن بن حسن السّبتىّ فى جمادى الأولى. و المسند عزّ الدين أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم [بن علىّ] ابن الصّيقل الحرّانىّ فى شهر رجب.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۴

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم أربع أذرع و أصابع. مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۷]

السنة العاشرة من ولاية الملك المنصور قلاوون على مصر، و هى سنة سبع و ثمانين و ستمائة.

فيها توفّى الشيخ المعتقد الصالح برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن معضاد بن شدّاد الجعبرىّ الأصل و المولد المصرىّ الدار و الوفاة، الصالح المشهور، نشأ بجعبر ثم انتقل إلى الديار المصريّة و استوطنها و لزم مسجده، و كان يعظ به و يجتمع عنده خلق كثير، و لأصحابه فيه عقيدة حسنة، و له مقالات كثيرة، و كان زاهدا عابدا، سمع الحديث و روى عن السّخاوىّ و غيره، و كان غزير الفضيلة حلو العبارة.

قال الصلاح الصّفدىّ: أخبرنى الشيخ الإمام العلّامة أثير الدين أبو حيّان من لفظه قال: رأيت المذكور بالقاهرة، و حضرت مجلسه أنا و الشيخ نجم الدين بن مكّىّ، و جرت لنا معه حكاية، و كان يجلس للعوامّ يذكّرهم و لهم فيه اعتقاد، و كان يدرى شيئا من الحديث، و له مشاركة فى أشياء من العلوم و فى الطب، و له شعر جيّد.

و أنشد له قصيدة أذكر منها القليل:

عشقوا الجمال مجرّدا بمجرّد الر وح الزكيّة عشق من زكّاها

متجرّدين عن الطّباع و لؤمها متلبّسين عفافها و تقاها

انتهى كلام الصّفديّ.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۵

و قال القطب اليونينيّ: و أظنّه نيّف على الثمانين من العمر، و لمّا مرض مرض الموت أمر أن يخرج به إلى مكان مدفنه، فلما رآه قال له: «قبير جاك دبير». و مات بعد ذلك بيوم فى يوم السبت رابع عشرين المحرّم بالقاهرة و دفن من يومه بالحسينيّة خارج باب النّصر، و قبره معروف هناك يقصد للزيارة.

قلت: و يعجبنى فى هذا المعنى المقالة السابعة الزّهديّة من مقالات الشيخ العارف الرّبانىّ شرف الدين عبد المؤمن بن هبة اللّه الأصفهانىّ المعروف بشوروة من كتابه «أطباق الذهب» و هى:

طوبى للتّقىّ الخامل، الذى سلم عن إشارة الأنامل؛ و تعسا لمن قعد فى الصوامع، ليعرف بالأصابع؛ خزائن الأمناء مكتومة، و كنوز الأولياء مختومة؛ و الكامل كامن بتضاءل، و الناقص قصير يتطاول؛ و العاقل قبعة، و الجاهل طلعة؛ فاقبع قبوع الحيّات، و اكمن فى الظّلمات، كمون ماء الحياة؛ و صن كنزك فى التّراب، و سيفك فى القراب؛ و عفّ آثارك بالذّيل المسحوب، و استر رواءك بسفعة الشّحوب؛ فالنباهة فتنة، و الوجاهة محنة؛ فكن كنزا مستورا، و لا تكن سيفا مشهورا؛ إنّ الظالم جدير أن يقبر و لا يحشر، و البالى خليق أن يطوى و لا ينشر؛ و لو عرف

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۶

الجذل صولة النّجار، و عضّة المنشار؛ لما تطاول شبرا، و لا تخايل كبرا، و سيقول البلبل المعتقل: يا ليتنى كنت غرابا، و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا». انتهى.

و فيها توفّى الشيخ ناصر الدين أبو محمد حسن بن شاور بن طرخان الكنانىّ و يعرف بابن الفقيسىّ و بابن النّقيب الشاعر المشهور، كان من الفضلاء الأدباء، و مات ليلة الأحد منتصف شهر ربيع الأوّل و دفن بسفح المقطّم، و له تسع و سبعون سنة؛ و كان بينه و بين العلّامة شهاب الدين محمود صحبة و مجالسة و مذاكرة فى القريض.

و من شعره:

نهيناه عن فعل القبيح فما انتهى و لا ردّه ردع و عاد و عادى

و قلنا له دن بالصّلاح فقلّما رأينا فتى عانى الفساد فسادا

و له:

و جرّدت مع فقرى و شيخوختى التى تراها فنومى عن جفونى مشرّد

فلا يدّعى غيرى مقامى فإنّنى أنا ذلك الشيخ الفقير المجرّد

و له:

حدّثت عن ثغره المحلّى فمل إلى خدّه المورّد

خدّ و ثغر فجلّ ربّ بمبدع الحسن قد تفرّد

و له:

يا من أدار سلافة من ريقه و حبابها الثّغر الشّنيب الأشنب

تفّاح خدّك بالعذار ممسّك لكنّه بدم القلوب مخضّب

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۷

و له:

أنا العذریّ فاعذرنی و سامح و جرّ علیّ بالإحسان ذیلا

و لمّا صرت کالمجنون عشقا کتمت زیارتی و أتیت لیلا

و فیها توفّی الملک الصالح علی ابن السلطان الملک المنصور قلاوون، کان والده المنصور قلاوون قد جعله ولیّ عهده و سلطنه فی حیاته حسب ما تقدم ذکره فی سنة تسع و سبعین و ستمائة، فدام فی ولایة العهد إلی هذه السنة مرض و مات بعد أیّام فی رابع شعبان بقلعة الجبل، و وجد علیه أبوه الملک المنصور قلاوون کثیرا، فإنّه کان نجیبا عاقلا خلیقا للملک.

و فیها توفّی الشیخ الطبیب علاء الدین علیّ بن أبی الحرم القرشی الدّمشقیّ المعروف بابن النّفیس الحکیم الفاضل العلّامة فی فنّه، لم یکن فی عصره من یضاهیه فی الطّبّ و العلاج و العلم، اشتغل علی المهذّب الدّخوار حتی برع، و انتهت إلیه ریاسة فنّه فی زمانه، و هو صاحب التصانیف المفیدة، منها: «الشامل فی الطب»، و «المهذّب فی الکحل»، و «الموجز»، و «شرح القانون لابن سینا». و مات فی ذی القعدة بعد أن أوقف داره و أملاکه و جمیع ما یتعلّق به علی البیمارستان المنصوریّ بالقاهرة.

الذین ذکر الذهبیّ وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی الشیخ إبراهیم بن معضاد الجعبریّ بالقاهرة فی المحرّم عن نیّف و ثمانین سنة. و الإمام أبو العبّاس أحمد بن أحمد بن عبد اللّه [بن أحمد بن محمد بن قدامة] المقدسیّ الفرضیّ. و خطیب

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۸

القدس قطب الدین أبو الزّکاء عبد المنعم بن یحیی الزّهریّ فی رمضان. و الجمال أحمد بن أبی بکر بن سلیمان بن الحمویّ. و الشیخ الإمام أبو إسحاق إبراهیم بن عبد العزیز اللّوری شیخ المالکیة فی صفر.

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم خمس أذرع و أربع أصابع.

مبلغ الزیادة ثمانی عشرة ذراعا و أربع أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۸]

السنة الحادیة عشرة من ولایة الملک المنصور قلاوون علی مصر، و هی سنة ثمان و ثمانین و ستمائة.

فیها فتحت طرابلس و ما أضیف إلیها بعد أمور و وقائع حسب ما ذکرناه فی أصل هذه الترجمة مفصّلا.

و فیها توفّی الشیخ علم الدین أحمد ابن الصاحب صفیّ الدین یوسف بن عبد اللّه ابن شکر المعروف بابن الصاحب، کان نادرة زمانه فی المجون و الهزل و إنشاد الأشعار و البلّیقات و کان بقی فی آخر عمره فقیرا مجرّدا، و کان اشتغل فی صباه و حصّل و درس، و کان لدیه فضیلة و ذکاء و حسن تصور، إلّا أنه تمفقر فی آخر عمره و أطلق طباعه علی التّکدی و صار یجارد الرؤساء، و یرکب فی قفص [علی رأس] حمّال و یتضارب الحمّالون علی حمله، لأنّه کان مهما فتح له من الرؤساء کان للّذی یحمله،

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۷۹

فکان یستمرّ راکبا فی القفص و الحمّال یدور به فی أماکن الفرج و النّزه، و کان یتعمّم بشرطوط طویل جدّا رقیق العرض و یعاشر الحرافیش، و کان له أولاد رؤساء، و یقال: إنّ الصاحب بهاء الدین بن حنّا هو الذی أحوجه إلی أن ظهر بذلک المظهر، و أخمله و جنّنه لکونه کان من بیت وزارة، فکان ابن الصاحب هذا إذا رأی الصاحب بهاء الدین بن حنّا ینشد:

اشرب و کل و تهنّا لابدّ أن تتعنّی

محمد و علیّ من أین لک یا بن حنا

قال الشیخ صلاح الدین الصّفدیّ: «أخبرنی من لفظه الحافظ نجم الدین أبو محمد الحسن خطیب صفد، قال: رأیته (یعنی ابن الصاحب) أشقر أزرق العینین علیه قمیص أزرق، و بیده عکّاز حدید. قال: و أخبرنی من لفظه الحافظ فتح الدین ابن سیّد الناس، قال:

كـان ابن الصـاحب يعاشر الفـارس أقطـاى فاتّفق أنّهم كانوا يوما على ظهر النّيل فى شـختور، و كان الملك الظاهر بيبرس مع الفارس أقطاى و جرى بينهم أمر، ثم ضـرب الدهر ضـربانه حتّى تسـلطن الملك الظاهر بيبرس و ركب يوما إلى الميدان، و لم يكن عمّر قنطرة السّباع، و كان التوجه إلى الميدان من على باب زويلة على باب الخرق، و كان ابن الصاحب هذا نائما على قفص صيرفىّ

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۰

من تلك الصّـيارف برّا باب زويلة، و لم يكن أحد يتعرّض لابن الصاحب، فمرّ به الملك الظاهر فلم يشـعر إلا و ابن الصاحب يضـرب بمفتـاح فى يـده على خشب الصـيرفى قويّا، فالتفت الظاهر فرآه فقال: هاه! علم الـدين؟ فقال: إيش علم الـدين أنا جيعان! فقال: أعطوه ثلاثة آلاف درهم. و كان ابن الصاحب أشار بتلك الدّقّة إلى دقّة مثلها يوم المركب». انتهى [كلام الصّفدى].

قلت: و من نوادره اللّطيفـة أنّه كـان بالقـاهرة إنسـان [كثيرا ما] يجرّد الناس فسـمّوه زحل، فلمّا كان فى بعض الأيام وقف ابن الصاحب على دكّان حلوى يزن دراهم يشترى بها حلوى، و إذا بزحل قـد أقبل من بعيـد، فقال ابن الصاحب للحلاوى: أعطنى الـدراهم، ما بقى لى حاجـة بالحلوى، فقال: لم؟ قال: أما ترى زحل قارن المشترى فى الميزان! و له من هـذا أشـياء كثيرة ذكرنا منها نبذة فى ترجمته فى تاريخنا «المنهل الصافى». و من شعره:

يا نفس ميلى إلى التّصابى فاللّهو منه الفتى يعيش

و لا تملّى من سكر يوم إن أعوز الخمر فالحشيش

و له فى المعنى:

فى خمار الحشيش معنى مرامى يا أهيل العقول و الأفهام

حرّموها من غير عقل و نقل و حرام تحريم غير الحرام

قلت: و أحسن ما قيل فى هذا المعنى قول القائل و لم أدر لمن هو:

و خضراء ما الحمراء تفعل فعلها لها و ثبات فى الحشى و ثبات

تؤجّج نارا فى الحشى و هى جنّة و تروى مرير الطّعم و هى نبات

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۱

و فيها توفّى الشـيخ الأديب البارع المفتّن شـمس الدين محمد بن عفيف الدين سـليمان ابن على التّلمسانىّ الشاعر المشـهور، كان شابّا فاضلا ظريفا، و شعره فى غاية الحسن و الجودة. و ديوان شعره مشهور بأيدى الناس، و من شعره:

ياسا كنّا قلبى المعنّى و ليس فيه سواک ثانى

لأىّ معنى كسرت قلبى و ما التقى فيه ساكنان

و له فى ذمّ الحشيش:

ما للحشيشة فضل عند آكلها لكنه غير مصروف إلى رشده

صفراء فى وجهه خضراء فى فمه حمراء فى عينه سوداء فى كبده

و له أيضا:

لى من هواک بعيده و قريبه و لک الجمال بديعه و غريبه

يا من أعيد جماله بجلاله حذرا عليه من العيون تصيبه

إن لم تكن عينى فإنّک نورها أو لم تكن قلبى فإنت حبيبه

هل رحمة أو حرمة لمتيّم قد قلّ منک نصيره و نصيبه

ألف القصائد فى هواک تغزّلا حتّى كأنّ بک النسيب نسيبه

لم تبق لی سرّا أقول تذیعه عنّی و لا قلب أقول تنیبه
کم لیلة قضّیتها متسهّدا و الدمع یجرح مقلتی مسکوبه
و النجم أقرب من لقاک مناله عندی و أبعد من رضاک مغیبه
و الجوّ قد رقّت علیّ شماله و جفونه و شماله و جنوبه
النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۲
هی مقّلة سهم الفراق یصیبها و یسحّ وابل دمعها فیصوبه
و جوّی تضرّم جمره لو لا ندی قاضی القضاة قضی علیّ لهیبه
و له:
أخجلت بالثّغر ثنایا الأقاح یا طرّة اللیل و وجه الصّباح
و أعجمت أعینک السّحر مذ أعربت منهن صفاحا فصاح
فیالها سودا مراضا غدت تسلّ للعاشق بیضا صحاح
یا للهوی من مسعد مغرما رأی حمام الأیک غنّی فناح
یا بانة مالت بأعطافه علّمتنی کیف تهزّ الرّماح
و أنت یا أسهم ألحاظه أثخنت و اللّه فؤادی جراح

الذین ذکر الذهبی وفاتهم فی هذه السنة، قال: و فیها توفّی کمال الدین أحمد ابن یوسف بن نصر الفاضلیّ. و المفتی فخر الدین عبد الرحمن بن یوسف البعلبکّیّ الحنبلی فی رجب. و رئیس الشهود زین الدین المهذب ابن أبی الغنائم التّنوخیّ.

و العلّامة شمس الدین الأصیهانیّ الأصولی محمد بن محمود بالقاهرة فی رجب. و المقرئ تقیّ الدین یعقوب بن بدران الجرائدیّ بالقاهرة فی شعبان. و المسندة العابدة زینب بنت مکّیّ فی شوّال، و لها أربع و تسعون سنة. و العماد أحمد ابن الشیخ العماد إبراهیم ابن عبد الواحد المقدسیّ. و الإمام شمس الدین أبو عبد اللّه محمد بن الکمال عبد الرحیم ابن عبد الواحد المقدسیّ فی جمادی الأولی.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۳

أمر النیل فی هذه السنة- الماء القدیم أربع أذرع و عشر أصابع. مبلغ الزیادة سبع عشرة ذراعا و عشر أصابع.

[ما وقع من الحوادث سنة ۶۸۹]

السنة الثانیة عشرة من ولایة السلطان الملک المنصور قلاوون علی مصر، و هی سنة تسع و ثمانین و ستمائة.

فیها کانت وفاة صاحب الترجمة الملک المنصور قلاوون فی ذی القعدة حسب ما تقدّم ذکره، و تسلطن بعده ابنه الملک الأشرف خلیل.

و فیها توفّی الشیخ الإمام أبو المعالی برهان الدین أحمد بن ناصر بن طاهر الحسینیّ الحنفیّ إمام المقصورة الحنفیة الشمالیة بجامع دمشق، کان إماما عالما فاضلا زاهدا صالحا متعبّدا مفتنّا مشتغلا بما هو فیه من الاشتغال بالعلم و الأوراد و القراءة إلی أن مات فی یوم السبت ثانی عشرین شوّال، و تولّی بعده الإمامة الشیخ نجم الدین یعقوب البروکاریّ الحنفیّ، و سلک مسلکه.

و فیها توفّی الأمیر حسام الدین أبو سعید طرنطای بن عبد اللّه المنصوریّ الأمیر الکبیر، کان أوحد أهل عصره، کان عظیم دولة أستاذه الملک المنصور قلاوون؛ و کان المنصور قد جعله نائبه بسائر الممالک، و کان هو المتصرّف فی مملکته.

فلمّا مات الملک المنصور قلاوون و تسلطن ولده الملک الأشرف خلیل استنابه أیّاما إلی أن رتّب أموره و دبّره و دبّر أحواله، و کان

عظيم التنفيذ سديد الرأى، مفرط الذكاء غزير العقل؛ فلمّا رسخت قدم الأشرف فى السلطنة أمسكه، و كان فى نفسه

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۴

منه أيّام والده، و بسط عليه العذاب إلى أن مات شهيدا و صبر على العذاب صبرا لم يعهد مثله عصر إلى أن هلك، و لمّا غسّلوه و جدوه قد تهرّأ لحمه و تزايلت أعضاؤه، و أنّ جوفه كان مشقوقا، كلّ ذلك و لم يسمع منه كلمة. و كان بينه و بين الأمير علم الدين سنجر الشّجاعىّ عداوة على الرّتبة، فسلّمه الأشرف إلى الشّجاعىّ و أمره بتعذيبه، فبسط الشجاعىّ عليه العذاب أنواعا إلى أن مات، فحمل إلى زاوية الشيخ عمر السّعودىّ، فغسّلوه و كفّنوه و دفنوه بظاهر الزاوية. و كان له مواقف مع العدوّ، و غزوات مشهورة و فتوحات. و بنى مدرسة حسنة بقرب داره بخط البندقانيّين بالقاهرة، و قبّة برسم الدفن، و له أوقاف على الأسرى و غيرها. و كان فيه محاسن لو لا شحّه و بذاءة لسانه لكان أوحد أهل زمانه، و خلّف أموالا جمّة.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۵

قال الشيخ قطب الدين اليونينىّ قال الشيخ تاج الدين الفزارى: حدّثنى تاج الدين بن الشّيرازى المحتسب: أنّهم وجدوا فى خزانة طرنطاى من الذهب العين ألفى ألف دينار و أربعمائة ألف دينار و ألفى حياصة ذهب و ألف و سبعمائة كلّوته مزركشة، و من الدراهم ما لا يحصى؛ فاستولى الأشرف خليل على ذلك كلّه، و فرّقه على الأمراء و المماليك فى أيسر مدّة؛ و احتاج أولاد طرنطاى هذا و عياله من بعده إلى الطلب من الناس من الفقر.

و قال غيره: وجد لطرنطاى ألف ألف دينار و ستمائة ألف دينار. ثم ذكر أنواع الأقمشة و الخيول و الجمال و البغال و المتاجر ما يستحى من ذكره كثرة. و مات طرنطاى المذكور و لم يبلغ خمسين سنة من العمر.

و فيها توفّى الأمير علاء الدين طيبرس بن عبد اللّه الصالحىّ المعروف بالوزيرىّ، كان أحد الأمراء المشهورين بالشجاعة و الإقدام، و كان من المبرّزين و له التقدّم فى الدول و الوجاهة، و لم يزل على ذلك إلى أن مات، رحمه اللّه تعالى.

الذين ذكر الذهبىّ وفاتهم فى هذه السنة، قال: و فيها توفّى العلّامة رشيد الدين عمر بن إسماعيل الفارقى خنق فى المحرّم و قد كمّل التسعين. و الإمام نور الدين على ابن ظهير بن شهاب بن الكفتى المقرئ الزاهد فى شهر ربيع الآخر. و قاضى الحنابلة نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن بن أبى عمر فى جمادى الأولى،

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۶

و له ثمان و ثلاثون سنة. و خطيب دمشق جمال الدين عبد الكافى بن عبد الملك ابن عبد الكافى الربعى فى سلخ جمادى الأولى. و الزاهد فخر الدين أبو طاهر إسماعيل عزّ القضاة بن علىّ بن محمد الصوفىّ فى رمضان. و الشيخ شمس الدين عبد الرحمن ابن الزّين أحمد بن عبد الملك المقدسى فى ذى القعدة. و السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفىّ الصالحىّ فى ذى القعدة.

أمر النيل فى هذه السنة- الماء القديم ثلاث أذرع و إصبعان. مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعا و سبع عشرة إصبعا، و لم يوفّ فى هذه السنة.

انتهى الجزء السابع من النجوم الزاهرة و يليه الجزء الثامن، و أوّله: ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۷

استدراكات على بعض تعليقات وردت فى الجزءين الرابع و الخامس من هذا الكتاب، لحضرة الأستاذ محمد رمزى بک

قنطرة عبد العزيز بن مروان

بما أن الشرح الخاص بتعيين موقع هذه القنطرة المدرج فى صفحة ۴۴ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غير واف فيستبدل به الشرح

الآتی:

لما تکلم المقریزی علی ظواهر القاهرة المعزیة (ص ۱۰۸ ج ۲) قال: کان أوّل الخلیج الکبیر عند وضع القاهرة بجانب خط السبع سقایات و کان ما بین هذا الخط و بین المعاریج بمدینة مصر (مصر القدیمة) غامرا بماء النیل.

و لما تکلم علی قناطر الخلیج الکبیر (ص ۱۴۶ ج ۲) قال: ان قنطرة ابن مروان کانت فی طرف الفسطاط بالحمراء القصوی بناها عبد العزیز بن مروان والی مصر فی سنة ۶۹ ه. و موضعها خلف السبع سقایات علی فم الخلیج الکبیر و کان المرور علی هذه القنطرة بین الحمراء القصوی و جنان الزهری.

و لما تکلم علی حکر أقبغا (ص ۱۱۶ ج ۲) قال: و فی هذا الحکر تقع قنطرة عبد العزیز بن مروان.

و قد تبیّن لی من البحث: (أوّلا) أن خط السبع سقایات هو الذی عرف فیما بعد بحکر أقبغا أی أن مکانهما واحد، و فقط اختلفت التسمیة باختلاف الزمن و المناسبات. (ثانیا) أن حکر أقبغا مکانه الیوم المنطقة التی فیها حارة السیدة زینب و فروعها و جنینة لاظ و شوارعها. (ثالثا) أن النیل کان یجری وقت فتح العرب لمصر فی الجهة الغربیة من جنینة لاظ حیث الطریق المسماة شارع بنی الأزرق و ما فی امتداده جنوبا و شمالا. (رابعا) أن فم الخلیج المصری کان فی ذاک الوقت واقعا حذاء مدخل الشارع المذکور من جهة شارع الخلیج.

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۸

و مما ذکر یتضح أن قنطرة عبد العزیز بن مروان التی کانت علی فم الخلیج الکبیر مکانها الیوم النقطة الواقعة بشارع الخلیج المصری تجاه مدخل حارة حکر أقبغا بأرض جنینة لاظ التی هی جزء من حکر أقبغا، و هذا الخط هو الجزء الشمالی من الحمراء القصوی و یقابله علی الشاطئ الأیسر للخلیج أرض جنان الزهری حیث خط الناصریة الآن و ما فی امتداده إلی شارع غیط العدة.

بستان الخشاب

بما أن الشرح الخاص بتحدید هذا البستان المدرج فی صفحة ۴۴ بالجزء الرابع من هذه الطبعة جاء غیر واف فیستبدل به الشرح الآتی:

تکلم المقریزی علی هذا البستان فی جملة مواضع بالجزء الثانی من خططه فذکره عند الکلام علی ظواهر القاهرة المعزیة (ص ۱۰۸) و علی بر الخلیج الغربی (ص ۱۱۳) و علی الخلیج الناصری (ص ۱۴۵) و علی قنطرة السد (ص ۱۴۶) و علی قنطرة الفخر (ص ۱۴۸) و علی المیدان الناصری (ص ۲۰۰) و علی حکر الست حدق (ص ۱۱۶) و یستفاد مما ذکر فی المواضع المذکورة البیان الآتی:

(أوّلا) أن بستان الخشاب کان واقعا فی المنطقة التی تحدّ الیوم من الشمال بشوارع المبتدیان و مضرب النشاب و البرجاس و الجزء الغربی من شارع إسماعیل باشا إلی النیل. و من الغرب نهر النیل. و من الجنوب مستشفی قصر العینی و شارع بستان الفاضل و ما فی امتداده من الجهة الشرقیة إلی شارع الخلیج المصری. و من الشرق شارع الخلیج المصری و شارع سعد الدین إلی أن یتقابل مع الحد البحری.

(ثانیا) أن هذا البستان کان منقسما إلی قسمین الشرقی منهما و هو الواقع بین شارع المنیرة و شارع الخلیج المصری و کان یعرف بالمریس حیث کان یسکنه طائفة من السودان و به یتخذون المزر و هو نوع من البوظة یسمیه أهل السودان المریسة، و القسم الغربی و هو الواقع بین شارع المنیرة و شاطئ النیل کان یعرف

النجوم الزاهرة فی ملوک مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۸۹

بالمیدان الناصری، و مکانه الیوم خط القصر العالی المسمی «جاردن ستی» و کان بالجهة الجنوبیة من هذا المیدان علی شاطئ سیالة جزیرة الروضة عند کوبری محمد علی یوجد مواقع فم الخلیج الناصری و قنطرة الفخر و موردة الجبس و موردة البلاط.

أرض الطبّالة

بما أن الشرح الخاص بتحديد هذه الأرض المدرج فى صفحة ۱۲ بالجزء الخامس من هذه الطبعة جاء غير واف بالنسبة للحد الغربى للأرض المذكورة فيستبدل به الشرح الآتى:

يستفاد مما ذكره المقريزى فى خططه عند الكلام على جزيرة الفيل (ص ۱۸۵ ج ۲) أن أرض الطبالة كانت ممتدّة إلى شاطئ النيل القديم تجاه جزيرة الفيل التى كانت وسط النيل. و مكانها اليوم منطقة شبرا بالقاهرة. و من هذا يتضح أن أرض الطبالة كانت واقعة فى المنطقة التى تحدّ اليوم من الشرق بشارع الخليج المصرى. و من الشمال بشارع الظاهر فشارع وقف الخربوطلى و ما فى امتداده حتى يتقابل بشارع مهمشة. و من الغرب بشارع غمرة إلى محطة كوبرى الليمون فميدان محطة مصر إلى ميدان باب الحديد حيث كان النيل يجرى قديما. و من الجنوب بشارع الفجالة و سكة الفجالة و يدخل فيها الآن محطة كوبرى الليمون و الفجالة و بركة الرطلى. و باقى الشرح الوارد بالجزء الخامس صحيح.

تنبيه: التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها، و المدن و القرى القديمة و غيرها مع تعيين و تحديد مواضعها هى من وضع حضرة الأستاذ محمد رمزى بك المفتش بوزارة المالية سابقا. فنسدى إليه جزيل الشكر و نسأل اللّه جلّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم و أهله.

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۰

استدراكات على الجزء السادس من النجوم الزاهرة

نبّهنا إليها الأستاذ الشيخ محمد أحمد دهمان من علماء دمشق فنسدى إليه جزيل الشكر (۱) ورد فى ص ۳۵ س ۱۵: «تسلّم أصحابه مدينة غزة و بيت جبريل و الماطرون» و ذكرنا فى الحاشية رقم ۳ أن تصويبه الماطرون عن شرح القاموس و معجم البلدان لياقوت. و الصواب أنه النطرون بالنون، لأن الماطرون اسم موضعين بالقرب من دمشق، و فتوحات صلاح الدين كانت فى فلسطين، كما فى سيرة صلاح الدين و الروضتين و تاريخ أبى الفدا و تاريخ ابن الوردى فى حوادث سنة ۵۸۳ ه.

(۲) ورد فى ص ۹۹ س ۱۱ و ۱۲: «و بنت تربة بقاسيون على نهر بردى».

و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۵ أن «بردى نهر بدمشق». و صوابه: «و بنت تربة بقاسيون على نهر يزيد»، لأنّ نهر بردى لا يمرّ بقاسيون، و إنما يمرّ به نهر يزيد.

و لا تزال هذه التربة حتى اليوم على حافة نهر يزيد (راجع شذرات الذهب فى حوادث سنة ۵۸۱ ه).

(۳) ورد فى ص ۱۲۱ س ۹: «بمرج عدواء». و علقنا عليها فى الحاشية رقم ۹ نقلا عن ابن الأثير رواية أخرى: «أنه بمرج الريحان». و صوابه:

«بمرج عذراء» و هو مرج مشهور خارج دمشق قرب قرية يقال لها عذراء، كما فى شرح القاموس مادّة «مرج».

(۴) ورد فى ص ۱۵۰ س ۵: «و أما الأفضل فإنه سار إلى مصر فأرسل العادل وراءه أبا محمد نجيب الدين إليه بالزبدائى». و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۲ بأن الزبدانى: نهر بدمشق. و صوابه: الزبدانى: كورة مشهورة معروفة بين دمشق و بعلبك (راجع تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل و معجم البلدان لياقوت).

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۱

(۵) ورد فى ص ۲۱۸ س ۱۱: «و دفن بقاسيون». و علقنا عليه فى الحاشية رقم ۳ بأن زواية الأصلين: «مات بقاسيون» و ما أثبتناه عن شذرات الذهب و عقد الجمان. و تعتبر قاسيون مقبرة دمشق. و الصواب فى ذلك أن قاسيون:

جبل شمالی دمشق يطل عليها. و فی عصر نور الدين الأتابكی هاجرت طائفة من المقادسة هربا من إرهاق الصليبين لهم فسكنوا هذا الجبل و بنوا فيه دورا و مساجد فأصبح إحدى ضواحی دمشق التی لها مقبرة لا أنه مقبرة فقط فعليه تكون عبارة الأصلين صحيحة.

(۶) ورد فی ص ۲۴۰ س ۱۶: «فلما كان الغد أقبلت الأطلاب» و ذكرنا فی الحاشية رقم ۶ أن الأطلاب: العساكر. و نزيد عليه أن الأطلاب لفظة استعملت فی كتب التاريخ من عصر نور الدين الأتابكی إلى آخر أيام دولة المماليك الشراكسة، و يراد بها فرق الجيش و كتائبه، و الظاهر أنه مشتق من طلب الشیء إذا حاول أخذه فهو طالب و جمعه طلب و جمع الطلب أطلاب، و يدلّ على ذلك ما جاء فی ص ۲۹۳ من هذا الجزء: «قطع التتار دجلة فی مائة طلب، كل طلب فی خمسمائة فارس».

(۷) ورد فی ص ۲۶۶ ص ۴: «و دفن بقرب الصليحية». و ذكرنا فی الحاشية رقم ۱ رواية أخرى نقلا عن شذرات الذهب: «بقرب القليجية».

و صوابه ما ورد فی شذرات الذهب. و القليجية: مدرسة بدمشق معروفة، تنسب إلى قليج أرسلان.

(۸) ورد فی ص ۲۶۸ س ۴ فی الكلام على ترجمة الملك المعظم عيسی:

«و دفن مع والدته فی القبة عند الباب» و علقنا على ذلك فی الحاشية رقم ۱ نقلا عن ابن خلكان بأنه: نقل إلى تربته فی مدرسته التی أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير». و علقنا أيضا فی الحاشية رقم ۲ نقلا عن ابن خلكان و شذرات الذهب أنه: «دفن خارج باب النصر أحد

النجوم الزاهرة فی ملوك مصر و القاهرة، ج۷، ص: ۳۹۲

أبواب دمشق فی مدرسة شمس الدولة». و كلا التعليقين خطأ. و صوابه أن الملك المعظم عيسی دفن فی مدرسته التی أنشأها بصالحية دمشق. و بالرجوع إلى تاريخ ابن خلكان وجدناه بعد أن انتهى من ترجمة الملك المعظم عيسی يقول: «و توفی عز الدين أيبك صاحب صرخد، إلى أن قال: و دفن خارج باب النصر فی مدرسة شمس الدولة و حضرت الصلاة عليه و دفنه ثم نقل إلى تربته فی مدرسته التی أنشأها بظاهر دمشق على الشرف الأعلى مطلة على الميدان الأخضر الكبير». و لا يخفى أن هذا الكلام الذی أدمجه ابن خلكان فی ترجمة الملك المعظم عيسی على عز الدين أيبك (راجع ابن خلكان فی ترجمة الملك المعظم عيسی و شذرات الذهب فی حوادث سنة ۶۲۴ ه).

(۹) ورد فی ص ۳۱۷ س ۳ «و إمام الربوة» و علقنا على ذلك فی الحاشية رقم ۳: «يريد ربوة دمشق و هی مغارة لطيفة الخ». و صوابه: «و بالربوة مغارة لطيفة ... الخ» راجع نزهة الأنام فی محاسن الشام، نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ۱۶۴۲ تاريخ).

(۱۰) ورد فی ص ۳۲۹ س ۷: «و دام الحصار إلى أن قدم البادرانی للصلح» و ذكرنا فی الحاشية رقم ۱ أن البادرانی، نسبه إلى بادران: قرية بأصبهان.

و هو عز الدين رسول الخليفة، قدم للصلح بين الملك الصالح نجم الدين و الحلبيين.

و صوابه: «البادرائیّ» بالهمزة. و هو نجم الدين أبو محمد عبد اللّه بن أبی الوفا الشافعی الفرضی الذی قدم من عند المستنصر للصلح. و قال السيوطی فی لب اللباب فی تحرير الأنساب: «البادرائی»: نسبة إلى بادرايا، قرية من عمل واسط». و راجع شذرات الذهب ج ۵ ص ۲۶۹ فی حوادث سنة ۶۵۵ ه و تنبيه الطالب للعليمیّ.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

کَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فی تلخیص بحـار الأنـوار، للعلّامـة فیض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع "القائمیّـة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشـهید آیـة الله "الشـمس آباذی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِـم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطَتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم الناس إلی التّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّة و اعتباریّة، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّة، الجوامع، الأماکن الدینیّة کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسة" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعلیمیّة عمومیّة و دورات تربیة المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلة السَّنَةِ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع"مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بنایة"القائمیّة"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریة القمریّة)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّة الوطنیّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّهٔ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظهٔ هامّهٔ:

المیزانیّهٔ الحالیّهٔ لهذا المرکز، شَعبیّهٔ، تبرّعیّهٔ، غیر حکومیّهٔ، و غیر ربحیّهٔ، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّهٔ و العلمیّهٔ الحالیّهٔ و مشاریع التوسعهٔ الثّقافیّهٔ؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّهٔ) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحهٔ بقیّهٔ الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.